بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا

أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م

الاثنين 20 - 26 رمضان 1434 هـ /29 جويلية 04 أوت 2013 العدد: 663 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

التَّجديد الرّوحي والإصلاح الجذري عند مالك بن نبي: تأسيس علم تجديد الصلة بالله

08

العالم العربي وأزمة الفكر العلماني والليبرالي..!

02

هل دخلت مصر مرحلة الدولة الفاشلة؟!

03

على بصيرة

بقلم: الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الفوضى المنظمة في مصر

كنت هممت بتخصيص افتتاحية البصائر لهذا الأسبوع، لتلوين البقاع الحمراء في خارطة الوطن العربي الجريح. فقد كانت تلوح لي في هذه الخارطة، رقع تغرى بالكتابة مثل الدم المراق في العراق بين المتشاكسين من الإخوة والرفاق. كما كنت أهم بالحديث عن الصدام الدموي الدائر بين الجيش الحر وجيش النظام، والذي يؤدي في كل يوم بالعديد من الضحايا، والمشردين الذين يعانون شر الانتقام.

ولا ننسى الاغتيالات السياسية، وصراعات المجموعات الإيديولوجية، التي تزرع باسم الثورية والسلفية، الإرهاب، والتبلطجه في كل من تونس وليبيا.

كان هذا هاجس، لإيقاظ الضمير العربي وتوعيته، بالمخاطر المحدقة، وإعداده لتفادي الوقوع في فخاخ المتربصين بالمنطقة. لكن مصر الكنانة، وجماهيرها المهانة، باسم الفوضى المنظمة الجبانة، أبت إلا أن تستأثر بالمشهد الدامي، ونقدم للعالم المزيد من الفصل الدامي.

ويا لله لمصر! فقد كانت قبلة العرب والمسلمين، في زرع الحضارة، وحسن العبارة، وعذوبة القيثارة، والتحكم في كل أنواع المهارة. فماذا دهى مصر، حتى مسها طائف من الشيطان التعيس، وأعانها عليه مكر من الفريق السيسي، فعكر صفو استقرارها، وسطا على إرادة ثوارها، وقلب نظام أحرارها.

تا لله إننا لفي حيرة من أمر مصر، وهي تنزف دما، وتنبض ألما، باسم الفوضى المنظمة، وباسم القانون، والجماهير المجندة، على أنغام الفنون، وتكميم الأفواه، واعتقال الأبرياء لمجرد الظنون، ونزق من الجنون.

لقد عطلوا العمل بالدستور، استجابة لمطالب الجمهور وأي جمهور، وعزلوا الرئيس المنتخب، بكل شفافية وديمقراطية، تحت طائلة الخيانة، والاستجابة، للعمل المأجور وتلبية للقانون الخارجي المسطور.

كنا نحسب أن الجيش المصري، شأنه في ذلك، شأن كل جيوش العالم المتحضرة، يحمي ولا يحكم، ويسالم شعبه ولا يهجم، ويستمع لكل أصوات مواطنيه، القبطي منه والمسلم، فلماذا، أصب الجيش المصري بالخول، وتحول نظامه إلى خبل، فأتى كل أنواع التعسف، والقتل، والدجل. فإذا كانت الاستجابة للجماهير الشعبية هي منبع حكمته، فأين هو من جماهير رابعة العدوية؟ أليست تعد بالملايين، أما أنه يكيل بمكيالين، ويطبق على المعتصمين في رابعة العدوية، قول الشاعر القديم:

لا أبالي بجمعهم
كل جمع مؤنث

تتمة ص 02

المفاوضات... أو الحرب الأخيرة..!

تأكّد الآن أنّ وفدا عن السلطة الفلسطينية سيتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الأيام للقاء الوفد الإسرائيلي والبدء في المفاوضات العبثية غير المجدية للشعب الفلسطيني الرافض بأغلبيته المطلقة لها، لكنه لأنّه لا حيلة له وقد فرضت عليه أولا من قبل سلطته المفروضة عليه، وفرضت عليه ثانيا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية التي تتحكم في قوته اليومي الذي تمنحه له إسرائيل بالتقطير بعد التقتير.

03

مفهوم الدولة في الإسلام وإشكاليات المفاهيم الغربية

12

موقف عمر راسم من الحركة الصهيونية

16

إقرأ في هذا العدد

شهر رمضان.. شهر الذكريات والبطولات 10
ماذا يقرأ المسلمون في فرنسا في رمضان؟ 04
الحكمة الطبية في تأخير السحور 12
حكم الإجهاض بسبب الاغتصاب 12

شاهد ومشهود

العالم العربي وأزمة الفكر العلماني والليبرالي..!

بقلم: الأستاذ كمال أبو سنة

أول قتل حدث في التاريخ الإنساني كان قتل أخ لأخيه ظلما وعدوانا سجله القرآن الكريم في سورة المائدة الآية 31-27، حيث قال الله تعالى:{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً}.

إن الذين يتجاوزون الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن بعد بيان الحق إلى العنف وسفك الدماء هم أصحاب الحجة الضعيفة، ومرضى النفوس الذين يعلمون أنهم غير قادرين على إلباس باطلهم بلباس الحق، ولهذا يستبدلون لغة التهديد والوعيد والإرهاب بلغة الحوار والخطاب البناء والبحث عن الحق حتى وإن كان في جعبة الخصم..!

والغريب أن كثيرا من العلمانيين واللبراليين العرب، بدعم من الغرب المنافق، يؤمنون بلغة العنف وإقصاء الآخر، ولو بسفك الدماء، وخراب الديار، حين يجدون أنفسهم غير قادرين على مواجهة الأفكار بالأفكار، والحجة بالحجة، فيسعون إلى فرض أنفسهم بالقوة حتى وإن خالفتهم غالبية الأمة..!

إن ما يحدث في مصر اليوم -وما حدث في كثير من الدول العربية من قبل- يبين بجلاء أن مبادئ الديمقراطية التي كان يتغنى بها العلمانيون واللبراليون-ومعهم الغرب الذي شارك في الانقلابات على خيارات الشعوب ودعم الديكتاتوريات- هي مجرد كلمات مرفوعة للاستهلاك الإعلامي ووضع مساحيق التجميل على وجه العلمانية الشمطاء، إذ الديمقراطية التي يؤمنون بها هي الديمقراطية التي تقصي شريحة الغالبة من الشعوب العربية التي تؤمن بهويتها وأصالتها وترفض التبعية للغير..!

إن المتتبع للوضع المصري وما آلت إليه الأمور هناك من سفك لدماء الأبرياء من المتظاهرين السلميين الرافضين للانقلاب على الشرعية التي أفرزتها الصناديق الشفافة سيدرك عظم المؤامرة التي قادها بعض العلمانيين بمساعدة الغرب لإسقاط مسيرة الحياة الديمقراطية الوليدة في مصر، بل وحاولوا تزوير وتزييف التوجه العام للشعب المصري المناصر للشرعية عن طريق الإعلام المأجور الذي أنتج الدعايات الكاذبة، والروايات السخيفة، ونقل الأخبار المزيفة والمفبركة ليرسم مشهدا مغايرا للحقيقة كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، وكل ذلك من أجل التمكين لتيار فكري سياسي فشل في معركة الصناديق فحول معركته إلى معركة تسيل فيها الدماء وتنتهك فيها الحرمات والمقدسات..!

لقد كشفت أحداث مصر الأخيرة أن «الإسلاميين» المتهمين زورا وبهتانا بالإرهاب والعنف كانوا ديمقراطيين وسلميين بشكل أدهش العالم، وكانت السنة التي حكموا فيها عادلين مع الخصوم سنة ليست كباقي سنوات العهود المظلمة، فما أغلقوا قناة، وما كمموا الأفواه، وما سفكوا الدماء، وما سجنوا المخالفين، فصدق فيهم وفي غيرهم قول الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية
فلما ملكتم سال بالدم أبطح
فحسبنا هذا التفاوت بيننا
وكل إناء بالذي فيه ينضح

إن الشعب المصري حين يستفيق من سحر الإعلام المصري راعي الفتن ما ظهر منها وما بطن ويرى أنه قد عاد إلى المربع الأول مربع الحكم العسكري الذي مكن له بعض دعاة العلمانية وفلول «مبارك» ممن اتبعوا أهواءهم سيبكون الدماء بدل الدموع على أيام «الرئيس المنتخب» الدكتور محمد مرسي الذي حاول مخلصا النهوض بمصر فتآمر عليه الداخل والخارج..!

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

مقامات البصائر

يوم الفرقان عاد حزينا

بقلم: د. عبد الحفيظ بورديم
bourdime2013@gmail.com

عاد يوم الفرقان هذا العام حزينا، فالعدوة الدنيا لم تجد في الميادين إلاّ القتلى المساكينا.

أخفى الجنرال عينيه السوداوين بنظارات أشد سوادا وما أخفى إلاّ ضغائن وأحقادا، وأدخل رأسه في قبعة الطغيان ليرهب العبادا، وأقسم بالله كبْرا وعنادا ليجعلنّ من أصحاب الشرعية إرهابا وليذيقنّهم العذابا.

وأوجس العالمون خوفا سخينا، لمّا رأوا شعبا ابتغى السّلم عنوانا وقام ليالي رمضان، أنّى لصدره العاري أن يوقف طلقات النار، وأنّى لبنادق المروحيات الحاقدة أن تخطئ ظهور المسلمين الساجدة، وأنّى للغازات الفاتكة أن تخطئ قلوب الجماهير الناسكة؟

ركب الجنرال صهوة قاض سمين وألقى عليه بردعة لعين وأطلق لسان الإعلام المجنون، وفي لحظة خاطفة استنّ بفرعون وكلّ طاغية في الآخرين فحصد الأبرياء رجالا وأطفالا ونساء، وما ذنبهم إلاّ أنّهم آمنوا بالحرية ودعوا إلى الشرعية والتزموا بالسلمية.

والعالم منافق وكذّاب رأى بالعين ما ينكره العقل والقلب والكتاب ولكنّه كمن علا عينيه التراب لم يحرّك ضميره الانقلاب، بل لجّ في صمت مريب ولم يزد على خبر قصير معيب، كأنّ قتل السلميين جائز لعبيد الجنرال وكأنّ حصد الصائمين من واجبات الواد سيّد الشغال.

وأنّى لمن يريد مصر عبيدا أن ينصفهم ولو قولا رشيدا؟

وأنّى لمن يريد مصر متخلّفينا أن يرضى لهم الحرية والتمكينا؟

علّمتنا الأيّام أنّ الثورات تصنعها إرادة الشعوب، وأنّ الانقلابات ينجزها قادة الحروب، وعلّمتنا الحضارات أنّ الرضى بقواعد الانتخاب علامة المثقفين، وأنّ الانقلاب على العهود سمات الرعاع المتجبرين.

كنّا نظنّ مصر أمّ الدنيا ستفتح للمغلوبين طريق السيادة العليا، فإذا من بنيها من باعوها ورضوا لها أن تبقى في الوثاق تعدّ قتلاها وتحصي جرحاها لتنشر الرعب في أجيال آتية وتعطي آمانا لأعداء مجاورة باقية.

وكنّا نظنّ دار الإفتاء لها لغتها بالحلال أو الحرام فإذا بها تستنكر بلغة من يتقن ليّ الكلام، ألا يا شيخ دار الإفتاء ما أراق البلطجية دماء الأبرياء إلاّ لما اطمأنّوا لصوت الحقّ ضاع في حناجر أشباه العلماء، ولو صدقتم الفتوى لحرّمتم نقض العهود ولجرّمتم إرضاء اليهود. ولكنكم هنتم فخذلتم دينكم وشعبكم.

واتهموه بالتخابر مع حماس وظنوها تهمة منكرة وما علموها شرفا وقيمة مطهرة، إن يريدون إلاّ ترضية اليهود بالتضييق على صوت الرجال الصناديد.

ولقد خاب سعي الجنرال بقتل الأبرياء فجنّات الله قد فتحت للشهداء، ويوم الفرقان لن يخلف موعده فالنصر يوم له غده.

تتمة ص 01

الفـوضـى الـمنظمـة فـي مصـر

ويقول الجنرال عبد الفتاح السيسي، أنه يستلهم شرعيته من الجماهير الشعبية التي دعاها إلى التظاهر، وأن هذا والله لمن المضحكات وإن كان ضحكا كالبكاء.

فمتى كان وزير الدفاع في أي بلد، وتحت سلطة أي قانون، يدعو الشعب إلى التظاهر ليستلهم منه الشرعية؟ ولماذا لم يستلهم هذه الشرعية، من جماهير ساحات رابعة العدوية؟

ثم أين هي الحكومة المعينة، باسم الانقلاب، لماذا وقع تجاوزها، أكانت لها شرعية الانقلاب؟ أم هل أن وزير الدفاع نفسه، ينزع عنها الشرعية، ليلبسها إلى الجيش قائد الانقلاب؟ وما موقف حكومة الانقلاب هذه، مما يحاك باسمها؟ وأين علماء مصر، وحكماؤها، وفقهاؤها، وزعماؤها، وأدباؤها من هذه الفوضى المنظمة، التي سفكت الدماء، وبعثرت الأشلاء، وقتلت النساء، والأطفال، الأبرياء؟

فأشلاء مَن هذه التي تتناثر على أرض مصر؟ ودماء مَن هذه التي تراق على أديم مصر؟ أليست أشلاء، ودماء الجماهير المصرية، التي يستوحي الجنرال السيسي شرعيته من اعتصامها، وتظاهرها؟

لقد كنا نظن، وبعض الظن ليس بإثم، إن عقلاء مصر، وحكماءها، وعلماءها، سوف يقفون درعا واقيا، ضد تهور الجيش، فيحولوا دونه ودون قتل شعبه، ويعملون على توعية الجميع، بعدم تجاوز الخط الأحمر، الذي هو القتل، والتنكيل بأبناء الشعب، ولا ذنب لهم، إلا أنهم خرجوا يطلبون احترام الإرادة الشعبية، والخضوع لأوامر الصناديق الديمقراطية، لكن ما راعنا، هو أن الجميع ضعف واستكان، فكانت هذه المجازر، التي هي وصمة عار في جبين المصريين، من كل الأمصار، لقد فتح الجيش المصري على نفسه، جبهة دموية يصعب تضميدها، وفتنة شعبية يصعب إخمادها وتحييدها.

ولطالما نادينا، حتى بحّت أصواتنا، وكلت أقلامنا، بأن حذار من الشرارة الأولى، والطلقة الأولى، والخطيئة الأولى، فإن تلك هي بداية الحرب، وبداية النار، وبداية المعاصي.

فهل كنا ننفخ في رماد، حينما دعونا إلى التعقل، والاحتكام إلى مصلحة مصر؟ إن من المضحكات حقا، ما ترفعه سلطات الانقلاب من شعارات مضحكات مثل قولهم إن مرسي يحاكم على أخطاء ارتكبها خلال سنة من الحكم، وإن من أخطائه العمالة والتخابر مع حركة حماس الفلسطينية، وإن من جرائمه أنه هرب من سجن النظام البائد أثناء الثورة على ذلك النظام.

فيا فقهاء القانون! ويا دعاة الحقوق! ويا حماة الشعوب! ويا أنصار الديمقراطية تعالوا، وافتحوا أبصارنا، وعقولنا على هذا الذي يحدث في مصر! وهذه التبريرات التي يتعلل بها حكام الانقلاب في مصر.

إن الزعم بأن الشعب هو مصدر التشريع يذكرني بمقولة لطيفة لعالم الجزائر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله حين قال: ومتى كانت بوزريعة مصدرا للشريعة؟

كما أن إقدام وزير الدفاع المصري على قتل شعبه باسم الشرعية، يذكرني بالبيت القائل:

قد أصبنا بأميـــر ★★★ كبر الله وسبّـح
فهو كالجزار فينـا ★★★ يذكر الله ويـذبـح

وبعد! ماذا بعد أن وقع الفأس في الرأس؟ وهو ما حذرنا منه، وأصيب الشعب المصري، ومعه الشعب العربي المسلم بالإحباط، والبأس، واليأس؟ وهو ما سيكون له عواقب وخيمة، هل سنستسلم للمغامرة، وهل ندع المغامرين، ينفذون المؤامرة، الخفية والظاهرة، فيخربوا، بأيدي أبناء مصر، معالم المنصورة، والإسكندرية والقاهرة؟

إننا ندعو أحرار مصر، إلى دفن موتاهم، وإسعاف جرحاهم، ثم ينهضون للبناء، ونعتقد أن الحل، ولا حل غيره، يكمن في إعادة الشرعية، وعودة الرئيس إلى رئاسة الجمهورية، وتكوين حكومة وحدة وطنية، توافقية، تضم كل الأطياف المصرية، وعفا الله عما سلف، من الخلف والسلف وحمى الله مصر من مصيرها المظلم.

أ.د. عبد الرزاق قسوم

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

البصائر
لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

● المدير مسؤول النشر / رئيس التحرير: أ. د. عبد الرزاق قسوم

● نائب رئيس التحرير: أ. كمال أبو سنة

● سكرتير التحرير: أ. عبد القادر قلاتي

● مستشار التحرير: أ. عبد الحميد عبدوس

● المدير التقني: أ. مصطفى كروش

التحرير:
الهاتف والفاكس: 021.49.51.19
الإدارة:
الهاتف والفاكس: 021.49.52.67 / 021.23.33.73

الإشهار: الوكالة الوطنية للنشر والإشهار / 01 شارع باستور - الجزائر.
الطباعة: مطبعة الوسط الجزائر.
رقم الحساب الجاري: 64-2985920
سعر العدد: 20.00دج
الاشتراك النصف السنوي: 500.00دج / الاشتراك السنوي: 1000.00دج
17، شارع محمد مربوش - حسين داي - الجزائر.

التوزيع: الوسط: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 0550.60.00.38 ★★★ الشرق: KDP 031.92.49.48 ★★★ الغرب: S.D.P.O «0550.57.54.55

هل دخلت مصر مرحلة الدولة الفاشلة؟!

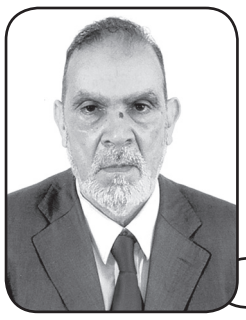

بقلم: عبد الحميد عبدوس

لقد اكتملت أركان الانقلاب العسكري بصدور قرار حبس الرئيس المعزول محمد مرسي بعد مرور 23 يوما كاملا من تغييبه القسري في معتقل سري،عقب خطاب الجنرال عبد الفتاح السيسي.

ومن الواضح أن واضع سيناريو الانقلاب لم يكن مهتما بضمان التماسك التنفيذي والإقناع المنطقي لعرضه العبثي، بقدر اهتمامه بتوفير الغطاء الإعلامي والدعم الدولي لمخططه القائم على القوة والإكراه.

فما دامت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها الدوليون وأتباعها الخليجيون راضين بتأدية دور «الشيطان الأخرس» بخصوص الانقلاب في مصر، وما دامت القوة العسكرية التي نفذت عملية الانقلاب على الشرعية الانتخابية قادرة على حسم الصراع السياسي لصالحها في أية مواجهة محتملة مع فئات الشعب الداعمة لشرعية الرئيس المنتخب، فلم يبق أمام قائد الانقلاب سوى تسيير البلاد بأسلوب الإنذارات والتهديدات وفرض شرعية القوة بالمسيرات والهتافات التي توزع فيها قوات الشرطة قوارير المياه وباقات الورد ويحميها الجيش بالدبابات . ولم يكن الانقلابيون في حاجة حتى لاحترام الشكليات الدستورية بإصدار قرار عزل الرئيس لرفع حصانته الرئاسية حتى تتم محاكمته بتهمة «التخابر مع حماس»وقبل أربعة أيام من صدور قرار حبس الرئيس المعزول محمد مرسي كانت جريدة الأهرام قد نشرت على صدر صفحاتها الأولى بعناوين عريضة خبر قرار النائب العام بحبس مرسي وتفاصيل التهم الموجهة إليه، ولكن النيابة العامة والمتحدث العسكري باسم الجيش سارعا إلى تكذيب الخبر،وتم استدعاء رئيس تحرير الجريدة للتحقيق معه بشأن نشر الخبر ويبدو أن استياء السلطات في مصر من نشر الخبر كان بسبب التوقيت الذي كان سيؤثر على طبيعة تلقي خطاب الفريق أول عبد الفتاح السيسي الذي طلب تفويضا من الشعب للقضاء على الإرهاب، وإن تعجب فعجب اصطفاف دعاة الليبرالية والديمقراطية والدفاع عن الحقوق المدنية في طابور واحد داخل معسكر المتحركين بالإيعاز العسكري، والمفارقة أنه في الوقت الذي كان الرئيس المعين من طرف قائد الانقلاب يدعو إلى اجتماع للمصالحة الوطنية، كان قائد الجيش يدعو إلى منحه تفويضا شعبيا للقضاء على الإرهاب، وكأن القوانين المصرية خالية من قوانين مكافحة الإرهاب، ولعل الانطباع السريع الذي أشاعه خطاب قائد الانقلاب هو المزيد من التوجس والقلق والخوف من احتمال الانزلاق إلى هاوية الحرب الأهلية بدل إشعار المواطنين بالأمن والطمأنينة. والحقيقة التي أظهرتها صور الحشود والحشود المضادة في ساحات مصر وميادينها أن المجتمع منقسم سياسيا ومتنوع فكريا ودينيا وهذا شيء طبيعي، ولكن ما ليس طبيعيا ولا مقبولا هو أن يتولى قائد الجيش الذي يقود مؤسسة هي مكسب لكل المصريين ورمز لوحدتهم ودرعا لحماية أمنهم القومي واستقلالهم الوطني الإعلان عن انحيازه الكامل إلى فريق سياسي معين على حساب فريق سياسي آخر ويتهم الفريق الأخر بالعنف والإرهاب! فهل سيعتبر الرافضون لتأييد دعوة الفريق السيسي قد خرجوا لمنح تفويض للإرهاب بالتواجد في مصر والعمل تحت غطاء التأييد الشعبي؟! ألم تواجه مسيرات أنصار الرئيس المعزول بالرصاص وقنابل الغاز، وتحولت اعتصامات سلمية إلى مجازر دموية؟أليس من حق هذه الفئة التعبير عن رأيها والاستفادة من حماية أجهزة الدولة لحقوقها الدستورية في التظاهر والتجمع والاعتصام؟فهل طلب الفريق السيسي تفويضا لمواجهة العنف أم صكا على بياض لممارسة العنف ضد التيار الإسلامي؟

والمؤسف أن النخبة المصرية تحولت في معظمها إلى جوقة لتبرير سحق العملية الانتخابية والتنظير لما يمكن تسميته «ديمقراطية الدبابة» أو الديمقراطية المجنزرة وتدعي هذه الفئة التي تتصدر وسائل الإعلام في مصر أن سبب الانقلاب على مرسي هو من أجل إنقاذ الدولة من التسيير الفاشل للرئيس مرسي وجماعة الإخوان للدولة، ولعل السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو هل كان تسيير الدولة ناجحا ورشيدا قبل أن ينتخب الرئيس مرسي ليتسلم سلطة الحكم في مصر لمدة عام واحد جوبه خلاله بكل وسائل العرقلة والتفشيل من طرف بقايا النظام السابق أو ما يعرف بالفلول أو جهاز الدولة العميقة؟!

ألم تكن مصر رغم كل إمكانياتها البشرية والطبيعية تقبع في صف الدول المتخلفة وتعاني من أزمات اجتماعية تتجلى في انتشار الفقروتوسع العشوائيات وصعوبات اقتصادية ومديونية خارجية ثقيلة، وباختصار كانت تعاني من وضع ثار الشعب المصري بأغلب فئاته ضده في 25جانفي2011.

إن صدور قرار حبس الرئيس المعزول محمد مرسي بتهمة التخابر مع حركة المقاومة الإسلامية «حماس» يعطي مؤشرا مقلقا على طبيعة ما يحضر للقضية الفلسطينية بعد الجولة الأخيرة لوزير الخارجية الأمريكي جون كيري في المنطقة، ألا يعتبر التخلص من حكم الإخوان في مصر مقدمة للتخلص من حركة حماس في فلسطين أو على الأقل إضعاف قدرتها على معارضة الصفقة التي تحضرها أمريكا لتصفية القضية الفلسطينية وإشعال المنطقة العربية بسلسلة من الحروب الداخلية التي تتمخض عن دولة فاشلة تجعل ميلاد الشرق الأوسط الجديد العزيز على الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز قضية لا مفر منها في الأمد القريب؟!

حديث الإصلاح

مصر: الثورة..والسياسة..والمخابرات..لمن تكون الغلبة؟

بقلم: الأستاذ التهامي مجوري
m_touhami@yahoo.com

ما يقع في مصر ومنذ الثلاثين من -جوان- يونيو 2013، قد كشف عن الكثير من المهازل والمخازي، لطبيعة النظام المصري، عسكرييه بمدنييه، وسياسيين بإعلامييه. فمحب الخير فيه ضعيف، وحليف الشر فيه سخيف، وبين هذين الصنفين من الناس، مجموعات من المرتزقة لا يخافون الله بقدر ما يطيعون الشيطان وأعوانه.

وآخر هذه المهازل والمخازي، دعوة وزير الدفاع عبد الفتاح السيسي، الشعب المصري للنزول إلى الشارع، تأييدا له في مواجهة خصومه السياسيين من الإخوان المسلمين ومن لف لفهم. عجيب أمر هذا الجيش، يقوم بانقلاب ويبرره بالانتصار للمعتصمين في ميدان التحرير، ولكنه لما عجز عن حسم الموقف، لجأ إلى من انتصر إليهم ليساعدوه في الخروج من المأزق، بعدما حقق لهم مطلب عزل الرئيس المنتخب..يا لها من مهزلة.. ويا له من غباء وضحك على الشعب المسكين الذي سيدفع وحده الفاتورة من عرقه ودمه.

أنا لست من الضالعين في التحليل السياسي، بحيث يمكنني فهم ما يجري في مصر وما ستؤول إليه الأمور فيها، ومع ذلك لفت انتباهي أمور قد تكون هي مربط الفرس، وليس ما يعلن عنه السيسي وغيره من السياسيين والعسكريين.

عندما قام الجيش المصري بالانقلاب على الرئيس المنتخب محمد مرسي، برر انقلابه بكونه استجابة لشريحة عريضة من الشعب المصري، اعتصمت في ميدان التحرير، تدعو إلى إسقاط الرئيس.. وهذا التبرير كان يمكن قبوله لو كان حجم المعتصمين في بالقدر الذي يفوق حجم الرافضين لهذه الدعوة، كأن تكون نسبته 70 بالمائة من الوعاء الانتخابي مثلا.. أما والحجم متساو أو بفارق بسيط، فلا يعتبر؛ لأن شرعية الانتخاب تثبت ولو بالأغلبية البسيطة، أما الانقلاب على الشرعية فهو في أحسن الأحوال محل ضرورة ولا يبرره إلا الانتصار للأغلبية الساحقة. وهذه الأغلبية المطلوبة لم تتحقق، وإنما الذي تحقق هو صمود المعارضين للانقلاب؛ بل إنهم في تزايد، وإذا استمر الوضع على هذه الحال فإن الانقلاب سوف يفشل حتما؛ لأن العالم لا يرحب بالفوضى في مصر لاعتبارات كثيرة ومنها «الخطر الذي يتهدد إسرائيل»، ونظرا لإدراك الجيش المصري لهذه النتيجة، وتخوفه من حتمية نجاح خصومه، عاد إلى حلفائه ودعاهم للاعتصام ثانية ليثبت حجم شعبيته أمام الرأي العام الدولي..ولكن الغباء العسكري يراهن على الاعتصام لمدة يوم أو يومين أو أسبوع لحسم الموضوع، وإذا لم يحسم الموضوع يكون قد أخذ التفويض للانتقام من خصومه بالقوة، فيستعمل العنف، وهذا قد يورط مصر فيما لا تحمد عقباه.

روافد العسكر في هذه العملية الانقلابية هم من أزلام النظام السابق، سواء كانوا من المباشرين للسلطة كأحمد شفيق، أو من الذين لهم أدوارهم المشبوهة في الإطار الإقليمي والدولي، أمثال عمرو موسى والبرادعي، أو من الخصوم الطبيعيين للتيار الإسلامي من رجال الأعمال أوساريس، والسياسيين الذين كانوا يسيرون في إطار التوريث أيام حكم مبارك، من الذين لم يتورعوا ذات عام من إشعال ما يشبه الحرب بين الجزائر ومصر تحضيرا لتوريث جمال رئاسة مبارك..كل هؤلاء الآن يعملون على تعبئة الشعب المصري على بعضه البعض، ولا يستبعد أن يذهب الجيش إلى أقصى ما يمكن في تعفين الوضع لاسيما وأن له تجارب عفنة في تصفية خصومه، مثلما وقع أيام الثورة المصرية سنة 1952، فيما عرف يومها بحريق القاهرة الذي كان يجهل جزئياته وزير الداخلية نفسه السيد مرتضى المراغي.

هذا التوجه يمكن أن يعمل على تعفين الوضع إلى أقصى ما يمكن، بالاغتيال والاستفزاز وحملات الاعتقال التعسفي وتشجيع التيارات المتطرفة من الخلايا النائمة التي لم يخل منها بلد في العالم الإسلامي...إلخ، وقد بدأت البوادر في اتجاه التعفين منذ مساء الجمعة وصبيحة السبت وقد بلغت، حيث تعهد وزير الداخلية بفض الاعتصامات، واختلاق الصدامات التي أسفرت عن أكثر من 200 قتيل وحوالي 5 آلاف جريح.. إلى منتصف يوم السبت والقائمة مفتوحة..

ولعل هذا ما جعل الأستاذ فهمي هويدي يقول «أشم في (هذه) المشاهد المتتابعة رائحة السيناريو الروماني، الذي تمكنت فيه الأجهزة الأمنية من مقدرات البلد بعدما ثارت الجماهير على الرئيس نيكولاي شاوشيسكو، ثم تم إعدامه هو وزوجته في نهاية العام 1989. وظلت أصابع تلك الأجهزة تعبث بالشارع وتتحرك في دوائر المعارضة، وفي تشكيل ما سمي آنذاك بجبهة الإنقاذ الوطني، إلى أن انتهى الأمر بعودة رجال النظام القديم إلى السلطة مرة أخرى، ثم يضيف هويدي «لا نستطيع أن نستبق ونقول إن ذلك سيحدث في مصر، لكني لا أستطيع أن أتجاهل تلك الرائحة الرومانية التي تفوح في كواليس المشهد، لكني أنبه فقط إلى أن الباب صار مفتوحا لتوقع ذلك الاحتمال، وهو شك تعززه حقيقة أن الذين يروجون لسيناريوهات المستقبل المقلقة في مصر الآن أطراف ليست فوق الشبهة، لا هم ولا المنابر التي يتكلمون من خلاله».

إن الأبواق الداعمة لهذه المهمة القذرة، بدأت مع محمد حسنين هيكل، المهندس الحقيقي للنظام المصري الانقلابي الحالي، بطبيعته القومية المعادية للتيار الإسلامي، وطبيعته الانبطاحية عبر التنسيق مع الأنظمة العربية، حيث أن الرجل كان يشغل منصب المستشار السياسي في أكثر من موقع في العالم العربي، مثلما هو الحال مع أحمد شفيق المستشار الحالي لقادة الإمارات، والداعم الرئيسي للنظام، ولا أظن ذلك بمعزل عن الدعم الخليجي للانقلابيين، ومنهم على وجه الخصوص السعودية والإمارات.

لقد كان هيكل يبدو وكأنه الإعلامي والمحلل السياسي النزيه، ولكنه بكل أسف في المحنة المصرية هذه الأيام لم يظهر منه إلا الرجل المهوس ببغض الإخوان ولو كان بمناصرة الانقلاب والانتصار للعسكر... والرافد الإعلامي لهذه المعركة 28 قناة مصرية رسمية وخاصة خصصت لتغطية تظاهرات الجمعة التي دعا إليها عبد الفتاح السيسي، ومن عجائب الصدف أن واحدة من هذه القنوات، كانت في إطار بث تجمع ضخم وتغطية تصف التجمع بما لذ وطاب من التوصيف الناجح، وفجأة ينقطع البث؛ لأن التجمع كان لأنصار الرئيس المعزول المعارضين للانقلاب.

احتمال «صناعة» مواجهات يعلن عنها الجيش، وتضخيم التحذير من العدو الصهيوني، وإمكانية التدخل الأجنبي لحماية الملاحة في قناة السويس، لتبرير أي قمع يقوم به الجيش، لاسيما أن السيسي وزير الدفاع الحالي كان قائدا للمخابرات، ومن ثم فإن المعركة سوف تتحول إلى مواجهات مخابراتية بامتياز، بعيدا عن كل جدية سياسية في التغلب على المشكلة، ويمكن استشفاف هذا التوجه من إعلانات السيسي الكاذبة حول أمور يراد بها إدانة الرئيس مرسي، مثلما وقع مع الدكتور سليم العوا الذي كذب ما نسب إليه من قبل وزير الدفاع.

والنتيجة إذا ما نجح الانقلاب في تمرير مشاريعه السياسية في الساحة، فإن مساعيه سوف تكون القضاء على حركة التغيير التي بدأت مع حركة 25 -جانفي- يناير، وتعطيل عجلة الفعل السياسي الجاد، وذلك ليس القضاء على حركة والإخوان وحسب، وإنما بتحريف مسار التغيير 180 درجة.

والثورة التي أفضت إلى إسقاط نظام مبارك هي مرشحة لتغيير النظام بالكامل، لا يراد لها أن تستكمل رسالتها وفق طبائع الأشياء، وإنما يراد لها أن تكون بمعايير ارتضاها الجيش وصادق عليها أراذل القوم في مصر، نسأل الله السلامة لمصر وأهلها.

ماذا يقرأ المسلمون في فرنسا في رمضان ؟

باريس/ سعدي بزيان

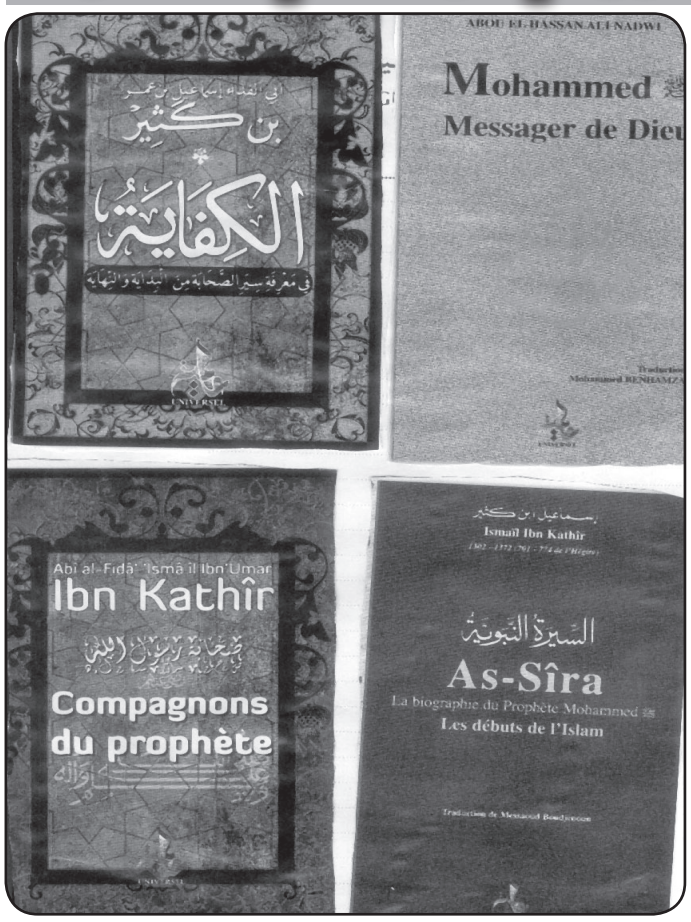

استطعت من خلال زيارتي لعديد من المكتبات الإسلامية في فرنسا، أن ألاحظ مدى إقبال الشباب المسلم على الكتاب الإسلامي المترجم إلى اللغة الفرنسية، فقد كان لي أكثر من لقاء مع هؤلاء الشباب من عنصري الرجال والنساء، وسألتهم عن الكتب الإسلامية التي تشدهم، والتي يودون الإطلاع عليها، فكان جواب أكثرهم هي «ترجمة معاني القرآن الكريم»، وهناك في المكتبات الإسلامية ترجمات: «حمزة بوبكر والد دليل بوبكر، عميد مسجد باريس الحالي» وترجمة «حميد» التي اعتمدها مجمع الملك فهد السعودي»، وترجمة «نور الدين بن محمود الذي عمل مدة من الزمان كمساعد لحمزة بوبكر»، وإلى جانب هذه الترجمات ترجمة المستشرق الفرنسي «جاك بيرك (1910-1995)»، وترجمة «كشريدا» التي نالت حظا وافرا في الانتشار والذيوع، ويأتي الكتاب الديني في المرتبة الثانية، فكان كتاب: «منهاج المسلم» للشيخ أبو بكر جابر الجزائري، والذي طبعت منه آلاف النسخ وبمختلف الأحجام، و«سيرة بن هشام»، وكانت «دار البراق» في باريس تعاقدت مع المرحوم الدكتور عبد الرحمن بدوي ليتولى ترجمتها إلى الفرنسية، وشرع فعلا الدكتور بدوي في إنجاز الترجمة، وأدركته المنية، ولا أدري ماذا فعل الله بهذه الترجمة.

وظهرت مؤخرا ترجمة لكتاب «فقه السنة» للسيد سابق، وقد وزع الكتاب على نطاق واسع، وقد سبقت ترجمة هذا الكتاب ترجمة لكتاب الدكتور يوسف القرضاوي «الحلال والحرام في الإسلام»، وقد أحدث الكتاب ضجة، وصادرته مصالح الأمن الفرنسية بأمر من وزير الداخلي السابق شارل باسكوا، بدعوى أنه كتاب يناهض دمج المسلمين في المجتمع الفرنسي من حيث موقفه من الزواج المختلط، ومساواة المرأة بالرجل في الميراث حسب المفهوم الفرنسي، وقد أفرج عن الكتاب بعد تدخلات من طرف عميد مسجد باريس دليل بوبكر صديق حميم لشارل باسكوا، الذي وضع ثقله في دليل بوبكر، وقد وضعا معا «ميثاق الجالية الإسلامية» سنة 1993.

دور نشر إسلامية تنشأ في باريس وتقود معركة ترجمة الكتاب الإسلامي إلى اللغة الفرنسية:

حيث تتسابق كل من «دار البراق» و«مكتبة البستان» و«مكتبة النور لـ3 فروع في باريس وضواحيها)»، في نقل الكتاب الإسلامي إلى اللغة الفرنسية، ومكتبات أخرى في «بيلفيل» و«كورون».

ترجمات كثيرة وقليلة هي الترجمات الصحيحة!!:

وفي لقاء جمع بيني وبين صاحب دار نشر عالمية « universel » بمناسبة الحفل التكريمي الذي أقيم على شرف الأستاذ مسعود بوجنون، وهو العضو البارز في «المجلس الإسلامي الأعلى» ورئيس تحرير مجلة «دراسات إسلامية» الطبعة الفرنسية، قد حضرت حفل بيع كتبه بالتوقيع، إذ صدرت له عدة ترجمات إسلامية عن «دار العالمية»، أبرزها: «كتاب السيرة النبوية» للعلامة إسماعيل بن كثير (1372-1302)، وقد أصدرت «دار نشر عالمية» أمهات الكتب العربية مترجمة إلى اللغة الفرنسية، وهذا العمل يكون كما قال صاحب الدار: «مهدنا الطريق لجيل كبير من الشباب المسلم ليتزود بالثقافة الإسلامية من مصادر إسلامية هامة، وقد نهض بهذه المهمة كبار المترجمين المسلمين من المغرب العربي بالخصوص، فهم أكبر تمكنا باللغتين الفرنسية والعربية، وأكثر صدقا في العمل، ونزاهة، من إخواننا اللبنانيين الذين يغلب عليهم الطابع التجاري على الجانب العلمي.

وقد أكد صاحب «دار العالمية» « universel » بأن كسل المثقفين المغاربيين هو الذي جعل اللبنانيين يقتحمون الساحة في ظل الفراغ المبين في نشر الثقافة العربية الإسلامية من قبل المغاربيين في السابق، وها هم قد استيقظوا مؤخرا بـ المنقذ من الضلال» للغزالي»، «وفتاوي معاصرة» للقرضاوي، وكتب أخرى للمرحوم رمضان البوطي، ورياض الصالحين، هذه كلها مطلوبة، ويتزاحم على شرائها شبان مسلمون، ومنهم الفرنسيون المعتنقون للديانة الإسلامية، والمحرومون من الثقافة العربية الإسلامية، ولا يجدون سبيلا إلى الثقافة العربية إلا عبر الترجمة الفرنسية، وقد حرصت «دار العالمية» على اختيار مترجمين أكفاء، يتولون بمقدرة عالية نقل أمهات الثقافة الإسلامية إلى اللغة الفرنسية، وقد تعرفت مؤخرا على مترجم تونسي استطاع أن يصدر عدة أعمال مترجمة من العربية إلى الفرنسية، ونالت تقدير القراء، فالمترجم التونسي خبر الموضوع منذ سنوات عديدة، وقد قال لي الأستاذ المولدي -أي المترجم- إنه بصدد إصدار سلسلة من أمهات الكتب الإسلامية، حيث تعاقد مع عدد من دور نشر عربية في باريس، والبعض من هذه الكتب تقرر أن يظهر في شهر رمضان المعظم، وهو شهر يكثر فيه الإقبال على الكتاب الإسلامي سواء المترجم أو الموضوع أساسا باللغة العربية، مثل التفاسير وكتب السيرة النبوية، وبعض الكتب الإسلامية ذات الطابع السياسي، وقد قال لي صديق قدم من مدينة ليون: إن دار النشر «التوحيد» المشهورة في هذه المدينة، والتي تلقى تعاطفا كبيرا من أبناء المرحوم سعيد رمضان «أحد أقطاب الإخوان المسلمون» ومؤسس مجلة «المسلمون»، و«المركز الثقافي الإسلامي في جنيف»، فقد تبنى دار التوحيد، التي يديرها مجموعة من الشباب من أصول جزائرية مشروع نشر الثقافة الإسلامية في فرنسا، سواء باللغة العربية أو عن طريق الترجمة من العربية إلى الفرنسية، وقد سجلت هذه الدار خطوات كبيرة في التعريف بالثقافة الإسلامية وسط الجيلين الثاني والثالث من أبناء المسلمين، لا في مدينة «ليون» وحدها، بل في كافة التراب الفرنسي، واستطاعت أن تفتح ثغرة في المكتبات الفرانكفونية في سويسرا المجاورة، وقد لاحظت خلال رحلتي إلى جنيف وجود عدة أعمال صدرت عن دار «التوحيد» وتوزع في مكتبة جنيف باللغتين العربية والفرنسية، وقد كان بودنا لو أن دور النشر الجزائرية في الجزائر اقتحمت هذه الساحة لتساهم في نشر الثقافة الإسلامية وسط جاليتنا في المهجر، وقد لاحظت خلال ترددي على مكتبتي «البستان» و«النور» أن هناك إقبال على الكتاب الإسلامي من طرف إفريقيا السوداء من المسلمين منهم.

الأستاذ: محمد الحسن أكيلال

المفاوضات ... أو الحرب الأخيرة

تأكّد الآن أنّ وفدا عن السلطة الفلسطينية سيتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الأيام للقاء الوفد الإسرائيلي والبدء في المفاوضات العبثية غير المجدية للشعب الفلسطيني الرافض بأغلبيته المطلقة لها، لكنه لأنّه لا حيلة له وقد فرضت عليه أولا من قبل سلطته المفروضة عليه، وفرضت عليه ثانيا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية التي تتحكم في قوته اليومي الذي تمنحه له إسرائيل بالتقطير بعد التقتير.

لقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية على جرّ الشعب الفلسطيني إلى هذا الطريق المسدود والمحفوف بالأهوال والأخطار منذ عشرين سنة، منذ مؤتمر «مدريد» وبعده «أوسلو» وقد عاش الشعب الفلسطيني المسكين خلال هذه السنين العجاف أشنع وأبشع الجرائم على أيدي المحتلين الصهاينة والمستوطنين، وفي كل مرة تعلن فيها أمريكا بداية التفاوض تشرئب أعناق الفلسطينيين والعرب أجمعين إلى الأفق ليروا حربا ضروسا تعلن على شعب شقيق من طرف الأمريكان أو من طرف إسرائيل، فمن حرب الخليج الأولى، ثم الثانية إلى حرب لبنان الأولى والثانية، فحرب على قطاع غزة، وكل هذه الحروب حين يبحث في حيثياتها تتجلى حقيقة واحدة هي أن الأمريكان وضعوا مسار «أوسلو» للدفع بالفلسطينيين بالترهيب والترغيب لقبول الأمر الواقع الصهيوني الذي وصل في هذه الأيام إلى حدوده القصوى باختيار الولايات المتحدة الأمريكية هذا الظرف بالذات لإطلاق عملية العودة إلى التفاوض وبالشكل الذي تريد وتريد إسرائيل، يعني: بالشروط الإسرائيلية، أي على الجانب الفلسطيني فقط تقديم التنازلات المجحفة والمؤلمة على أكثر من صعيد:

- نفسيا، لا شك أن الشعب الفلسطيني الذي يستعين في صبره دائما بأشقائه العرب الذين هم حواليه، يراهم في محن تكاد تنسيه محنته، فسوريا مهددة بالزوال كدولة وأمّة، ومصر على حافة الحرب الأهلية، والأردن لا يملك وهو يعيش بالمساعدات الأمريكية والخليجية غير التدخل لدى هذا وذاك لتليين موقفه واستضرار شفقته على الشعب الفلسطيني حفاظا على عرشه وملكته، وما عداهم فكلّهم في الهمّ شرق بما في ذلك الشعوب العربية البعيدة جغرافيا عن فلسطين لما تخافه من عدوى الربيع العربي كما سمّي غباء وجهلا رغم أن المصطلح من بنات أفكار «ليفي» المهندس والمخطط والمنفذ بواسطة التحريك الإعلامي الجديد فالفلسطينيون يعيشون حالة إحباط كبير لم يعيشوا مثلها منذ عام 1948.

- اجتماعيا، ثلثا عدد الفلسطينيين يعيشون في الشتات عبر القارات الخمس في ملاجئ تنعدم في أغلبها أبسط مستلزمات العيش الكريم، يقتاتون مما تجود به عليهم منظمة الأمم المتحدة، والثلث الباقي تتوزعه أراضي عام 1948 وقطاع غزة وسجن رام الله الذي استحدث بعد اتفاق «أوسلو» هذا التوزع والتشتت له ما له من الأسباب والوسائل المساعدة على الانقسام السياسي على منظمات وفصائل، كل منظمة أو فصيلة لها رأيها وسلوكها وطريقة تفكيرها، وهذا ما سهل التعدّد والاختلاف الذي وصل في بعض الأحيان إلى حدّ التناحر والاقتتال، العامل الأساسي الذي ارتكز عليه المخطط الصهيوني الأمريكي لفرض الأمر الواقع للاحتلال والتهويد.

- سياسيا، نتائج «أوسلو»، والمفاوضات السابقة أوصلت الشعب الفلسطيني الذي تملصت السلطة من التزامات ومبادئ وإطار منظمة التحرير الفلسطينية إلى بروز حركة «حماس» التي تمركزت في قطاع غزة وتمسكت بخيار المقاومة كسبيل لتحرير الأرض والشعب من الاحتلال بالاتكاء على المشروع الإسلامي الذي جعلته الآلة الإعلامية وحشا يخيفون به سكان الكوكب كلّه بإلصاق تهمة الإرهاب والرعب بكل ما هو إسلام وإسلامي.

- اقتصاديا، سكان الملاجئ أصبحوا يعانون من نقص المساعدات التي تمنحها لهم الأمم المتحدة ووكالتها لغوث اللاجئين، سكان الضفة الغربية تحت رحمة الكيان الصهيوني يمنحون متى شاءوا ويمنعون متى شاءوا تلك الأموال التي يجمعونها من الجباية، أو تلك التي تأتي من الدول المانحة، أما سكان قطاع غزة فهم ما زالوا تحت الحصار برّا وبحرا وجوّا منذ حرب غزة عام 2008 إلى يومنا هذا، والمستجد في هذه الأيام قيام النظام المصري الجديد الذي قام بانقلاب ضد الرئيس المنتخب «د. مرسي» بإغلاق معبر «رفح» وتدمير الأنفاق التي تهرب منها البضائع والسلع التموينية.

- أمنيا وعسكريا، «أوسلو» وما يتبعها من اتفاقات انتزعت من السلطة قرارا خطيرا يقضي بالتنسيق الأمني مع المخابرات الإسرائيلية بعد القبول بتجريد كل رجال المقاومة من سلاحهم، وتكوين جهاز أمن محدود السلاح كمّا ونوعا ومرغما على التعامل مع الأمن الإسرائيلي لتأمين الإسرائيليين ضد الفدائيين.

أما قطاع غزة حيث توجد البقية الباقية من المقاومة المتمثلة في الجناح العسكري لحركتي «حماس» و«الجهاد الإسلامي» فقد تضافرت الحرب الأخيرة عليها وعملية الحصار والتعاون الأمني العربي المصري الإسرائيلي وما يعانيه حزب الله وسوريا منذ سنتين في نقص شديد في توريد الأسلحة وإدخالها إلى القطاع.

كل هذه الظروف التي تعرفها جيدا الإدارة الأمريكية، إضافة إلى الأوضاع التي تعيشها كل الدول والشعوب العربية حاليا، هي التي شجعت الولايات المتحدة الأمريكية للإسراع بالإمساك بهذه الحالة التي لا يمكن أن توجد مثلها في المستقبل، وتبادر إلى إطلاق عملية التفاوض من جديد وهي تدرك جيدا أن أصدقاءها من العرب «المعتدلين» الذين اقترحوا مبادرة السلام كخيار استراتيجي عام 2002 في مؤتمر بيروت سوف لن يخذلوها هذه المرة أيضا، وخاصة وأنهم هم القادة الفعليون حاليا لجامعة الدول العربية.

إذن، فليس من الغريب أن تسارع كل هذه الدول وتبارك النظام الجديد في مصر وتمنح له مبلغ 12 مليار دولار لتدعيمه للثبات في الحكم واستئصال شأفة الإخوان المسلمين إلى الأبد، وهذا يعني استئصال «حركة حماس» المناوئة للسلطة في عملية التفاوض، فللفلسطينيين الآن الله وحده الذي يمكن أن يتدخل ليساعدهم ضد العدو وضد الشقيق الذي أصبح صديقا للعدّو، اللّهم آمين.

قادت الولايات المتحدة الأمريكية جيوش التحالف الدولي (33 دولة) لضرب العراق وإرغامه على الخروج من الكويت عام 1991 في عهد جورج بوش الأب، ثم خاضت حربا أخرى ضد العراق مرة ثانية في عهد جورج بوش الابن، ولكنها هذه المرة لوحدها بالاستعانة فقط بالدول العربية المجاورة التي فرضت عليها استعمال أراضيها وأجواءها ومياهها لهذه الحرب، وخلال الحربين قامت أمريكا بإطلاق مبادرات للتفاوض في جولات انتهت كلّها بالفشل الذي كانت تعرفه مسبقا.

خاضت حربا أخرى ولكنها بتكليف الجيش الإسرائيلي للقيام بها نيابة عنها ضد المقاومة اللبنانية، ثم قامت بأخرى على قطاع غزة.

هذه المرة يبدو أن ما حدث في سوريا ومصر يذكّر الصهاينة الأمريكان بحرب عام 1967، وعام 1973 ونتائجهما لهذا ما يجري في مصر وسوريا حرب وحرب أخيرة تقطف ثمارها إسرائيل والولايات المتحدة قبل فوات الأوان لأن أوضاع أمريكا الحالية والمستقبلية، الاقتصادية منها والمالية خاصة لا تسمح بتأمين الكيان الصهيوني من الأجيال الجديدة من الفدائيين الذين لا شك سيحررون فلسطين من الاحتلال الصهيوني ويطردون أمريكا من كل المنطقة .

كاتب جزائري hacen03@live.com

فرنسا تتمسك بحظر النقاب

تمسكت فرنسا بحظر النقاب في الأماكن العامة، ودافعت على لسان وزير الداخلية مانويل فالس عن موقفها على خلفية التوتر والاضطرابات التي أعقبت تفتيش الشرطة هوية منتقبة في ضاحية قرب باريس في مطلع الأسبوع الجاري.

وبينما وصفت الحكومة الفرنسية العنف بأنه غير مقبول، قال فالس في تصريحات إن الشرطة تقوم بواجبها على أكمل وجه، معتبرا أن القانون الذي يحظر النقاب هو في صالح النساء «وضد القيم التي ليس لها علاقة بتقاليدنا وقيمنا. والقرار يجب أن يطبق في كل مكان»

وقد فجر تفتيش الشرطة رجلا وزوجته المنتقبة في حي تراب بجنوب غرب باريس مواجهة أدت إلى محاصرة بضع مئات لمركز للشرطة ليل الجمعة. وألقيت حجارة على الشرطة وأشعلت النار في مبنى خلال أعمال العنف التي استمرت عدة ساعات وأدت إلى القبض على ستة أشخاص.

وعاد الهدوء ليسود الحي الذي يقطنه زهاء 30 ألف نسمة ونشأ فيه بعض المشاهير ومنهم لاعب كرة القدم نيكولا أنيلكا، بينما تحدث وزير الداخلية عن استعادة النظام سريعا، وذلك ردا على اتهامات من سياسيين معارضين بالتقليل من حجم العنف.

وفي وقت سابق قال الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند إنه يتعين التعامل مع الضواحي مثل أي جزء آخر من فرنسا.

يشار إلى أنه يعيش في فرنسا أكبر عدد من المسلمين في أوروبا ويقدر عددهم بنحو خمسة ملايين نسمة. ووفقا لإحصاءات وزارة الداخلية فان ما يتراوح بين 400 و2000 امرأة فقط يضعن النقاب، حيث صدرت أوامر بتغريم عدد قليل منهن بسبب ذلك.

كما أن الاضطرابات التي وقعت في مطلع الأسبوع كانت الحادثة الأولى التي تقع بسبب حظر النقاب لكنها ليست الأولى خلال حكم هولاند الذي واجه أعمال شغب استمرت يومين في مدينة أميان عقب توليه الرئاسة بوقت قصير.

وقد اعتبر محللون أن أسباب العنف ترجع لعوامل اقتصادية واجتماعية مثل ارتفاع معدل البطالة بين الشباب، حيث تقدر إحصاءات أن شابا من بين كل أربعة يعاني من البطالة وأن الرقم أعلى في الضواحي.

موقع الجزيرة نت

الكيان الصهيوني يعرقل مشاريع أوروبية في الضفة الغربية

منعت دولة الكيان الصهيوني الإتحاد الأوروبي من مساعدة عشرات الآلاف من الفلسطينيين في الضفة الغربية رداً على وقف بروكسل المساعدات المالية للمستوطنات والنشاطات الصهيونية في الضفة الغربية المحتلة.وقال مسؤول صهيوني، إن الخطوة جاءت نتيجة لقرار الإتحاد الأوروبي «بمعاقبة أو مقاطعة المستوطنات».

وقال المسؤول: «لا يمكننا أن نتجاهل ذلك أو أن نتعامل مع البصق في وجهنا كما لو كان مطراً».

وفرض الإتحاد الأوروبي القيود الأسبوع الماضي وأرجع ذلك إلى خيبة أمله تجاه استمرار التوسع في بناء المستوطنات اليهودية في الأراضي التي احتلتها الكيانات الصهيونية عام 1967.

وتجعل التوجيهات الجديدة المنظمات الصهيونية التي تعمل في الأراضي المحتلة غير مستحقة لمنح أو جوائز أو قروض من الاتحاد الأوروبي ابتداء من العام القادم.

ويقول زعماء للمستوطنين إن المساعدات التي يحصلون عليها من الاتحاد الأوروبي ضئيلة. لكن الكثيرين من الصهاينة يخشون التبعات المحتملة للقرارات التي يتخذها الاتحاد الأوروبي على الأفراد أو الشركات الموجودين في إسرائيل والذين يمكن أن تكون لهم أنشطة في المستوطنات التي يعتبرها المجتمع الدولي غير مشروعة.

وقال المسؤول الصهيوني الذي طلب عدم الكشف عن اسمه إن وزير الدفاع الصهيوني موشيه يعلون قرر تعليق الاتصالات مع الاتحاد الأوروبي في الضفة الغربية.

وأضاف أن يعلون القائد السابق للجيش والعضو المتشدد في حزب ليكود الذي يتزعمه رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو «جمد مشروعات وألغى اجتماعات وقيد التنسيق والتصاريح بشأن العمليات الأوروبية» للفلسطينيين الذين يعيشون فيما يعرف بالمنطقة ج وهي منطقة بالضفة الغربية تديرها الكيان الصهيوني بشكل كامل.

وقال مصدر بالاتحاد الأوروبي في الكيان الصهيوني أن الاتحاد يعرب عن قلقه تجاه الخطوات الصهيونية التي قد تضر بأعماله الإنسانية للفلسطينيين.

وأضاف أن الاتحاد لم يبلغ بعد رسمياً بالإجراءات الصهيونية وأنه يسعى للحصول على توضيح.

وقال دبلوماسي غربي طلب عدم الكشف عن اسمه إن عددا من عمال الإغاثة الإنسانية الأوروبيين وجدوا صعوبة في الحصول على تصاريح وإن بعض طلبات الحصول على تصاريح لم يرد عليها.

ووفقا لشروط اتفاقية السلام المؤقتة الموقعة عام 1993 يخضع حوالي 150 ألف فلسطيني يعيشون في المنطقة ج وغالبيتهم من المزارعين والرعاة الفقراء لسيطرة الجيش الصهيوني.

وكالات

تحذير من الانتهاكات ضد أطفال سوريا

حذرت الممثلة الخاصة للأمين العام المعنية بالأطفال والصراعات المسلحة ليلى زروقي من استمرار الانتهاكات تجاه الأطفال من قبل جميع أطراف النزاع في سوريا، مشددة على أنه إذا استمر هذا الوضع فسوف يظهر جيل جديد من الأميين.

ووصفت ليلى زروقي، في مؤتمر صحفي عقدته في نيويورك إثر عودتها من زيارة شملت سوريا والأردن والعراق وتركيا ولبنان، ما يحصل في سوريا بالأمر الرهيب، مشيرة إلى أن الانتهاكات تجاه الأطفال لا تزال مستمرة من قبل جميع أطراف النزاع.

وكانت الممثلة الخاصة للأمين العام قد اختتمت زيارة للمنطقة شملت سوريا والأردن والعراق وتركيا ولبنان، اطلعت خلالها على تأثير الصراع السوري على الأطفال الذين يعيشون في سوريا والمنطقة.

وأضافت أن الوضع مستمر بشكل وخيم، حيث لا تزال الانتهاكات مستمرة بشكل يومي تجاه الأطفال بالإضافة إلى العواقب التي تترتب عليهم من قبل الحكومة والمعارضة.

وأشارت إلى صعوبة الوصول إلى الداخل السوري والصعوبات التي تواجهها المنظمات الإنسانية في الوصول إلى المناطق السكنية المتضررة.

وحذرت زروقي من أنه إذا استمر هذا الوضع فسوف يظهر جيل جديد من الأميين، مؤكدة أن الحل السياسي هو الطريق الوحيد لإنهاء الصراع في سوريا.

قصة الإسلام

د. عمارة: قرار دولي بقطع الطريق على ثورات الربيع العربي

قال المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة: إن المجازر التي يتعرض لها مؤيدو الشرعية في وضح النهار، تدل على وجود قرار دولي بقطع الطريق على ثورات الربيع، بعدما أفرزت توجهًا إسلاميًّا يعيد الشرق إلى دوره وريادته الحضارية.

وطالب عمارة بضرورة دراسة ما يحدث والموقف الأميركي الصهيوني الغربي الروسي الصيني؛ لأننا أمام عالم بعضه يرتكب الجريمة والآخر يسكت ويفرح، موضحًا أننا أمام موقف من عودة المشروع الحضاري الإسلامي، مؤكدًا أنهم يريدون عودة الدولة إلى قبضة يد رجال مبارك، ولكن هذا لن يحدث.

وقال: إن مصر الآن في أمس الحاجة إلى قوى مخلصة لن تكون خارج التيار الإسلامي، وعلينا أن ندرس ونهيئ المجتمع لذلك، معربًا عن أمله في دراسة كيفية نجاح النموذج التركي، واستفادة الناس منه.

وأضاف: «نحن أمام مجتمعات غسلت عقولها بالإعلام وأمام قيادات إسلامية تحتاج إلى إعادة نظر ودراسة ما حدث كي تتأهل للملحق وتدخل الامتحان مرة أخرى».

وأضاف عمارة أن «مصر على استعداد أن تقدم المزيد من أبنائها لكي تستعيد دورها، وأن تخرج من مستنقع الكنز الاستراتيجي للكيان الصهيوني، وسيسجل التاريخ موقف التيارات الإسلامية، ومن سينهض بهذه المهمة في القريب العاجل».

وقال: «عندما يكون هنالك ليبراليون وعلمانيون يتعلقون بالديكتاتورية والكنيسة، نحن أمام قوى فاشلة بالشارع تلعب دور الكومبارس»، مؤكدًا أن هذه القوى أفلست ولن يكون لها مستقبل، وما يحدث الآن هو نفس الصورة التي كانت في ثورة يناير: «ثوار في ميادين ورجال مبارك في ميادين أخرى».

مفكرة الإسلام

إغلاق الحرم الإبراهيمي في ليلة القدر ومنع المسلمين من دخوله

في إجراءات مناهضة للمسلمين، أصدرت السلطات «الإسرائيلية» قرارًا بإغلاق الحرم الإبراهيمي بالكامل أمام المصلين المسلمين ليلة القدر من شهر رمضان.

وأكد مدير أوقاف الخليل تيسير أبو إسنينية في بيان صحافي: «سلطات الاحتلال ستغلق الحرم الإبراهيمي في البلدة القديمة بمدينة الخليل بالكامل في وجه المصلين المسلمين، وستستبيح ساحاته للمستوطنين في الخامس من أغسطس المقبل بحجة عيد الأول من سبتمبر الخاص باليهود»، مشيرًا إلى أن إغلاق الحرم الإبراهيمي يتعارض مع قيام ليلة القدر التي تصادف يوم الأحد الرابع من أغسطس وحتى صبيحة الاثنين.

وكانت قوات الكيان الصهيوني قد قامت بتقسيم الحرم الإبراهيمي الذي يعتقد أنه بني على ضريح نبي الله إبراهيم عليه السلام إلى نصفين: قسم خاص بالمسلمين وآخر باليهود منذ العام 1996، إثر قيام مستوطن يهودي بقتل 30 مصليًا خلال صلاة الفجر بالحرم.

وكانت السلطات العبرية تسمح للمصلين المسلمين بدخول الجزء الخاص بهم بالحرم الإبراهيمي طوال أيام السنة، فيما تسمح لهم بدخول الجزء الخاص باليهود طوال عشرة أيام في السنة، وذلك خلال الأعياد الإسلامية وأيام الجمعة وليلة القدر من شهر رمضان، وتسمح لليهود بدخول القسم المخصص لهم طوال أيام السنة، وبدخول الحرم كله في بعض الأعياد اليهودية.

وكالات

تحذيـــر من انهيار جـــزء مـن المسجـد الأقصـــى

حذرت الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات من العمق الخطير للحفريات التهويدية أسفل المسجد الأقصى المبارك، مؤكدة أن الفراغات الأرضية خطر حقيقي قد يؤدي لتداعي جزء منه.

وأشارت المؤسسة في بيان لها الأحد 21 يونيو 2013، إلى وصول الحفريات إلى عمق 4 أمتار في أقصى الطرف الجنوبي الغربي، محذرة من خطورة ذلك ومطالبةً المجتمع الدولي التحرك الفوري والسريع لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من المسجد الأقصى.

وأكدت أن الاعترافات الخطيرة من حكومة الاحتلال الصهيوني بشكل علني وصريح عن هذه الحفريات تأتي في سياق التعنت الصهيوني الرافض لكافة القرارات والمواثيق الدولية من جهة.

وقالت «إن هذه الاعترافات تأتي استمراراً للخطط والمشاريع التهويدية ضد المسجد الأقصى المبارك حتى تحقيق مزاعمهم بإقامة الهيكل على أنقاض المسجد».

المركز الفلسطيني للإعلام

الإســـــلام يتحدّى

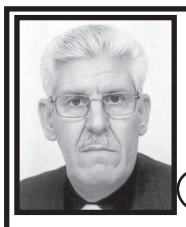

بقلم: محمد الهادي الحسني

حقق الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية نصراً كبيراً على ألمانيا النازية، وكان من نتائج ذلك النصر أن سيطر على كثير من البلدان في شرق أوربا ووسطها، هي التي كونت حلف وارسو، لمجابهة الحلف الأطلسي، وقد فرض الاتحاد السوفياتي - بقوة الحديد والنار - «الفكر» المادي على شعوب تلك البلدان، التي عانت أشد المعاناة، وذاقت العنت من قمع أنظمتها السياسية الموجهّة بأوامر القيادة السوفياتية.

تسلل ذلك «الفكر» المادي إلى البلدان العربية والإسلامية، ففُتن به من كان إيمانهم ضعيفا، وكانت معرفتهم بالإسلام منعدمة أو قليلة، وتميزوا بـ»المراهقة الفكرية»، أي أنهم كبار من حيث السن، ولكن عقولهم كانت صغيرة، ولم تؤت رشدها، حتى إن أحدهم قال مؤخراً في تصريح إلى إحدى الصحف: أنا شيوعي مسلم.

وما ساعد على انتشار هذا «الفكر» أن الغرب الصليبي كان يحتل أكثر البلدان العربية والإسلامية، ويعتدي على هويّتها الإسلامية، ويهين كرامتها الإنسانية، ويصليها ناراً تجعل الولدان شيباً.

واجه أهل الذكر من المسلمين ذلك «الفكر»، وجادلوا عن الإسلام بحرارة وصدق، وأصابهم في سبيل ذلك ما الله به عليم، ولكن أكثر أولئك المجادلين من ذوي المناهج القديمة، ولم يكونوا على اطلاع كاف على هذا «الفكر» الذي كان ///خليا/// كانت تحميه الدبابات، وتفرضه المخابرات.. فبقي الشبان في البلدان العربية والإسلامية يبحثون عمّن يعلمهم المنهج العلمي يواجهون به ذلك «الفكر»، الذي يستهدف دينهم وهويتهم.

وفي عام 1966 برز اسم مفكر مسلم من الهند اسمه وحيد الدين خان، (1925...) وقرأنا في بعض المجلات وبعض الجرائد - بين مادح وقادح - صدور كتاب له استهوانا عنوانه قبل أن نقرأ ونستوعب محتواه، وكان عنوان الكتاب جريئا، لافتا نظر المؤيدين والمعارضين، مغرياً بقراءته، وهذا العنوان اللافت للأذهان هو «الإسلام يتحدّى»، الذي رأينا فيه منهجاً جديدا وأسلوباً علمياً.

كانت حالنا - نحن أصحاب التوجه الأصيل - كحال من كان يسير في صحراء قاحلة يكاد يقتله الظمأ فإذا هو يكتشف بئرا شرابها سائغ، وماؤها عذب، فانكببنا على الكتاب نلتهمه التهاما ولو عسُر علينا هضمه، وكنا كلما فهمنا شيئا منه، أو ظننّا أننا فهمنا، أسرعنا إلى أساتذتنا الذين كان أكثرهم يتبنون تلك النظريات المادية فنحاول أن نناقشهم، وما كان هدفنا إلا استفزازهم، خاصة ذلك الأستاذ الذي كان يردد في محاضرته لازمة هي «كان أجدادنا القردة»..

أحسسنا أننا صرنا نملك - بهذا الكتاب - سلاحا فكريا نجادل به أصحاب «الفكر» الآخر من أساتذة وزملاء.

لقد كان هذا الكتاب يناقش ثلاث نظريات فتنت «المراهقين فكريا»، فاتخذوها آلة تعبد بالباطل، وهذه النظريات هي الداروينية، والفرويدية، والماركسية.

وما زادنا تعلقا بهذا الكتاب ما كتبه صاحب مقدمة الترجمة العربية لهذا الكتاب، وهو الدكتور عبد الصبور شاهين، حيث جاء فيها: «إن خطوات هذا المنهج بنفس الترتيب تكاد تكون طبق الأصل من كتاب أخرجته من قبل مترجما عن الفرنسية هو كتاب «الظاهرة القرآنية» «للمفكر الجزائري مالك ابن نبي».

لقد أكدت الأيام أن الإسلام هو ما ينفع الناس فمكث في الأرض، وقد ذهب زبد غيره، وسيتحقق وعد الله - عز وجل - بإظهار دينه على «الدين» كله ولو كره المشركون، والكافرون، والمراهقون فكريا، وإن جند الله - في كل ميدان - لهم الغالبون.

عن الشروق اليومي

العلمانيون العرب: بداية النهاية

بقلم: عبد القادر قلاتي

تفتح التحولات السياسية في مصر وفي بعض الأقطار العربية، أعيُننا على جملة من الحقائق، كنا لا نصل إليها إلا ضمن دائرة التحليل والقراءة، لكننا اليوم وفي ظلّ ما يحدث من تحولات خطيرة في المجتمع والدولة، نراها رأي العين ماثلة لا تحتاج منّا كبيرَ جهدٍ للوصول إليها.

هذه الحقائق التي أفرزتها الحياة السياسية في مصر كنموذج للقراءة، يمكننا أن نؤسس عليها نقداً أصيلاً، لحركة العلمنة في العالم العربي في مجالها السياسي دون أن يطال جهدنا النقدي النظرية العلمانية في مبناها الفلسفي، داخل المجال التداولي الغربي، لأنه لا يعنينا كثيراً صلاحية العلمانية للمجتمعات الغربية من عدمه، وإنما الذي يعنينا، صلاحيتها داخل المجال التداولي الإسلامي، وهنا مربط الفرس كما يقولون.

لقد انطلقت حركة العلمنة في عالمنا العربي والإسلامي، منذ أن اصطدم العقل الإسلامي بالحداثة الغربية، فلم تكن تلك اللحظة، لحظة وعي حقيقي، بل كانت لحظة فتنة حقيقية، أفقدت العقل المسلم، لبّه، وأوهنت همته وقدرته على التميز والاستيعاب، فخرج من هذه التجربة، مفتوناً لا متعلماً، ومن يومها سلّمت النخب المثقفة التي كانت تتصدر حياتنا الثقافية والسياسية، بحتمية علمنة الدولة والمجتمع، واخترقت حركتها كل المجالات، في التربية والتعليم، والفنون والآداب، وأهمها في السياسة والحكم، لأنه المفصل المهم في حياة الدول والكيانات السياسية، وأزيح الدين بعيداً عن حياتنا الثقافية والسياسية تمثله مؤسسة هزيلة تابعة لمركز السلطة السياسية، كما أزيحت كل المفاهيم الأصيلة في ثقافتنا العربية والإسلامية، وأدخلت مفاهيم جديدة، تنتمي إلى مجال تداولي مختلف، بطرق تعسفية؛ أعاقت عملية التطور والتغيير الطبيعية التي تلحق عادة الشعوب والأمم ضمن دائرة انتمائها الحضاري، وداخل مجالها التداولي.

إن مزاحمة حركة العلمنة لتراث الأمة في الفكر والاجتماع والسياسة، فوّت الفرصة على الأمة في أن تختار نموذجها السياسي، وأن تبدع منظومة تكوينية أصيلة في جدلية التثاقف والمعاصرة، وتحوّل مسار الأمة من مركزية الثقافة الأصيلة المعبرة عن الذات والانتماء الحضاري، إلى التسليم بحتمية الانتماء إلى مركزية الحداثة الغربية، دون إمكانية الولوج الحقيقي لمجالها التداولي، ومن ثم بقيت الأمة تعيش حالة التشوه في السياسة والثقافة والاجتماع، ولم يتم الانتقال السليم إلى حالة الدولة الحديثة لاستحالة ذلك ضمن هذه الشروط.

لم يستوعب العلمانيون العرب مفهوم الدولة الحديثة، وإنما افتتنهم حداثة الغرب، والمفتون مولع دائماً بتقليد المفتون به، وهذا الذي حدث تماماً منذ اكتشفنا النمط الحداثي الغربي، حالة افتتان تحوّلت مع مرور الزمن إلى حالة تقديس، وهنا نريد أن نفهم جيداً كيف تخلى التيار العلماني على آلية الديمقراطية، التي ظلوا يصدعون رؤوسنا بها طوال تاريخنا السياسي المعاصر؟. كيف تخلوا عن أقدس مقدساتهم في لحظة حاسمة ما بين الرجوع إلى نمط الدولة المشوهة -دولة العصابة العسكرية - ولحظة الدفاع عن الدولة الحديثة التي دخلها المصريون باقتدار بعد ثورة 25 يناير؟.

إن الإجابة تبدو كما قلنا واضحة، في ظل ما حدث من انتكاسة سياسية يوم 30 يوليو، التي تحالف فيها العلمانيون مع العسكر، وهي أن التيار العلماني العربي، لا يعيش إلا حالة فتنة بالحداثة الغربية، وليس -أبداً - متشبعاً بأي قيم لهذه الحداثة، فهو في اللحظة الحاسمة يضحي بكل ما ينتجه من خطاب سياسي، المفروض أنه نتاج قيم ما يؤمن بها هذا التيار، وهذا هو التفسير الحقيقي لموقفه الذي فاجأ البعض، لكن من يملك أدنى إطلاع على التاريخ السياسي لهذا التيار سواء في مصر، أو في غيرها من البلاد العربية والإسلامية، يدرك هذه الحقيقة بيسر، والشواهد من التاريخ السياسي العربي والإسلامي، كثيرة، ألم ينجح التيار الإسلامي في تركيا، ويشكل حكومة بقيادة الزعيم الإسلامي الراحل نجم الدين اربكان، ثم قام الجيش بالتحالف مع العلمانيين بإسقاط هذه الحكومة الشرعية، وسلّم السلطة إلى التيار العلماني، الذي فشل فشلاً ذريعاً في بناء دولة حديثة ومقتدرة، إلى أن جاء حزب العدالة والتنمية بقيادة الزعيم الحالي رجب طيب اردوغان، ودفع بتركيا نحو التقدم والرقيّ الحضاريّ، حتى غدت تركيا نموذجاً يُحتذَى في أغلب العالم الإسلامي.

لم تعد هذه الحقائق -كما ذكرنا - خافية، بل أصبحت واضحة لكلّ ذي بصيرة بشؤون السياسة والحكم في عالمنا الإسلامي، وما يحدث في مصر يؤكد هذا الأمر بوضوح، لقد آن الأوان لنعلن بداية النهاية لتيار العلمنة في العالم العربي والإسلامي، وصعود التيار الإسلامي ليتسلم مقاليد المجال السياسي عن جدارة واقتدار، وفي ذلك المستقبل للإسلام.

guellatiabdelkader@gmail.com

يا أهل مصر لا تمنحوا العدو فرصة لضرب الإسلام...

بقلم الأستاذ :محمد العلمي السائحي

إن ما يجري في مصر اليوم، لدليل قوي على أن هناك من يسعى بكل السبل لإقحام مصر في أتون حرب أهلية لا تبقي ولا تذر، وأن هذا الطرف ليس مصريا ويستحيل أن يكون مصريا، وإنما هو طرف آخر لا قداسة عنده لدم الطرف المصري، وإلا كيف يقبل أن يهرق الدم المصري بهذه الغزارة، دون أن تهتز له شعرة أو ينبض له عرق، والأدهى من ذلك أن تتورط المؤسسات الدينية النصرانية والإسلامية المصرية في هذه المؤامرة، التي لا ترمي إلى مجرد استبدال حكم بحكم، أو نظام بنظام، بقدر ما ترمي إلى كسر شوكة مصر وإضعافها حتى يسهل بعد ذلك تقسيمها وتفتيتها إلى دويلات صغيرة ميكروسكوبية لا حول لها ولا قوة، ويبدو أن هذه الحرب الأهلية التي يراد لها أن تعصف ريحها بمصر هذه الأيام بشدة، تهدف إلى ضرب القوة الديمغرافية، إلى جانب إنهاك القوة العسكرية قصد تحقيق توازنا استراتيجيا بين مصر ودول الجوار التي ترى في الكثافة الديمغرافية لمصر خطرا يتهددها، تماما كما فعل بدولة السودان، التي انتزع منها جنوبها، كما لا تزال مهددة بانتزاع أجزاء أخرى منها حتى تتساوى مساحة وسكانا مع الدول المحيطة بها، وليست مصر المستهدفة وحدها بهذا المخطط الجهنمي أو السودان، بل كل الدول العربية وكان العراق هو البداية والمنطلق الذي لا يزال إلى حد الساعة واقعا تحت تأثير هذا المخطط الرهيب، والذي نشاهده في سوريا اليوم من أحداث مروعة لم تخطر ببال أبرع مخرجي أفلام الرعب أمثال «ألفريد هيتشكوك»، هو كذلك مبرمج ضمن هذا المخطط الشيطاني اللعين، وكذلك هو الأمر فيما يجري في ليبيا من تطاحن وصراع حال دون استقرار الأوضاع فيها إلى اليوم، ويندرج في هذا الإطار اغتيال المعارض اليساري التونسي «محمد براهمي» مؤخرا فهو يفضح النوايا الخفية لواضعي هذا المخطط، التي ترمي إلى الحفاظ على ديمومة واستمرار التوتر في المنطقة العربية ليتواصل الاقتتال حتى يسهم في تخفيض الكثافة الديمغرافية فيها وذلك إضعافا لقواها البشرية مما يوهن من قدرتها الدفاعية من جهة، ويقلل من منسوب تدفق المهاجرين العرب والأفارقة إلى الدول الصناعية الكبرى، هذا بالإضافة إلى أن رياح الربيع العربي قد كشفت عن قوة تأثير العامل الديني في أبناء المنطقة وأظهرت بصورة فاضحة ضعف القوى الديمقراطية والليبرالية والعلمانيين عموما، فكانت الحاجة ماسة لكسر شوكة الإسلام والمسلمين ولن يتأتى ذلك إلا بإثارة الفتن وإشعال الحروب في المنطقة واستدراج الإسلاميين إليها حتى تلصق بهم تهمة إشعالها مما ينفر الناس منهم ويستعديهم عليهم فيستحيلون وقودا لها وحطبا، فضلا عن أن كراهية المسلمين تستتبع بدورها كراهية الإسلام، وبذلك يتناقص عدد أتباعه، فيسترد بذلك العلمانيون والليبراليون قوتهم بعد أن كاد التيار الإسلامي أن يجرفهم في طريقه بفعل ما أظهره من قدرة على تجنيد الجموع بمناسبة هبوب رياح الربيع العربي على المنطقة، فكان لابد من التدخل لوضع حد لهذا المارد الذي كان يهدد بابتلاع المنطقة وفرض هيمنته عليها وها هي أحداث مصر وتونس الأخيرة تؤكد أن الإسلام هو المستهدف دون سواه، فيا أهل مصر لا تمنحوا العدو فرصة لضربه، أما أنتم كنانة الله في أرضه..؟

صناديق «الأكفان» بـدلاً من صناديق «الانتخابات» !؟

أ.د فوزي أوصديق
oussedik@hotmail.com

يبدو أن صناديق الأكفان، أصبحت بديلاً لصناديق الانتخابات، وهذه الظاهرة تتفشى دائماً في ظلّ الدول التي قد يصادر، ويسرق فيها أصوات الناس، أو تسرق آمالهم وتطلعاتهم.

أو أثناء الانتخابات العسكرية، وذلك ما حدث في مصر، وبالمناسبة البعض «يحاول» تحاشي في استعمال التسمية، علماً أن الانقلاب العسكري هو عمل ذو طبيعة عسكرية مفاجئة، لهدف مجهول لا يعرفه سوى قادته، أو لهدف صوري غير حقيقي مجمل بشعارات جماهيرية وليست شعبية.

كما يحاول هؤلاء «هدم» النظام السياسي القائم، واستبداله بنظام آخر يخدم أهدافهم الخفية وغير المعلنة، وذلك ما جرى في أحداث 30 يوليو 2013، مما أدخل الدولة والعباد في دوامة أدى لعدم الاستقرار، وزعزعة مكونات الدولة، وبدلاً ما يتم تضميد «الانقسام الحاد» داخل المجتمع تزايد في شرخه.

والمنادات بعسكرة «المجتمع»، والتصدي للانفلات الأمني، من خلال إعطاء «صك على بياض» للنزول للشوارع بحجة التصدي للإرهاب، سابقة في المعاملات والأعراف، وهي شرارة لتبديل الصناديق الانتخابية، بصناديق الأكفان، وهو طريق مجهول قد لا تحمد عقباه، في ظل التشنج والتشاحن، والكراهية التي بدلا ما تردم، تعمق بتصرفات بعيدة عن مفهوم»الدولة».

فالانتخابات وصناديقها ـ إجراء جماعي وتوافقي ـ وضامن مجتمعي للأمن والاستقرار، ولا يجوز شرعاً ولا قانوناً ولا أخلاقاً تغييره بأي إجراء فالاحتكام للميادين والجماهير خارج صندوق الانتخاب «مؤشر» وليس «حكماً» لفشل السياسات أو المسؤول.

وعليه لا يجوز الالتفاف على الصناديق، فأي التفاف أو تحايل قد ينجر عنه عنفاً وعنف مضاد، والتجارب في «عالمنا» عديدة ومتنوعة فالحذر..ثم الحذر، وما نريد إلا الخير كل الخير لأهلنا في مصر.

أقوال حسنة وأفعال سيئة

نعيش في هذه الأيام والأسابيع جلسات ولقاءات تعبدية وتذكيرية، احتفاء بصيام شهر رمضان المعظم، إلى جانب حفلات ساهرة ترفيهية، بنفس المناسبة الرمضانية العابرة التي يطبعها الهدوء والابتهاج...وقد كثرت أثناء الفترة التي انقضت من الصيام خيرات الخضر والفواكه والحلويات بجميع أصنافها.

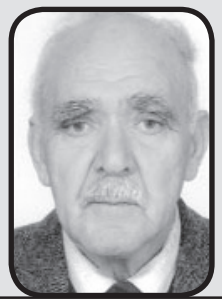

بقلم: الأستاذ إبراهيم قمور

ووجه الأقوياء ماديا الفرصة سانحة لإشباع رغباتهم وإرضاء شدة نهمهم، ولكن بعض الفئات، وهي قليلة، لم تستطع مسايرة موجة ارتفاع الأسعار التي أصابت المعروضات في الأسواق، وذلك بفعل المارسين الموسميين للتجارة، والذين يريدون جمع ما يمكن جمعه من المال في ظلال شهر الصيام والقيام مع الاحتفاظ بحق استعمال الأسلوب المناسب، وينعكس ضوء الهدوء والابتهاج الملحوظين في الإقبال على صلاة التراويح، وما يرافقها من ذكر وتسبيح، وفيما يقع تبادله بين المصلحين من تحيات وتشجيع على الصدقة لمقاومة الفقر والجوع وعذاب الاحتياج، وإضفاء روح التضامن والتكافل بين الناس.

ومعظم الأقوال التي نسمعها في هذه الأيام والأسابيع حسنة لذيذة، فيها رقة ولطافة، وفيها وعي ورضا بالتعايش الاجتماعي العادل، والتعاون التكافلي، والتراحم الأخلاقي، وهناك رغبة ظاهرة في إرادة الصيام الكامل على شكله الواجب، وسعي عملي حثيث للمحافظة على فرائضه ومستحباته ومكملاته وذلك ليكون الجزاء المنتظر منه محققا، غير أن بعض الحالات والمواقف تبين وجود أقوال حسنة وأفعال سيئة في الواقع الميداني اليومي للصائمين كيف ذلك؟ وضبط النفس والكف عن التبذير والغش، والابتعاد عن حيل الخداع والمعاملات الناقصة، والسلوك الذي يحمل في طياته المضرة اللعينة، ثم نرى الأعمال منصرفة إلى الجزع والفزع، والقلق والعنف في اللفظ والسلوك، وضعف التسامح والتراحم وسيطرة البحث عن سبيل امتلاك كل ما لذ وطاب، بقطع النظر عن صوابها أو خطئها.

وهنا تنكشف للناظر حقيقة ساطعة، وهي أن أقوالنا حسنة وأن بعض أعمالنا سيئة إلى درجة ممقوتة، ومنها أننا نشيد بالاجتهاد ونميل إلى التكاسل، ننوه بالإنتاج ولا ننتج، ننادي بالاقتصاد والحرص ونغرق في التبذير والعبث والعنف والفساد المقصود، نذكر الكسب الحلال ونفرط في شروطه ووسائله وأهميته في بناء الحياة الصافية المتوازنة، فما الدافع إلى هذا التباين بين الأقوال والحسنة وبين الأفعال السيئة؟ الدافع إلى هذا التباين المسجل، فيما يبدو يعود إلى طائفة من الأوهام عرض بعضها الفيلسوف «بيكون 1621-1561م» وزعم أنها تتحكم في نوع التفكير وتصرفه إلى الخطإ في التصور والحكم على الأشياء ومنها أوهام «الكهف» وهي تنشأ من طبيعة الأفراد، إذ أن خصائص الفردية لكل إنسان تشبه «الكهف» الذي ينظر من خلاله إلى هذا العالم الواسع، وهذه الأوهام المتصلة بالفردية يحددها المزاج والتربية والثقافة والعلاقات الاجتماعية، وبهذا اللون تكون حصيلة ظروف الفرد المختلفة عن ظروف الأفراد الآخرين، ولذلك نرى كل واحد منا يقدر الأمور ويتأمل القضايا والمشكلات من موقف أوضاعه فتتسم آراؤه بالطابع الشخصي المتميز لأنه لا يستطيع أن يشرك غيره في توزيع أحكامه على سائر الأشياء والمسائل، وفي هذا الاتجاه انغلاق على النفس وأنانية في الرأي.

ومن الدوافع لهذا التباين أيضا أوهام «المسرح» وهي تنشأ من الميل إلى حب وتقديس القديم والتمسك به لمجرد أنه قديم وكفى، وباعتبار القديم يمنح لكل ما هو قديم صفات الصدق والحق والصواب، رغم ما قد يكون هناك من أخطاء عند الأقدمين، ولعله أن يكون قد وقع بالفعل لأنهم أقاموا تصوراتهم وأفكارهم على أساس من الاستنتاجات النظرية والتعميمات السريعة، ولذلك يجدون صعوبة في الانسجام مع الجديد.

إن ما يعرض من معان وقيم رفيعة في الخطب والمحاورات والمشاورات حسن ومفيد وملائم لشهر عبادة الصيام والقيام والسهر للذكر وتلاوة القرآن في إنجاز الخدمات نهارا، والميل إلى التحايل عليها بالغش والغياب والتأخر في الحضور، ومن غير المقبول المبالغة في إضاعة الوقت على حساب المصالح العامة للبلاد والعباد، أفلا يحق أن تكون كافة الأقوال والأعمال حسنة نافعة لبناء وطن يسعى إلى التقدم والنهوض بالنخبة البشرية وغيرها.

من الفســاد السيــاســي تستنســخ الـمـوبقـــات

بقلم:
الأستاذعبد الباقي صلاي*

الفساد الذي منيت به أمتنا العربية والإسلامية أفضى في غالبيته إلى أنماط تسييرية أقل ما يقال عنها أنها بعيدة كل البعد عن الواقع الحقيقي والوضع الراهن لما بعد عصر التكنولوجيا، كما أن هذه الأنماط التسييرية لا علاقة لها بالإفرازات العالمية على مستوى التقدم والتطور الرهيب الذي يشهده العالم في كل لحظة من لحظات الزمن.

ولا أدل على ذلك ما تعرفه الشعوب العربية قاطبة من تدحرج في معيشتها اليومية، وإصابة حالتها الاقتصادية بوباء الغلاء الذي بات يؤرق الأسر العربية بل بات يرهن حتى مستقبلها ومستقبل الأجيال القادمة لما في الأمر من خطورة كون هذه الأسر لم تعد تحتمل عبء مصاريف الحياة من أكل وشرب ومدارس وهلم جرا من مستلزمات الحياة المستعصية.

هذا الفساد السياسي المتوارث عند هذه الأمة هو الذي دفع بالأوضاع العامة إلى التعفن وشيوع اليأس في كثير من المحطات الحياتية، ودفع بالكثرة الكاثرة من الشعوب العربية نحو الإفلاس المقنع، فمن هذا الفساد السياسي استنسخت أغلب الموبقات، ومعظم الأوبئة الثقافية التي مع مرور الوقت أصبحت ديدنا بل دينا وعقيدة يمشي عليها الجميع لاسيما المسيرون سواء كانوا وزراء أو مديرون عامون أو ما دون ذلك. وبما أن الذين وُكّلوا علينا وعلى هذه الأمة كمشرفين على يومياتنا وعلى حياتنا الاقتصادية وحتى الاجتماعية، كونهم استمرأوا الفساد والإفساد والسحت والغلول، فإن الشعوب نفسها ألفت أن ترقب الوضع من بعيد، وتعيش على هامش الحياة أملها فقط في يوم تتغير فيه أحوالهم إلى ما هو أحسن مما هي عليه حاضرا، وهكذا يبقى وضع الجميع معلقا ما بين الفساد وما بين الانتظار وبين الفساد والانتظار من غير المستبعد أن يجرفنا الموج المتحكم في تلابيب هذه الحياة العصرية.

المسيرون عندنا - إلا من رحم ربي- لم يعرفوا واجبهم المنوط بهم كما ينبغي ولو أن أغلبهم يظل يردد مقولة أن المسؤولية قبل أن تكون تشريفا فهي تكليفا، وأنها أمانة وخزي يوم القيامة، لكن الحقيقة أن أغلبهم يعتبر المسؤولية جزء من كيانه ووجوده بل حياته، كما أن أغلبهم يتمنى أن يدوم الفساد السياسي حتى يظلوا في أمكانهم يمارسون هوايتهم المفضلة في احتقار الخلق، وتوظيف الإمكانات التي تحت أيديهم لصالحهم ولصالح أفراد عائلاتهم والمقربين منهم من ذوي الزلفى والأزلام.

هناك من المديرين العامين العرب الذين وجدوا أنفسهم صدفة مسؤولين دون أن يكون ذلك طموحا منهم، يعتبرون أن ذلك المنصب حق لهم بما أن الاختيار قد وقع عليهم من قبل الهيئة العليا التي تختار مثل هذه المناصب العليا، وحتى لا نظلم الجميع فإننا متأكدون أن هناك مديرين عامين أيديهم ناصعة بالبياض، أنقياء وصلوا إلى المنصب بالعمل والمثابرة وليس بالتعيين المباشر، أو بالواسطة المشبوهة، لكن دائما تبقى حالات شاذة لا يمكن بأي حال من الأحوال أخذها كعينة قياس، لأنه ببساطة الفساد استشرى كما النار في الهشيم ولم يعد هناك مجال صراحة للفرز بين ما هو صالح وما هو طالح، وبين ما هو غث وما هو سمين.

الإشكالية في جوهرها ليست في أن مديراً عاماً تم تعيينه لعدم كفاءته، أو أن له صلة بالوزير الفلاني أو بالجهة العليا في الدولة، الإشكالية تكمن في أن هذا المدير العام لا يريد أن يصارح نفسه في المرآة أنه مجرد بيدق لا يساوي شيئا في عالم التسيير والقيادة، فقط أنه محظوظ كونه وجد فرصة سنحت له مقارنة بالآخرين.

كما أن الإشكالية تكمن في أن هذا المدير العام فبدلا من البحث عن نفسه من خلال كم الملفات التي على مكتبه ليعالجها باستشارة أهل المعرفة في ذلك، تراه ينطلق في البحث عن كيفية تحقيق أهدافه في الاستحواذ على أقصى ما يمكن من المتاع، وطبيعي جداً أن يفعل هذا المدير العام كل ما يحلو له بما أنه أولاً جاء بالتعيين فلم يتعب نفسه أو يتذوق مشاق السلم الإداري كما هو معمول به في الدول الغربية التي تحترم نفسها وتحترم مكانة المدير العام، ثانياً أنه يبدو أمام نفسه غير مسؤول تلك المسؤولية المقدرة في الدين والعرف والقانون، فكل ما هنالك أنه يحسب أن هذا المنصب تشريف له وبذلك عليه أن يغتنم الفرصة لئلا ينقلب عليه أولو النعمة ويطرد من نفس الباب الذي دخله أول مرة.

وعندما نقول أن المديرين العامين يسرقون فليس المعنى من ذلك تلك السرقة التي يعرفها القاصي والداني لأنه عندما يتم اختيار شخص لمنصب مدير عام فهذه في حد ذاتها سرقة لكنها سرقة مقننة، لأنه من غير المنطقي أن يأخذ شخص غير كفء مكان شخص كفء، ليعيث بعد ذلك في المسؤولية فساداً ويبيد كل قدرات تلك المؤسسة باسم الاختيار وباسم التعيين، ومن أراد أن يتأكد فليعمل مسحا عاما للمؤسسات في العالم العربي ليقف على صدق ما نقول، أو لا يعمل هذا المسح على الإطلاق يتأمل فقط في نفسه وفي محيطه ويسأل نفسه لماذا نحن متخلفون ومنهكون ومقهورون، سيجد الإجابة حتما لدى المسؤولين عندنا وبطبيعة الحال كل حسب مستواه الوظيفي وإن كان الفساد هو نفسه سواء كان في القاع أو كان في القمة.

لم أرد أن أذكر ما هو مشاع أن مفردة المديرين تكتب مدراء لأن هذا خطأ شائع، وكثير من المديرين من يظن أن عبارة مدراء هي صحيحة وأنا على يقين أن لا أحد من هؤلاء المديرين من حاول عناء نفسه وبحث عن مدلولها اللهم إلا مدلول ما يأخذه وما يستفيد منه.

لكن لو كنت من اللغويين الذين يضبطون أسس اللغة لأمرت بأن تكون مدراء بدلا من مديرين، لا شيء سوى أن مدراء عندما نبحث عن وضعها اللغوي نجدها تقترب من جمع التكسير وهذا الصنف من المديرين لا يعرف من التسيير سوى التكسير، تكسير كل ما تحت طائلته، وما تقع عليه عينه القاصرة على التسيير، أما كلمة مديرين فهي جمع مذكر سالم ولا أحسب أن هذا الصنف يسلم أي شيء يقع ضمن خانة مسؤوليته.

إعلامي ومخرج أفلام وثائقية

التَّجديد الرّوحي والإصلاح الجذري عند مالك بن نبي
تأسيس علم تجديد الصلة بالله - 01

الدكتور: عبد الرزاق بلعقروز*

إنّ مُرادنا في النّص البحثي، هو تسليط الضوء على النواة المركزية التي راهن عليها «مالك بن نبي» من أجل استيفاء الشروط لدخول دورة حضارية جديدة، هذه النّواة متعددة التّسمية في برنامجه النقدي والتأسيسي، فيسميها دافع الإيمان والقوة الروحية تارة وانتفاضة القلب والطاقة الأخلاقية تارة أخرى، والأدهش أنه اقترح لها علما يُعنى بهذا الفضاء الموصول بتغيير ما بالنفوس، وهو برأيه علم لم يوضع له اسم بعد، فاقترح له تسمية «تجديد الصّلة بالله»، وهو ليس من اختصاص جدالات المتكلّمة الذين ينطقون أفكارا مجرّدة؛ وإنّما من اختصاص منهاج التصوّف، لا على طريقة الدروشة والشعوذة، وإنما على طريقة إيقاظ الدّافع الداخلي باعتباره رهانا وأداة نراهن بها من أجل الدُّخول إلى نهضة جديدة في سياقات تاريخية وفضاءات عالمية.

لنقل إذن ومن دون موارية، بأن تجديد القيم وتفعيلها هو المسلك الآمن للنهضة الجديدة، لأن تجديد القيم تعيد وصل الصلة الممزقة بين الفكر والنشاط العملي، أو بين الحقيقة النظرية والحقيقة الفعلية، وأمام هذا؛ فدور الدافع الإيماني في المنهجية الحضارية إمداد المجتمع من جديد بنسغ الحياة والرياح التي منحته الدُّفعة الأولى للحركة؛ فأينما توقّف إشعاع الروح يخمد إشعاع العقل، إذ يفقد الإنسان تعطشه إلى الفهم، وإرادته للعمل عندما يفقد الهمة وقوة الإيمان كما جاء في عبارة «مالك بن نبي».

وإنه ليبدو أن هيمنة ثقافة الإنسان الاستهلاكي والإنسان الاقتصادي والإنسان الجنساني اليوم، وتحويل القيم الثقافية إلى سطوح دون معاني وأشكال خالية المحتوى نتيجة لمفاعيل العولمة؛ يستوجب تجديد الطاقة الأخلاقية وتفعيل الاهتمام بمشروع «انتفاضة القلب» بتعبير «مالك بن نبي» من أجل التصدي لهذه الهيمنة من جهة ومن أجل الارتكاز على الدافع الإيماني لتأسيس النهضة المعنوية الجديدة في مقابل النهضة المادية التي أتى بها الغرب إلى العالم.

أولا. نقد «مالك بن نبي» لمنزلة تفعيل القيم الإيمانية في مشاريع الإصلاح أو نقد الإصلاح الظاهري:

ثمة لفتة من «مالك بن نبي» إلى مشاريع الإصلاح التي راهنت على أولوية إدخال المجتمعات الإسلامية المتخلّفة إلى دورة حضارية جديدة، فقد أعجب بن نبي بهذه الحركات واقترب منها ومن مرجعياتها الإصلاحية، وهذا دليل على كون مشروع «مالك بن نبي» مشروعا إصلاحيا، لكن هذا الاقتراب منها لا يعني مسايرتها في المرجعية وفي المنهج، وإنما اقتراب لإثبات اختلافه عنها ورصد مواطن الخلل في رؤيتها وبرنامجها الإصلاحي، ومن الانتقادات التي رصدها «مالك بن نبي» للحركات الإصلاحية (منها حركة جمال الدين الأفغاني وإرادة الإصلاح السياسي وجهود إمام النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس، وحركة الإخوان المسلمين وجهود الشيخ محمد عبده الرَّاغبة في تجديد علم الكلام) -من هذه الانتقادات- افتقارها للمنهج العلمي وتعشِّيها على مفاهيم بائدة في فلسفة الإصلاح مرجعية ومنهجا، وَقلبُها لثنائية السياسي والأخلاقي في مراحلها العملية.

ومن أقوى الانتقادات فضلا عن هذه، توجيه التفكير والتّشخيص نحو «المرحلة الفكرية» من مراحل الحضارة، وصياغتها بلغة علم الكلام، هذه المرحلة التي راهن عليها دعاة الإصلاح، ووحَّدوا بينها وبين التّجديد؛ في حين أنّ تحليلية «مالك بن نبي»، لا تساير هذا الرأي، لأن علم الكلام لا يؤدي إلى تغيير ما بالنّفس، ولا يعين النّفس على تجاوز وضعها المألوف، فهو يمجّد الجدال وتبادل الآراء، وأقصى مقاصده إفحام الخصوم، فضلا عن أن صلته بالوظيفة الاجتماعية للدّين مقطوعة، وما يواجهه المسلم من تحديات ليس من شأن علم الكلام، فهو في حاجة إلى تغيير الأوضاع النّفسية والاجتماعية حوله، وتغيير النّفس إقدارها على أن تتجاوز وضعها المألوف، وليس هذا من شأن (علم الكلام) بل هو من شأن (التصوف)، أو بعبارة أدق، هو من شأن علم لم يوضع له (اسم) بعد، ويمكن أن نسميه (تجديد الصلة بالله)»2.

إن هذا العلم الجديد هو ما نحتاج نحن اليوم إلى وضع أصوله، وتوسيع فضاءاته، لكن «مالك بن نبي» يستدرك على هذا العلم، من جهة تخليصه من المعاني التي قد تأتي إلى المتلقي في لحظة السماع الأولى، حيث يربط بينه وبين تصوُّف الدّروشة والمرابطين، لأن هذا الشكل من التصوف لا تتعدى دائرته تطهير النّفس من الخطايا، والبحث عن الخلاص الفردي، والحط من قيمة الحياة الواقعية، «على حين يهدف الإصلاح إلى توفير الدافع الدّاخلي لدى جماهير الشعب، تلك الجماهير المتعطّشة إلى (انتفاضة القلب) كيْما تنتصر على ما أصابها من خمود»3.

وهذا هو ملمح الافتراق بين «مالك بن نبي» وبين مناهج الإصلاح المحايثة للحظته التاريخية، لأن الاتجاه الإصلاحي اتجه خاصة إلى الذكاء، أو بعبارة أخرى «أدى بالمشكلة إلى (المرحلة الفكرية) من الحضارة، فهو بذلك يتخطى مرحلة الفرد الجوهرية من مراحل التطور هي: المرحلة الرُّوحية التي تؤدي إلى تغيير الفرد، إلى جانب أنها تؤدي إلى أول تغيير يمكن أن تتعرّض له القيم الاجتماعية»4.

جلي إذن، كيف يراهن «مالك بن نبي» على أولوية التَّعبئة الرُّوحية لتغيير الجانب النّفسي للفرد المسلم، وهذا التغيير يؤدي إلى تغيير شبكة العلاقات الاجتماعية، هنا تتحدّد الطاقة الأخلاقية باعتبارها خميرة القوة ودافع الحركة ونسغ الحياة وأول مرحلة من مراحل الحضارة، أي أن «آلية الحركة التاريخية إنما ترجع في حقيقتها إلى مجموع من العوامل النّفسية الذي يعد ناجًا عن بعض القوى الرُّوحية، وهذه القوى الرُّوحية هي التي تجعل من النّفس المحرّك الجوهري للتاريخ الإنساني»5.

وتتواتر هذه التأكيدات على أهمية العامل الروحي تواترا قويا، في تحليلاته، حيث أن ثمة وحدة بينها وبين الفعَّالية والقوة والدّافعية؛ وبالفعل، فعندما نطالع المشاريع الفكرية الإصلاحية نجدها تُعطي أيضا قيمة للإصلاح الأخلاقي وأولوية التّنشئة الأخلاقية على غيرها من المجالات، «فالنّظرة الكونية الدّينية، المقترنة بالحساب في الآخرة وقدسية القيم الأخلاقية، هي التي تستطيع حفز الأفراد على القيام بالتضحية اللاّزمة، وهذا ما تحققه النّظرة الكونية الدّينية، عبر إعطاء خدمة المصلحة الخاصة منظورا بعيد المدى في هذه الدّنيا وفي الآخرة...إن التاريخ مفعم بالأمثلة عن الحالات التي وصل فيها مجتمع من المجتمعات إلى ذروته نتيجة الإصلاح الأخلاقي، والتقدّم الفكري والاقتصادي يتبع في العموم الإصلاح الأخلاقي، وقد أصاب كروبيير Krooeber حين قال: «لا يحضرني شعب واحد طوّر علما أو فلسفة أو فنّا راقيا، ثم كون نمطا دينيا، وقد أكّد شويتزرSchweitzer أنه «إذا لم يوجد الأساس الأخلاقي، فإن الحضارة تنهار، حتى عندما تكون أكثر القوى المبدعة والفكرية تقوم بدورها في اتجاهات أخرى»6.

ودلالة هذا، أن القيام والحركة لا يمكن أن يحصلا، دون مقدّمات مرتبطة بالوعي والإرادة، أو انتفاضة القلب بتعبير «مالك بن نبي»، وهذه الخلاصة لازمة منطقية عن المقدمة الأولى، أي أن الخلل ليس في التصورات أو المبادئ الكبرى المؤسّسة للإيمان، وإنّما إفقاد هذا الإيمان روحه وفعاليته على مستوى العلاقات والسلوك، وبهذا، فإن «الصحوة الدّينية هي نوع من الالتزام الأخلاقي والحماسة، حالة من القوة الروحية على المادة، حالة من المثالية الحية العملية يصبح فيها الأشخاص العاديون قادرون على أعمال بطولية تتسم بالشجاعة والتضحية، ومن ثم فالصّحوة الدّينية خاصية جديدة للإيمان والإرادة، تتلاشى فيها قيمة المعايير اليومية المألوفة للممكن، ويرتفع فيها الفرد والجماعة معا إلى درجة أعلى من التّضحيات في سبيل تحقيق مثلهم الأعلى»7.

لنقل إذن ومن دون موارية؛ أن الطاقة الأخلاقية أو انتفاضة القلب التي يكون مصدرها الفهم العملي للقرآن وليس الفهم النّظري له، هو أساس الحركة وجوهر إعادة الرّابطة بين شبكة العلاقات الاجتماعية التي تمزّقت بفعل التخلّي عن قوة الإيمان، والركون مرة أخرى إلى نداء الغرائز الذي يحجب قوة الرُّوح ويكبّل طاقتها الانفجارية، التي متى انسابت في نفس إنسان ودخلت شغاف قلبه، استحال إلى شخص آخر وإنسان جديد، تستيقظ فيه دوافع الإيمان وتخمد الغرائز أو يجرى توجيهها نحو قيم التعبّد والفعّالية والرّوحية.

ثانيا: موضوع "علم تجديد الصّلة بالله".

لم يُحدّث «مالك بن نبي» كثيرا في هذا العلم، ولم يبيّن أصوله بصورة منفصلة عن تحاليله لمشكلات الحضارة التي قاربها، وإنما يمكن للمُنقّب أن يستخرج من مشروعه موضوع هذا العلم، لأن أيَّ مبحث معرفة استقل بموضوع ومنهج مخصوصين، جاز له أن يصير علما ويجري تفريع المسائل من أصوله، وهذا الوصف يقترب من موضوع تحليلنا، ولو حق لنا أن نحدّد موضوع هذا العلم لقلنا بأن موضوعه القيم الأخلاقية الإيمانية ذات المصدر الدّيني، من جهة البحث في كيفية نقلها من دائرة الوجود إلى دائرة الحضور، أو من مرتبة الشواهد المُثلى إلى مرتبة النماذج الإنسانية الحيّة التي تتجلى في سلوكها، على أن لا يكون هذا الحضور أو السّلوك فرديا أو واحديا، وإنّما يتحدَّد دور هذه المنظومة القِيَمية الإيمانية في إعادة النّسيج الاجتماعي إلى لحمته من أجل أن يتحرّك هذا النّسيج الاجتماعي وينتقل من حقبة الأرض والغريزية إلى حقبة السّماء والقيمة، لأنه» كلّما حدث إخلال بالقانون الخلقي في مجتمع معيّن، حدث تمزُّق في شبكة العلاقات التي تُتيح له أن يصنع تاريخه»8.

ثالثا: تجديد القيم وتفعيلها أو علم تجديد الصّلة بالله: المحاور الكبرى.

يأتي سعينا التحليلي من أجل استخراج المحاور الكبرى لهذا العلم الجديد والمساهمة في وضع أصول له، مستكملين ما كان «مالك بن نبي» يروم تأسيسه، من أجل إعداد إنسان الحضارة من جديد، بعد أن فقد إشعاعه الإيماني وإرادته للحركة وهمته الرّوحية، فكانت النتائج في واقعنا اليوم : الإنشاد نحو الإسلام الشكلي أو الميكانيكي بتعبير البشير الإبراهيمي، وشيوع الكلام في القضايا الجزئية: إرضاع المرأة للرجل الأجنبي، الحجاب ومدى مشروعيته مثلا، الآراء الفقهية المفصولة عن النّوازل والمستجدّات والمهتمة بالإفتاء في مسائل مفصولة عن هموم الحياة والزمان . هذه المظاهر أعراض على مرض في المبدأ الأخلاقي وعدم ارتباط به وبقوته المحرّكة، من هنا، فإن المحاور المركزية الكبرى التي راهن عليها «مالك بن نبي» من أجل إنجاز هذا العلم الجديد هي تواليا:

1.من معرفة الله إلى الاتصال به

ضمن هذا الإطار الكلي، يوجه «مالك بن نبي» نقده إلى علم الكلام الذي يسعى إلى البرهنة على وجود الله، حاشدا العدة المنطقية الاستدلالية من أجل ذلك، في حين أن التحدي الأكبر ليس هو إثبات وجود الله، وإنّما إشعار الناس بوجوده، وإرجاع الفاعلية لهذه العقيدة الإيمانية وقوتها الإيجابية وامتدادها الاجتماعي، إن المطلوب هو ملء النفس الإنسانية المسلمة بالله سبحانه وتعالى بوصفه مصدر الطاقة، وفي هذا المقام يتبنّى «مالك بن نبي» موقف محمد إقبال تبنيا كليا، «حين نبّه على أن المطلوب ليس العلم بالله، ولكنه في أوسع وأدق معانيه (الاتصال بالله)؛ ليس المطلوب مفهوما كلاميا، ولكنه انكشاف للحقيقة الخالدة وبحسب تعبيره هو (تجلّي هذه الذّات العلوية)»9 .

وبهذا الإجراء النَّقدي التَّجاوزي لمسلك الاتجاهات الإصلاحية؛ يرسي «بن نبي» الأسس الأولى لعلم كلام جديد، علم كلام لا يختزل الطاقة في المهارات المنطقية والجدالية، وإنّما يتجه إلى ملء النفوس المتعطّشة الحيرانة بالقيمة والمعنى، إنه علم عملي وليس نظري، والحقيقة في مواده ليست تطابقا نظريا، وإنما هي كتل من النّشاط الإيجابي المتحرّك ومن القيم الإسلامية العيانية، وهذا ما قاله محمد إقبال في كتابه: تجديد التفكير الديني في الإسلام بخصوص فهم التوحيد والإيمان الإسلامي «وهكذا وجدت الثقافة الإسلامية الجديدة أساسا لوحدة العالم في مبدأ التوحيد، والإسلام كدستور إنما هو الوسيلة العملية لجعل هذا المبدأ عاملا حيا في حياة البشر العقلية والوجدانية... ولما كان الله هو المنبع الروحي المطلق لكل حياة فإن الولاء لله والإخلاص له يساوي بالفعل ولاء الإنسان لطبيعته الخاصة المثالية «10.

إن مشكلة الاتجاهات الإصلاحية رغم أن بداياتها كانت تحتوي على النّفثة الرّوحية والانتفاضة القلبية، إلا أن تعاليمها لم تكن تهدف إلى تكوين مخلصين، وإنما إلى تكوين بارعين في فنون الجدل والمحاكات النّضالية، نمت هذه الاتجاهات الإصلاحية من حيث عدد المنتسبين لها، ولم تنمو من حيث عدد المخلصين الباذلين والزاهدين في قيم الحياة المادية المنفصلة عن القيمة من أجل المبدأ الأعلى، ذلك أن الإخلاص «يتكفّل بتجريد نية المسلم وقصده، من كل ما يؤثر في صفاء علاقته بالله عزوجل، ويصرف بعض مشاعره وإمكاناته خارج دائرة مرضاة الله تعالى في كل علائقه الوظيفية الذّاتية والجماعية... هو لب العبادة ومخها، وأساس القوة، وأصل النجاح، بدونه يفقد الجهد الإنساني مُبرّراته النّفسية العميقة، وتذبل دوافع خيرته، وينزلق نحو دوامات الفعالية الاهتلاكية الهدمية، ويعرض منجزاته للاضمحلال»11.

إن «مالك بن نبي» هنا، يقترب من الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، أو بالأقوى اتجاه فلسفة الدين في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، عندما يجري التأكيد على أولوية التجدُّد النّفسي باعتباره جوهر النّهضة، وعلى التَّوحيد باعتباره صلة بالله أكثر من كونه برهنة على وجوده، ذلك أن فلسفة الدين المعاصرة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر «لا تقصد الدّفاع عن العقيدة ضد خصم معيّن، وإنّما تجديد الفهم لمكوناتها ومقتضياتها في سياق المستجدات الفكرية، ولا تشتغل بالمسائل النّظرية المجرّدة، وإنّما بالمسائل العملية المشخّصة، وبفضل استبدال فلسفة الدين تقرير العقيدة مكان تفهيمها على المقتضى الحديث واستبدالها الاشتغال بالمسائل العملية مكان الاشتغال بالمسائل المجرّدة، تكون عبارة عن حركة اليقظة الفكرية التي يشهدها العالم الإسلامي في عصرنا هذا»12.

والموقف نفسه، نعثر عليه لدى «إسماعيل راجي الفاروقي» في كتابه: «التوحيد مضامينه على الفكر والحياة»، فهو قد ناهض هيمنة المفهوم الكلامي للتوحيد، الذي صور الله باعتباره مبدأ الخلق وعلّته، أو المحرك الأول وحشد كافة الأدلة الأنطولوجية والغائية على وجوده، إن «الفاروقي» في بحثه عن جوهر التوحيد، يُدخل إلى معجم العقيدة الإسلامية مضامين غير معهودة، فهو «لب المعيارية في الكون، وهذا هو البعد من مفهوم الإله الذي تعرض لقدر كبير من البخس في النظرية التي طرحها الفلاسفة التي صورته على أنه إله خلق وانتهى من مهمة الخلق، ويعنى تضمين المعيارية في مفهوم الإله، أنه سبحانه صاحب الأمر والنهي والمدبر لكل ما في الوجود، وعنايته بالكون وبكل ما يصدر فيه من حركات وسكنات وأفعال حقائق لا يرقى إليها الشك، وأن إتباع الإنسان لمشيئته ولإرادته قدر استطاعته، هو أساس قيمة الفعل الإنساني، وتلك الإرادة الإلهية هي التي تحدد للإنسان ما ينبغي أن يكون عليه كل ما في الوجود، حتى في الحالات التي لا يترتب على إنجازها بالفعل، واجبا تكليفيا نابعا منها عليه، ومع أن تلك الذات الإلهية مطلقة وغيبية، فإنها ليست معزولة عما هو قيمي، ولا قابلة للتأكيد عليها على حسابه، ولو قدر للمسلم أن يستخدم هنا مقولة «قيمة المعرفة» وجدنا لسان حاله يقول أن قيمة الغيبي الماورائي هو أنه يقوم بدوره الفاعل بوصفه مصدر: الأمر التكويني أو مولّد الدافعية، أو المعيارية»13.

وبهذا الإجراء التّجديدي الذي رامه «مالك بن نبي»، يكون دور الاتجاهات الإصلاحية هو تعبئة القيمة الإيمانية وتفعيلها في الحياة، وإلا أضحت إصلاحا ظاهريا يَقْلِبُ الأولويات في مراحل الحضارة وخطواتها، فالحاجة إذن ليست إلى الإصلاح الفكري ما لم يسبقه إصلاح روحي أو نهضة إيمانية، ينتفض القلب فيها على القيم السائدة، من أجل تغيير الفرد وتوشيج العلاقات الاجتماعية باعتبارها أساس الحركة في الفكر والحياة، وأساس إعادة الوحدة الممزقة بين الفكر والحياة أيضا.

مراجع

«مالك بن نبي»، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، سوريا : دار الفكر 2006ص 54.2
المرجع نفسه.3
المرجع نفسه، ص 155.4
«مالك بن نبي»، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، سوريا: دار الفكر، 2006، ص 26.5
6 محمد عمر شابرا، الحضارة الإسلامية: أسباب الانحطاط والحاجة إلى الإصلاح، ترجمة، محمد زهير السمهوري، فرجينيا ؤ-م-أ: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، 2012، ص 215-114.
علي عزت بيجوفيتش، الإعلان الإسلامي، ترجمة، محمد يوسف عدس، مصر: دار الشروق، 1999، ص 86.7
مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 53.8
«مالك بن نبي»، وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 155.9
10 محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة محمد يوسف عدس، بيروت، القاهرة: دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، 2012، ص 246.
11الطيّب برغوث، محورية البعد الثقافي في إستراتيجية التجديد الحضاري عند «مالك بن نبي»، الجزائر: دار الشاطبية للنّشر والتّوزيع، 2012، ص -107 108.
12 طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق (مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية)، المغرب، بيروت: المركز الثقافي العربي 2000، ص 224,
13 إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد، مضامينه على الفكر والحياة، ترجمة السيّد عمر، (مخطوط)، متوفر على الموقع الإلكتروني ص 35.

*رئيس فرع الفلسفة، وأستاذ فلسفة الأخلاق، جامعة سطيف 2، الجزائر
Abderrezak19@yahoo.fr.1

التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف: التاريخ والحاضر والمستقبل - 03

إعداد: الدكتور فارس مسدور*
الدكتور كمال منصوري*

المبحث الثاني: البناء المؤسسي - الإداري للأوقاف في الجزائر المستقلة.

خضعت الأوقاف في الجزائر كباقي البلدان العربية والإسلامية لسيطرة الإدارة الحكومية فغداة الاستقلال كان سريان العمل بالقانون الفرنسي من أهم العوامل التي ساهمت في إقصاء الأوقاف من ساحة العمل الاجتماعي،حيث سيرت الأوقاف من خلال مديريات فرعية لم ترق إلى مستوى الأهمية الاجتماعية التي تمثلها الأوقاف.

وبالرغم من التأثيرات السلبية التي تركها التنظيم العقاري على أصناف الملكية قبل الاستقلال بصفة عامة، أو على الأوقاف بصفة خاصة إلا أن الأملاك الوقفية بقيت متواجدة، وكانت تتوزع على أوقاف حبست على المدارس والزوايا والمساجد والكتاتيب بالإضافة إلى الأوقاف الأهلية، وقد دفع وجود هذه الأملاك غداة الاستقلال المشرع الجزائري إلى التفكير في تنظيمها وضبط التشريعات اللازمة لتسييرها وفق نظام قانوني وإداري يستجيب لطبيعة هذه الممتلكات ويتجاوب مع الأهداف التي أنشأت من أجلها، فوضعت مجموعة من القوانين بغية ضمان السير الحسن لعمل إدارة الأوقاف في الجزائر، علما أن هذه الإدارة هي جزء من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في هذا البلد، وأنها مدمجة مع مديرية الحج، حيث أن تسمية الإدارة الأصلي هو مديرية الأوقاف والحج.

-1 تطور الهيكل الإداري الحكومي المسير للأوقاف الجزائرية.

لقد كانت الأوقاف تحمل عنوان وزارة قائمة بذاتها عام 1963م،غير أن الإهمال والتهميش وغياب سياسة وطنية للتكفل بالأوقاف أدى إلى اندثار نظام الوقف وتغييب ثقافته في المجتمع الجزائري،واقتصار إدارة الأوقاف على المستوى الوطني في شكل مديرية فرعية لدى وزارة الشؤون الدينية والتي حذفت منها عبارة « الأوقاف»،حيث أصبحت منذ عام 1965م تحت إشراف مفتشية رئيسية للأوقاف المرتبطة مباشرة بالكتابة العامة بالوزارة،وأما تسييرها فتكفلت به المديرية الفرعية للأموال الوقفية التابعة لمديرية الشؤون الدينية،وازداد وضع إدارة سوء في عام 1968 حين تقلصت هيكلة الأوقاف لتصبح مسيرة من قبل مديرية فرعية تابعة لمديرية الشؤون الدينية.

وفي إطار إعادة هيكلة وزارة الشؤون الدينية ،أنشئت مديرية بمسمى»مديرية الشعائر الدينية والأملاك الوقفية»،وبعد صدور دستور 1989 الذي أقر الحماية على الأملاك الوقفية و عدلت التسمية إلى»مديرية الأوقاف والشعائر الدينية»، حيث كان نصيب الأوقاف منها مديرية فرعية للأوقاف كانت تقوم بمهمة التسيير الإداري والمالي للأوقاف عبر 48 ولاية.

وبعد صدور قانون الأوقاف 91/10 والذي قام على خلفية تنظيم الأملاك الوقفية وحمايتها،وهو يعد بداية عهد جديد ونقطة انطلاق لقطاع الأوقاف في الجزائر، ونظرا لتزايد الاهتمام الرسمي وتوسيع النشاطات الوقفية من خلال عملية استرجاع الأملاك الوقفية المؤممة ومباشرة البحث عن الأملاك الوقفية المندثرة والمستولى عليها من طرف الأفراد والمؤسسات، كان من الطبيعي إيجاد هيكل إداري يستجيب للظروف المستجدة، فاستقلت الأوقاف لتصبح مديرية قائمة بذاتها وذلك بعد صدور المرسوم التنفيذي 94/490 المؤرخ في 21 رجب1415، والمتضمن تنظيم الإدارة المركزية لوزارة الشؤون الدينية.

-2 التنظيم الإداري للإدارة الحكومية في الجزائر

كما أن إدارة الأوقاف في الجزائر ليست إدارة مستقلة قائمة بذاتها، بل هي عبارة عن مديريتين فرعيتين من بين المديريات الفرعية الثلاث التابعة لمديرية الأوقاف والحج، وهذا ما يثبته المرسوم التنفيذي رقم 146/2000 المؤرخ في 28 جويلية 2000 حيث تذكر المادة الثالثة منه أن مديرية الأوقاف والحج تضم تحتها ما يلي :

المديرية الفرعية للبحث عن الأملاك الوقفية والمنازعات.

المديرية الفرعية لاستثمار الأملاك الوقفية.

المديرية الفرعية للحج والعمرة.

-1-2 الإدارة المركزية للأوقاف في الجزائر

يتضح أن إدارة الأوقاف ما هي إلاّ إدارتان فرعيتان من مديرية الأوقاف والحج، ما يجعلنا نسجل بعض القصور الذي يمكن أن ينجم عن دمج هذه المديريات الفرعية في مديرية واحدة، مما يشتّت الجهود لدى العاملين فيها وبشكل خاص لدى مسئوليها، خاصة في أوقات الحج التي تتطلب تفرّغًا كاملاً، مما يعني إهمالاً للجوانب الإدارية للأوقاف في فترات التحضير للحج وفي وقت الحج خاصة.

وإذا بحثنا في تكوين كل مديرية فرعية نجد أن كلاّ منها تتكون من مجموعة من المكاتب عادة ما يكون عدد موظفيها أقل من المستوى المطلوب، وهذا بالنظر إلى المهام الموكلة إلى كل منها، هذه المديريات الفرعية هي كما يلي :

أ/ المديرية الفرعية للبحث عن الأملاك الوقفية والمنازعات، حيث تتكون من المكاتب التالية:

- مكتب البحث عن الأملاك الوقفية وتسجيلها.
- مكتب الدراسات التقنية والتعاون.
- مكتب المنازعات.

ب/ المديرية الفرعية لاستثمار الأملاك الوقفية، وتتكون من المكاتب التالية :

مكتب استثمار وتنمية الأملاك الوقفية.
- مكتب تسيير موارد ونفقات الأملاك الوقفية.
- مكتب صيانة الأملاك الوقفية.

وإذا دقّقنا في كل مكتب نجد أن عدد الموظفين فيه قليل مقارنة مع حجم المهام الموكلة لكل منها، علما أن الأوقاف في الجزائر عانت مدة طويلة من الإهمال والضياع، بما يؤكد فكرة صعوبة مهمة استرجاع الملك الوقفي، وبما يؤكد أيضًا ضرورة توفر الكمّ اللازم من الكوادر والأعوان المؤهلة للعمل في مديرية الأوقاف، هذه الفكرة يمكن أن نعزّزها بشساعة الأرض الجزائرية وتعدّد ولاياتها، حيث يوجد 48 ولاية على مستوى القطر الوطني تتوزع على مساحة تفوق 2.3 مليون كيلومتر مربع، يضاف إلى ذلك أن هنالك ولايات تتوافر على أملاك وقفية قائمة، وأخرى يتم استرجاعها، والباقي في طور البحث، مما يستلزم تخصيص هياكل قائمة بذاتها داخل الإدارة المركزية لمتابعة كل هذه العمليات.

-2-2 الفروع الولائية لإدارة الأوقاف في الجزائر

تتوفر كل ولاية على مديرية للشؤون الدينية والأوقاف، وفي كل مديرية مصلحة للإرشاد والشعائر الدينية والأوقاف ، لكن هذه المصلحة ليست للأوقاف وحدها كما نلاحظ من تسميتها بل أن الأوقاف تأخذ منها مكتبا واحدا فقط هو مكتب الأوقاف إلى جانب:

- مكتب الإرشاد والتوجيه الديني.
- مكتب الشعائر الدينية.

إن هذا التقسيم يجعلنا نؤكد أن مكتب الأوقاف ليست له القدرة على استيعاب أو حمل الأعباء الوقفية بمختلف مشاكلها، خاصة ونحن نتحدث عن الأوقاف في دولة حاول المستعمر طمس كل المعالم الدينية والهوية الوطنية طيلة 130 سنة من الاحتلال، علما أن الأوقاف في الجزائر قبل الاستعمار كانت لها مكانة خاصة لدى الشعب الجزائري.

ما نستطيع ذكره بهذا الصدد، أن مكتب الأوقاف التابع لمصلحة الإرشاد والشؤون الدينية والأوقاف لا يمكن أن يقوم بالمهام الحقيقية التي يجب أن يناط بها موضوع الأوقاف في الجزائر، وإذا فإن رئيس هذه المصلحة سيكون مشتتا بين مشاكل ومشاغل الإرشاد الديني، وأيضا بالأمور المتعلقة بالشعائر الدينية، يضاف إلى ذلك أن في كل مكتب من هذه المكاتب رئيس مكتب ومن يساعده في المهام الموكلة لمكتبه، والتي لا تتوافق من حيث حجمها وأهميتها مع الحجم المعطى له كمكتب.

-3-2 لجنة الأوقاف

عندما تحدثنا عن الإدارة المركزية للأوقاف في الجزائر اتضح أنها ليست إدارة مستقلة (قائمة بذاتها)، بل أنها فرع لمديرية أكبر منها، نفس الشيء انطبق على مصالح إدارة الأوقاف على مستوى المديريات الولائية للشؤون الدينية، لكن الغريب أن هنالك هيكل أو تنظيم آخر يدخل ضمن التنظيمات الإدارية التي ذكرناها، هو لجنة الأوقاف، ولو نظرنا إلى تكوين هذه اللجنة لوجدنا أنها تتشكل من:

- مدير الأوقاف وهو الرئيس.
- المدير الفرعي لاستثمار الأملاك الوقفية وهو كاتب اللجنة.
- المكلف بالدراسات القانونية والتشريعية عضواً.
- مدير الإرشاد والشعائر الدينية عضوًا.
- مدير إدارة الوسائل عضوًا.
- مدير الثقافة الإسلامية عضوًا.
- ممثل عن مصالح أملاك الدولة عضوًا.
- ممثل عن وزارة الفلاحة والصيد البحري عضوا.
- ممثل عن وزارة العدل عضوًا.
- ممثل عن المجلس الإسلامي الأعلى عضوًا.

وإذا نظرنا إلى الصلاحيات الموكلة لهذه اللجنة نجد أنها تتولى النظر والتداول في جميع القضايا المعروضة عليها المتعلقة بشؤون إدارة الأملاك الوقفية واستثمارها وتسييرها وحمايتها، حيث تقوم على الخصوص بما يلي:

- دراسة حالات تسوية وضعية الأملاك الوقفية العامة والخاصة عند الاقتضاء في ضوء أحكام المواد 03-04-05-06 من المرسوم التنفيذي 381-98 المؤرخ في 1 ديسمبر 1998، وتعدّ محاضر نمطية لكل حالة على حدة.
- تدرس أو تعتمد الوثائق النمطية لعمل وكلاء الأوقاف في ضوء أحكام المواد (10-11-12-13) من المرسوم التنفيذي رقم98/381.
- تشرف على إعداد دليل عمل ناظر الملك الوقفي، أو تعتمد اقتراحه، والوثائق النمطية اللازمة لذلك، في ضوء أحكام المادتين 13-14 من المرسوم التنفيذي 98/381.
- تدرس حالات تعيين نظّار الأملاك الوقفية أو اعتمادهم واستخلافهم عند الاقتضاء، وحقوق كل واحدة على حدة، في ضوء أحكام المواد 15-16-17-18-19-20 من المرسوم 98/381 وكيفيات أدائها بوثائق نمطية معتمدة.
- تدرس حالات إنهاء مهام ناظر الأملاك الوقفية، وتعتمد وثائق نمطية لكل حالة في ضوء أحكام المادة 21 من المرسوم التنفيذي98/381.
- تدرس وتعتمد الوثائق النمطية المتعلقة بإيجار الأملاك الوقفية عن طريق: المزاد العلني، أو التراضي أو بأقل من إيجار المثل، وذلك على ضوء أحكام المواد 22-23-24-25-26-27 من المرسوم التنفيذي رقم 98/381.
- تشرف على إعداد دفتر شروط نموذجي لإيجار الأملاك الوقفية أو اعتماده في ضوء فقه الأوقاف والتنظيمات المرعية، تطبيقا لأحكام المادة 23 من المرسوم التنفيذي رقم 98/381.
- تدرس حالات تجديد عقود الإيجار غير العادية في إطار أحكام المواد 27-28-29-30 من المرسوم التنفيذي 98/381.
- تقترح بعد الدراسة أولويات الإنفاق العادي لريع الأوقاف المتاح، والإنفاق الاستعجالي في ضوء أحكام المواد 32-33-34 من المرسوم 98/381، وتعتمد الوثائق النمطية اللازمة لذلك.
- علاوة على ما سبق يمكن للجنة الأوقاف تشكيل لجان مؤقتة تُكلّف بفحص ودراسة حالات خاصة.

ووفق ما ذكرناه من مهام هذه اللّجنة، فإننا نلاحظ أنها تكرس فكرة المركزية في إدارة الأملاك الوقفية في الجزائر، خاصة إذا نظرنا إلى الأحكام الخاصة بالمرسوم 98/381، والتي تتعلق بإدارة الأملاك الوقفية وتسييرها وحمايتها وكيفيات ذلك، مما يوحي بأنّ هذه اللجنة وكأنها اختزال لإدارة الأوقاف في الجزائر، علما أن أعضاءها يتشكّلون من عناصر منهم من لهم علاقة مباشرة بالأوقاف، ونقصد الرئيس والكاتب، بينما الأعضاء الباقون ليست لهم علاقة مباشرة بإدارة الأوقاف، بل وأنهم ليسو من المختصين في ذلك، فكيف يتسنى لهؤلاء أن يحكموا أو أن يدرسوا قضايا متعلقة بقرارات الاستثمار، أو إعادة التقييم، أو إصدار وثائق نمطية، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن الحاجة إلى مثل هذه اللّجنة علما أننا لو راجعنا وأصلحنا إدارة الأوقاف بما يعطيها الاستقلالية ويكرّس فيها النمط اللامركزي لأمكن أن نستغني عن هذه اللّجنة، أو كان يمكن الاستعانة بمثيلتها لتكون لجنة استشارة أو لجنة مداولات على أن يكون أعضاؤها متخصصون في إدارة وتثمير الممتلكات الوقفية.

ثم أننا إذا نظرنا إلى المادة الخامسة من القرار الوزاري 29/99، لوجدنا أن المديرية الفرعية لاستثمار الأملاك الوقفية تتولى مهام الكتابة التقنية للجنة الأوقاف حيث تُكلّف بهذه الصفة بمهام تحضير الملفات التي تعرض على اللّجنة قصد دراستها،وإعداد جدول اجتماعات اللّجنة،إضافة إلى حفظ محاضر ومداولات اللّجنة وكل الوثائق المتعلقة بعملها.

وهذا ما يؤكد فكرة قيامها بوظيفة السكريتاريا لهذه اللّجنة، علما أن هذه المديرية من المفترض أن تكون الأكثر استقلالية، والأكثر تخصصا، لأنّها المعنية باستثمار الأملاك الوقفية حتى لا يندثر، بل وأنها إن قامت بوظيفتها المعتادة أو المألوفة لدى مختلف إدارات الأوقاف في العالم الإسلامي لاعتبرناها العصب الحساس في مديرية الأوقاف عامة.

-4-2 الصندوق المركزي للأوقاف

ما يرسخ فكرة المركزية في إدارة الأوقاف في الجزائر، هو فكرة الصندوق المركزي للأوقاف، حيث تم إنشاؤه بناء على قرار وزاري مشترك بين وزارة المالية ووزارة الشؤون الدينية ويحمل رقم 31 وهو مؤرخ في 2 مارس 1999م، وهو حساب مركزي، يفتح في إحدى المؤسسات المالية بقرار من الوزير المكلف بالشؤون الدينية، علما أنّه يتم فتح حساب للأوقاف على مستوى نظارة شؤون الدينية، لكن الموارد والإيرادات المحصلة فيها تصب في الحساب المركزي للأوقاف، وهذا بعد خصم النفقات المرخص بها.

و يتضح لنا أنّه حتى في الجوانب التنظيمية المالية للأوقاف في الجزائر نجد فكرة المركزية أكثر تجذّرا، ذلك أنها تلغي تقريبا كل دور مالي للمصالح الفرعية للأوقاف على مستوى الولايات، اللّهمّ إلاّ تلك الجوانب المتعلقة بالنفقات التي تنظمها المادة 33 من المرسوم التنفيذي 98/381.

يتبع

رؤيـــة

بقلم: الدكتور مسدور فارس
abouabdelbassetfares@yahoo.fr

مافيا استيراد السيارات في الجزائر

قرأت رقما مفزعا يقول أننا استوردنا في السداسي الأول من هذه السنة ما يعادل 4.3 مليار دولار من السيارات، والقارئ لهذا الرقم يدرك أن هذا المبلغ ضخم جدا وأننا أسرفنا في استيراد السيارات بشكل غير عقلاني، ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا أسئلة كثيرة من بينها:

من هو المستفيد من استيراد السيارات في الجزائر؟ وكيف يتم تمويل هذا الكم المهول من السيارات؟ ثم هل نحن في حاجة إلى استيراد هذا الكم من السيارات في بلادنا؟ وهل هي أولوية في الاقتصاد الوطني؟

والواقع أن الجواب على السؤال الأول واضح، حيث أن المستفيد الأول من استيراد السيارات في الجزائر هم الأجانب، حيث أننا نضمن لهذه الدول موردا هاما من العملة الصعبة، وتمويلا لميزانياتنا وإضافة في ميزان مدفوعاتها، فوق كل هذا وذاك ضمان لاستمرار أداء متميز لصناعاتها، بل وتطويرا لها، يضاف إلى ذلك الحفاظ على مناصب الشغل، بل توسيع التوظيف مع تزايد أرقام الأعمال المسجلة معنا في هذا القطاع.

والعجيب أننا نسهم في مكافحة البطالة في أوروبا وآسيا وغيرها من القارات التي نستورد منها سياراتنا، وشبابنا يعاني من شر البطالة، وعجزنا أن نجد لهم مناصب شغل مستقرة تغنيهم عن اللجوء للحرام لتمويل معيشتهم.

ثم الأغرب والأعجب أن بنوكنا العمومية والخاصة هي من تمول عمليات الاستيراد الضخمة للسيارات، ويمنحها البنك المركزي عملة صعبة لتمويل زبائنها المستوردين، والمثير للاشمئزاز أن صيغ تمويل الاستيراد تلزمنا أن ندفع للأجنبي أمواله مدة قبل تنفيذ عملية الاستيراد عن طريق صيغة القرض المستندي، ويرسل السلعة على أقل من مهله، ما يجعل التعطل عند المشترين الصغار يصل إلى حدود الستة أشهر، وهذه المدة في نظر الاقتصاد البنكي أموال طائلة وإيراد يتعلق بتدوير المال، لكن يتم التعامل معنا على أننا أغبياء لا نعرف شيئا في الخدع المصرفية والتجارية.

أما الجواب على السؤال الثالث والرابع فالكل يدرك أن من بين أهم أولوياتنا أن نطور القطاع الصحي عوض أن يموت في كل سنة 28000 حالة من السرطان، حيث نعتبر من الدول الأشد تخلفا في مكافحة جميع أنواعه، ونسب الوفيات الناجمة عن هذا المرض مرتفعة جدا، تدل على أننا لم نطور قطاعنا الصحي ليقف في وجه مثل هذه الأمراض الخطيرة.

إن من بين أهم أولوياتنا تطوير قطاع السكن والقضاء على السكنات الفوضوية والقصديرية، وتمكين المواطن من أن يعيش حياة سعيدة عوض المعاناة الطويلة مع هذه المعضلة الاجتماعية التي تسببت في شرخ رهيب في المجتمع.

عوض أن نستورد 4.3 مليار دولار سيارات كان الأولى أن نمول البحث العلمي الراقي التطبيقي الذي يمكن من إنتاج السيارة الجزائرية، والطائرة الجزائرية، والكمبيوتر الجزائري، وبشكل عام تطوير التكنولوجيا الجزائرية في شتى المجالات، ولم لا تطوير الصناعة الحربية، وغيرها من المجالات التي نحتاج أن نكون من الدول المتفوقة فيها.

ثم عوض أن نستورد هذا المبلغ سيارات كان يمكن أن ننجز 430 مصنع دواء يغنينا عن استيراد دوائنا بالمليارات من الخارج، ونطور مخابرنا وصناعتنا الصيدلانية.

كما كان يمكن أن نبني مصانع في بلادنا لصناعة السيارات بالشراكة مع الألمان أو الأمريكان أو الاسبان، أو غيرهم من الدول التي تعاني من أزمة خانقة وهي مستعدة للتنازل عن تكنولوجيات متطورة للخروج من أزماتها.

هذا المبلغ كان يمكن أن يسهم في تطوير قدراتنا في تكرير البترول عوض أن نبيعه خاما ويرجع إلينا بأثمان باهضة مكررا، ونحن قادرون على نبني محطات لتكريره في بلادنا، وتطوير قطاع المشتقات البترولية حتى لا نبقى مربوطين بأسعار المحروقات العالمية.

والأدهى والأمرّ أن هذا المبلغ الضخم لو خصص لتطوير القطاع الفلاحي وتربية الحوانات لتمكنا في العام الأول من الاستغناء بنسبة كبيرة عن استيراد حليبنا وقمحنا وغذائنا من الخارج.

ما أدري ما الذي أصابنا، ما أدري إن كنا فقدنا عقلنا، وفقدنا أولئك الرجال العقلاء والحكماء والخبراء الذي ما كان الواحد منهم ليسكت أمام هذه الكارثة التي تسببت في ضياع المال العام، وتخريب اقتصادنا.

إنني موقن أن من بين أهم المستفيدين من هذا الرقم الخاص باستيراد السيارات تلك الشرذمة من المافيا الاقتصادية التي أصبحت تتحكم في كل صغيرة وكبيرة في اقتصادنا، وازدادت قوة بعد أن ضعف دور الدولة في مكافحة الفساد والفاسدين، وعليه فلن يصلح حالنا ما دام هؤلاء موجودون ويفرضون قانون الغاب في الاقتصاد الوطني، فحسبنا الله ونعم الوكيل في كل من هو قادر على أن ينقذ اقتصادنا ولم يفعل شيئا بل بقي متفرجا دون أن يحرك ساكنا...لك الله يا جزائر...لك الله يا جزائر.

معالجات إسلامية

شهر رمضان ... شهر الذكريات والبطولات

بقلم الشيخ الدكتور/يوسف جمعة سلامة*

شهر رمضان شهر الفتوحات والبطولات والانتصارات ، شهر حافلٌ بالأحداث الجسام التي نصر الله فيها دينه ، وأعلى كلمته وأعزَّ جنده ، وأذلَّ أعداءه وهزم شراذم الكفر والطغيان، فقد امتنَّ الله فيه على المسلمين بالنصر والتمكين ، إعلاءً للحق وأهله ، وإزهاقاً للباطل وزمرته ، فكانت هذه الانتصارات نبراس هداية لأبناء الأمة الإسلامية ، ودرساً عظيماً لهم بأن الله ينصر عباده المؤمنين المتقين، كما في قوله تعالى : {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} (1) .

ومن المعلوم أن الأمة الإسلامية كانت عبر تاريخها الطويل على موعد مع الفتوحات والانتصارات في شهر رمضان المبارك ، ففي هذا الشهر المبارك وقعت أهم أحداث التاريخ الإسلامي الظافر، فما مِنْ معركة وقعت في شهر رمضان المبارك إلاَّ وكان النصر فيها حليف المؤمنين المُوَحِّدين، لقربهم من الله سبحانه وتعالى في شهر الصيام وبعدهم عن الدنيا، فكافأهم الله بنصره، حتى دانت لهم الدنيا وطأطأ لهم الجميع إجلالاً واحتراماً، ورفرفت راية الإسلام عالية خفاقة في كل مكان، ومن صفحات الماضي الزاخر بالأمجاد الخالدة ، نُقَدّم سجلاً لأبرز الانتصارات والفتوحات التي حدثت في هذا الشهر المبارك:

* غزوة بدر الكبرى: وكانت في السابع عشر من شهر رمضان المبارك، وَسُمِّيت «يوم الفرقان» الذي فَرَّق فيه الله بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وهي أول المعارك المهمة في التاريخ الإسلامي، فقد نصر الله فيها المسلمين على أعدائهم المشركين، كما امتنّ سبحانه وتعالى على النّبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام- رضي الله عنهم أجمعين- بنعمة النصر التي أنعم بها عليهم، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ}(2)، على الرغم من أنَّ عدد جيش العدو قد بلغ ثلاثة أضعاف عدد المسلمين، كما أن عُدَّته أضعاف عدتهم، كما في قوله تعالى: {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (3)، وقولَه أيضا: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ* وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(4).

ويوم بدر هو اليوم الأغرُّ في جبين التاريخ، وكانت هذه الغزوة أول انتصار حاسم للإسلام على قوى الشرك والباطل، {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}(5)، وبعث الله جلَّ جلاله الملائكة الكرام لتشهد المعركة تثبيتاً للمؤمنين، وسحقاً للكافرين {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}(6)، كما ورَوَى ابن عباس- رضي الله عنهما- أنَّ النّبي - صلى الله عليه وسلم - قال يوم بدر: (هذا جبريل آخذٌ برأس فرسه عليه أداة الحرب)(7).

* فتح مكة: وكان في العشرين من شهر رمضان المبارك سنة 8 هـ، وهو الفتح الأعظم الذي أعزَّ الله به الإسلام ونصر جنده المؤمنين، وطهرَّ به بيته المحرَّم أول بيت وضع لعبادة الله على وجه الأرض من رجس الأوثان والأصنام، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وقد كان هذا الفتح من أَجْلِ نصرة المظلومين ووفاء بالعهود.

ومن المعلوم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عاد إلى مسقط رأسه مكة بعد ثماني سنوات فاتحاً بعد أن أُخْرِج منها، عاد إليها على رأس جيش بلغ أكثر من عشرة آلاف من المسلمين، وقد دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة المكرمة دخول الشاكرين لله -عزَّ وجلَّ-، دخلها وهو راكب على ناقته تواضعاً لله وشكراً، وكادت جبهته - صلى الله عليه وسلم - أن تَمَسَّ عنق ناقته، وكان يُرَدِّدُ قوله تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} (8).

وسيطر الرعب على أهل مكة خوفاً من أن ينتقم منهم - صلى الله عليه وسلم - نتيجة أفعالهم معه ومع أصحابه، فقال لهم: (يا معشر قريش، ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم)، فما كان منه - صلى الله عليه وسلم - إلا أن قال لهم قولته المشهورة: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

هذا الخُلُق الذي غاب وللأسف عن البشرية، حيث نرى الحروب منتشرة في أجزاء كثيرة من العالم، بينما الإسلام دين الرحمة والحب والسلام للبشرية جمعاء.

* معركة عين جالوت: وكانت في الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة 658هـ، ولولا هذه المعركة التي كان النصر فيها حليف المسلمين المؤمنين، الذين قاتلوا بكل قوة وإيمان وحب للشهادة أو النصر، لقضى التتار على العالم الإسلامي، ولكنها إرادة الله الذي نصر جنده وأولياءه الصالحين، وَتُعتبر معركة عين جالوت من الصفحات المشرقة في التاريخ الإسلامي المجيد، حيث استطاع الجيش المسلم بقيادة سيف الدين قطز ومساعده الظاهر بيبرس أن يهزم الجيش المغولي (التتار) الذي قَتَل المسلمين وَدَمَّرَ ديارهم عبر طريقه الطويل من منغوليا حتى فلسطين.

* فتح عمورية: وهو من الذكريات الإسلامية الخالدة في هذا الشهر المبارك، نتيجة ما أكرم الله به المسلمين من النصر المُؤَزَّر، وقد تم ذلك في السادس من شهر رمضان سنة 223هـ بقيادة الخليفة العباسي المعتصم، وقد خلدها الشاعر أبو تمام بقصيدة مطلعها:

السيف أصدقُ إنْباءً مِنَ الكُتُبِ
في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ

ومن الجدير بالذكر أن الخليفة المعتصم من قادة المسلمين العظام الغيورين على دينهم وعلى أعراضهم، حيث استجاب - رحمه الله- لصرخة إحدى النساء المسلمات (وامعتصماه)، فحاصر عمورية وأمر بهدمها، وعاد منتصراً رافعاً راية الإسلام عالية خفاقة.

*معركة العاشر من رمضان: وكانت في العاشر من شهر رمضان المبارك الموافق السادس من أكتوبر سنة 1973م، حيث انتصر جنود الحق على المحتلين، وارتفعت رايات الحق عالية خفاقة، فقد كانت معركة العاشر من رمضان علامة فارقة في التاريخ الحديث، وهناك معارك شتّى عبر التاريخ الإسلامي حدثت في هذا الشهر المبارك.

فعلينا أن نستفيد من هذا الشهر المبارك بأن نُغَذّي أرواحنا فيه بالإيمان واليقين، وأن نُقَوّي الصلة فيه بربنا، وأن نستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

دروس وعبـــــر

إنّ شهر رمضان المبارك سجلٌّ تاريخيٌّ حافلٌ بالأحداث العظام في تاريخ الإسلام، فهو شهر البطولات والانتصارات، فعلى المسلمين أن يدرسوا تاريخهم المجيد، لالتقاط العبر والعِظات، وصدق الله العظيم {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (9)، ومن هذه الدروس والعبر:

- النصر لا يكون إلا من عند الله سبحانه وتعالى .
- الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله سبحانه وتعالى .
- الأخذ بمبدأ الشورى.
- التضرع إلى الله سبحانه وتعالى والاستعانة به.
- الثقة بالله، بأنه ما بعد العُسْر إلا اليسر ، وما بعد الضيق إلا الفرج .
- رصُّ الصفوف والمحافظة على الوحدة ، فَمِنْ أسباب النصر تآلف القلوب ووحدة الصفوف، كما قال الشاعر:

كونوا جميعا يا بَنِيَّ إذا اعتـــرى
خَطْـــبٌ ولا تَتَفرَّقوا أفْرادا
تأْبَى العِصِيُّ إذا اجتمعْن تَكَسُّرا
وإذا افْتَرقْنَ تكسَّرتْ آحَادا

اللهم هيِّئ لنا من أسباب النصر ، ما به نَصْرُنَا وعِزَّتنا وكرامتُنا .

تقبل الله منا ومنكم الصلاة والصيام والقيام
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

الهوامش :

-1 سور الروم الآية (47)
-2 سورة آل عمران ، الآية (123)
-3 سورة البقرة الآية (249)
-4سورة الأنفال، الآيتان (10-9)
-5 سورة الأنفال الآية(17)
-6 سورة الأنفال الآية (12)
-7 أخرجه البخاري
-8سورة الإسراء ، الآية (81)
-9 سورة الحج الآية (40)

* خطيب المسجد الأقصى المبارك
وزير الأوقاف والشئون الدينية السابق
www.yousefsalama.com

ما قل ودل

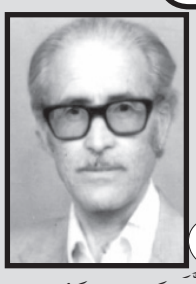

نسو الله فأنساهم أنفسهم

الأستاذ : محمد الصالح الصديق

قال الله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}(الحشر:19).

الناس في غفلـــة

ولا تكونوا كالذين نسوا حق الله، فجعلهم ناسين حق أنفسهم، فلم يسعوا في هذه الدنيا فيما ينفعهم عاجلا وآجلا، فضاعت أعمارهم سدى يحاسبون عليها يوم القيامة، دون أن ينالوا من ورائها شيئا!

من فكر في عواقب الدنيا، وتقلب أحوالها، أخذ الحذر، وسعى في إصلاح نفسه، وتقويم سلوكه، والاتجاه نحو الحسن!

والعجيب في أمر الإنسان أن نفسه تغلبه على ما يظن، ولا يغلبها على ما يعتقد ويوقن، فتراه يؤثر العاجلة على الآجلة مع أن العاجلة ليست إلا جسرا إلى الآجلة.

فمن انساق مع هواه، وانقاد لنفسه فيما يشتهي، ونسي أوامر الله ونواهيه فقد نسي ربه، فكان من الفاسقين الهالكين، ومن أظلم لنفسه ممن شغله ما يفنى على ما يبقى.

لا أشد غبنا ممن نسي نفســه

إن جل الناس يميلون إلى الغفلة، وينسون أن حياتهم قصيرة فوق الأرض، وأن الحكمة اغتنامها في البناء، وليس هناك أشد غبنا ممن أنساه الله نفسه، فغفل عما يبقى وآثر ما يفنى، والناس صنفان: صنف دائم اليقظة، دائم الحركة، دائم المراقبة لله تعالى، يحركه كل ما في هذا الكون للسعي، والإنتاج، والإبداع، والبناء، وهذا يعد طوال عمره حيا، وصنف نائم الضمير، ميت القلب، لا يتحرك لمأثرة ولو كانت على كثب منه ولا يهمه من تقدم ومن تأخر، ومن بج وبح ومن خسر، همه الوحيد أن يبقى قادرا على الاستهلاك: استهلاك الوقت، واستهلاك الطعام، وهذا يعد ميتا وإن كان في عرف الناس حيا، وهذا قد نسي الله فأنساه نفسه.

قصة رجل عنده كل شيء ولكنــه...

قرأت قصة رجل أوتي مالا وفيرا، وجاها عظيما، وكان تحت يده نساء فاتنات، وكان يستطيع أن ينال كل لذة مادية يريدها، ومع ذلك أقدم على الانتحار فرارا من الفراغ الرهيب الفظيع الذي كان يحس به، فعندئذ تأملت هذه الآية العجيبة، ذات ظلال وإيحاءات وأبعاد: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ}.

وأية عقوبة أكبر، من أن ينسى الإنسان نفسه؟

وأي شقاء أعظم من أن يهيم الإنسان في هذه الحياة بلا رابطة تشده إلى أفق أعلى، وبلا نور يأتنس به ويهديه في ظلمات الحياة؟

وأي ضلال أفظع من أن يعيش الإنسان في هذا الوجود بلا هدف يرفعه عن السائمة التي ترعى؟

فالذين غرقوا في الشهوات والملذات، قد نسوا أنفسهم، فلم يدخروا لها زادا للحياة الطويلة الباقية، ولم ينظروا فيما يجب أن يقدموا لها في الغداة من رصيد!

{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}(الكهف:104-103).

من أنواه الرجال

الشهيد العربي التبسي

: Ż ł Ǵ Ǯ ƒ ʒ Æ ѕ Ш Ǫ ǩ ł Æ ǩ Ɛ ü ǩ ł ư Ǿ ǂ ǩ ł ğ Ǩ ā
₺ Ǩ Σ ʒ Ǯ Ǹ Ğ Ш Ǯ ʒ ǫ p Û ý ū q ѕ Ш Ǯ ʒ ǫ Ǩ ƀ Ǿ Q Ũ ł ʅ é
Ǯ ʒ ǫ p Û ɳ Q ǫ Ǩ Ğ ǩ ł ɳ ǩ Ǹ Σ Ɛ ǩ ł ł Æ ǩ Ǩ Ǯ Ƭ ʎ Ǯ ʒ Ǹ ə Ɛ ǂ ł Q é
Ǹ Ǯ ʒ ѕ Ǿ ǩ Ü ý ƀ ƀ Ǿ Ш ǫ ŷ Ƭ Q ə Ǩ Ш Æ ǫ ѕ Ǯ ǩ ł T Q Ã ǩ ŭ ə y Ƀ Ш
ǵ Q Ǿ ʎ Ɛ ü ǩ ł Ɛ ǂ Ш ƀ ǫ ǩ p Û ý Ǯ Ǿ ŏ ũ ₶ Ǹ Ǯ ₺ ǫ Ê ѕ â ł
ø ɳ ü Σ ʒ Ɛ Ø Ŭ Á ǩ ƒ ø ù ѕ ƀ ǫ ǩ p Û ý ū á Ǯ Z Ÿ Ǯ Ǩ ǂ ł Ш ł
Æ ģ Æ Q ǩ ł Ǩ Ǿ Ă Ǩ ʎ à ₶ p Ŭ y Ш ǩ ₶ p Θ Ǩ ə ł Ɛ U ǩ ł G ₹ Q ơ
. ù Ø ƀ Ƭ ǩ ₶ K Ď ƀ á Y ý ʃ j p Û K Ď ƀ ǫ ₹ ǫ ý ʃ j p Û K Ď ƀ ã Ê Ƀ ǫ ý ʃ j

من ذخائر المكتبة الوطنية

موطأ المهدي بن تومرت

مخطوطة عمرها أكثر من ثمانية قرون

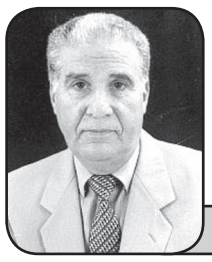

بقلم: نوار جدواني*

«ضمن مجموعات المكتبة الوطنية، وفي قسم المخطوطات تحت رقم 424، توجد مخطوطة نادرة عمرها ثمانية قرون ونصف قرن هجري، تحمل عنوان «موطأ المهدي بن تومرت» وهي عبارة عن موطأ الإمام مالك بن أنس المتوفى سنة 197هـ، وبرواية يحي بن عبد الله بن بكير المخزومي المتوفى سنة 231هـ، لكن الراوي اختصر السَّند في هذه الموطأ واكتفى بالراوي الأول للحديث وسنده متصل من عبد المؤمن بن علي الذي أملاه في أول رمضان المعظم من عام 515 للهجرة برباط «هرغة» ببلد السّوس «المغرب الأقصى» إلى أن يصل بالسند إلى أبي زكريا يحي بن عبد الله المخزومي عن الإمام مالك رضي الله عنه».

وقبل الحديث عن هذه المخطوطة التي تعتبر من أقدم ما تملك المكتبة الوطنية من مخطوطات، ومن نوادرها، وما تزال في حالة جيدة... لابد أن أتحدث -باختصار- عن الشخص الذي تُنسب إليه هذه المخطوطة، أو رويت عنه، فمن هو هذا الرجل الذي وصفه المؤرخون بأنه كان أسمر اللون، رَبعة القد، عظيم الهامة، حديد النظر، داهية، أبيًّا، فصيحا، أديبا.

هذا الرجل الذي لم يُنجب أولادا من صُلبه، لكنه ترك أتباعا على امتداد المغرب العربي، من الأندلس حتى برقه «ليبيا» ويُنسب إلى قبيلة من قبائل المغرب العربي تُدعى «هرغة» (وهي إحدى بطون القبيلة الكبرى) «مصمودة» وموطنها الأصلي بلاد السوس بالمغرب الأقصى، إنه المهدي ابن تومرت.

يذهب كُتّاب التراجم والسير إلى أنّ ابن تومرت مهدي الموحدين يرتفع نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب على هذا النحو: محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، بن هود، بن خالد، بن تمام، بن عدنان، بن سفيان، بن صفوان، بن جابر بن عطاء، بن رباح، بن محمد، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب! هذه واحدة.

وشجرة أخرى تنسبه هكذا: محمد بن عبد الله، بن وجليد، بن يامصل، بن حمزة، بن عيسى، بن إدريس، بن إدريس، بن عبد الله، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب!!

ذكر هذا النسب ابن القطّان في كتابه: «الجُمان» وذكره أيضا العلامة ابن خلدون في كتابه: «العبر وديوان المبتدأ والخبر».. لكن البعض من القدامى يُشكّك في هذا النسب، كالذهبي في كتابه: «تاريخ الإسلام» الذي يقول عنه: كان يدّعي أنه حَسَني علوي.. وكذلك ابن أبي زرع في: «روض القِرطاس» الذي ينعته بأنه: «دَعِيٌّ في ذلك النسب الشريف» وأيضا ابن العماد في كتابه: «الشذرات» وابن أبي دينار في: «المؤنس».

وينحو منحَ القدامى مجموعة من الباحثين المحدثين في هذا الرأي منهم: الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه: «عصر الموحدين والمرابطين» وأيضا المستشرق بروفانسال في كتابه «الإسلام في المغرب والأندلس».

ابن تومرت، مهدي الموحدين، صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب، وواضع أسس دولة الموحدين الكومية، نسبه إلى «كومية»، وهي إحدى القبائل التي تقطن بضواحي «ندرومة» بغرب الجزائر.

هذا القائد العظيم الذي كان الأبَ الروحي لدولة وحدت شعوبا وقبائل تمتد من الأندلس حتى بَرْقة، في وحدة شاملة، قيل عنه إنه على مذهب الأشاعرة أتباع أبي موسى الأشعري، ويوافق المعتزلة، أتباع واصل بن عطاء في بعض آرائهم، ويبطن شيئا من التشيع!

عن هذا الزعيم الروحي الذي لقب نفسه بالمهدي، وأخذ البيعة عن ذلك بإحدى القرى الجزائرية بالقرب من بجاية، ترجم لحياته مؤرخون كثيرون قديما وحديثا، نشير إلى بعض منهم على سبيل المثال لا الحصر:

-ابن أبي زرع، في: "روض القرطاس".
-ابن الأثير، في: "الكامل في التاريخ".
-ابن خلدون: في: "العبر وديوان المبتدأ والخبر".
-ابن خلكان، في: "وفيات الأعيان".
-ابن القاضي، في: "جذوة الاقتباس".
-ابن القطّان، في: "الجُمان".
-ابن قنفذ، في: "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية".
-الحَمَوي، في: "معجم الأدباء".
-الذهبي، في: "تاريخ الإسلام الكبير".
-البيذق الصنهاجي، في: "أخبار المهدي بن تومرت".
-السلاوي الناصري: "الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى".
-بروفانسال، في: "الإسلام في المغرب العربي".
-روني باسي، في: "دائرة المعارف الإسلامية".

وغير هؤلاء كثيرون، كما كتب عنه الدكتور عمار طالبي في تقديمه لكتاب: أعز ما يُطلب... والأستاذ سعد زغلول، وأخيرا الدكتور عبد المجيد النجار في بحثه القيم: المهدي ابن تومرت، حياته، وآراؤه، ثورته الفكرية والاجتماعية، وأثره بالمغرب، وهي رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر، نشرت عام 1983 بدار الغرب الإسلامي (لبنان).

في إحدى القرى القريبة من مدينة بجاية وتدعى «رباط مَلاّلة» حيث كان ابن تومرت يجلس للتدريس في المسجد الذي بناه له أهلها أثناء عودته من رحلة العلم إلى المشرق العربي، التقى بشاب يدعى «عبد المؤمن بن علي» ولد بقرية قرب «ندرومة» هذا الشاب الذي سيكون له شأن في نشر دعوة ابن تومرت، وتأسيس دولة الموحدين، ورواية آثار أستاذه، منها المخطوطة موضوع هذا الحديث.

موطأ المهدي ابن تومرت مخطوطة سنة 590هـ

ضمن مجموعات المكتبة الوطنية، وفي قسم المخطوطات تحت رقم 424، نجد مخطوطة نادرة عمرها ثمانية قرون وأربعة وأربعون عاما هجرية، تحمل عنوان «موطأ الإمام مهدي ابن تومرت» التي تنسب للإمام مالك بن أنس المتوفى سنة 197هـ، لكن الراوي اختصر السّند في هذه النسخة، واكتفى بالراوي الأول للحديث، وسنده متصل من عبد المؤمن بن علي، الذي أملاه في أول رمضان المعظم من عام 515 للهجرة، برباط «هرغة» ببلد السوس «المغرب الأقصى» إلى أن يصل بالسند إلى أبي زكريا يحي بن عبد الله المخزومي عن الإمام مالك رضي الله عنه.

لكن في النسخة المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 840 نقرأ ما يلي: «حدثنا سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المنصور الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو محمد عبد المومن بن علي أعلى الله أمره، وأعز نصره بحضرة مراكش حفظها الله بكرة يوم الاثنين الثالث من ذي الحجة سنة 544هـ، قال: حدثنا الإمام المعصوم المهدي المعلوم أبو عبد الله محمد بن عبد الله رضي الله عنه وأرضاه غرة شهر رمضان المعظم عام 515هـ، برباط هرغة، ببلد السوس، قال حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن منصور الحضرمي، قال حدثنا الفقيه أبو محمد بن عبد الله بن الوليد، قال حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي زيد، قال حدثنا الفقيه أبو بكر محمد بن محمد بن اللباد، قال حدثنا الفقيه أبو زكريا يحي بن عبد الله بن بكير المخزومي عن مالك بن أنس عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخَّر الصلاة يوما...» إلخ.

عدد نسخ هذه المخطوطة:

لقد أحصت فهارس المخطوطات التي اطلعنا عليها أن عدد نسخ موطأ المهدي ابن تومرت أربعة، تتوزع بين مكتبات المغرب والمكتبة الوطنية بالجزائر، وجميع هذه النسخ مكتوبة على الرق «جلد الغزال» مع اختلاف بسيط في بعض العناوين، لكن المحتوى في جميعها واحد.

-1النسخة الأولى: توجد بالخزانة العامة بالرباط وتحمل رقم 840ج، وتاريخ نسخها يعود إلى عام 544 هجرية، وهي تحمل عنوان «موطأ ابن تومرت» وقد كتبت قبل نسخة المكتبة الوطنية بستة وأربعين (46) عاما هجرية.

-2النسخة الثانية: بالمكتبة الوطنية (الجزائر) وهي مصنفة تحت رقم 424، فهرس ادموند فانيان، وقد نشرت في الجزائر سنة 1905 في مطبعة فونتانا بمقدمة من الأستاذ محمد أبو القاسم الحفناوي بيّن فيها أهمية هذه المخطوطة.

-3النسخة الثالثة: وتوجد أيضا بالخزانة العامة بالرباط، وتحمل رقم 1222، وتاريخ نسخها سنة 597، أي بعد النسخة الجزائرية بسبع سنوات، وتحمل عنوان: «موطأ الإمام المهدي».

-4النسخة الرابعة: توجد بخزانة جامع القرويين تحت رقم 181-40 بها بَتْرٌ في آخرها، وبذلك يُجهل تاريخ نسخها واسم الناسخ، وهي الوحيدة التي تحمل عنوان «محاذي الموطأ».

وصف مخطوطة المكتبة الوطنية:

المخطوطة تقع في سفرين يضمهما مجلد واحد، عدد ورقاتها 288 ورقة، يبدأ السفر الأول منها من ورقة (1) إلى ورقة (153) ويبدأ السفر الثاني من ورقة (154) إلى ورقة (288) ومقاسها 180 ملليمتر عرضا، في 210 ملليمتر ارتفاعا، وأما المساحة المكتوبة فهي 115 ملليمتر عرضا في 140 ملليمتر ارتفاعا.

أما عدد الأسطر في الورقة أو المسطرة كما يقول علماء فهرسة المخطوطات فمتفاوتة، تكثر وتقل، بحسب ما في الورقة من عناوين، فنجد -مثلا- في ورقة واحدة ثمانية (8) عناوين، فهي إذن قليلة الأسطر تكاد عناوينها تتساوى مع أسطرها، وصفحة مقابلة بها عنوان واحد، وبقية الورقة مكتوب مثال الأول، الورقة رقم 52 (ظهرا) نجد بها هذه العناوين:

-ما يعطى للعاملين على الصدقات.
-في من لم يؤدِّ زكاة ماله حتى مات.
-في زكاة الفطر.. وجوب زكاة الفطر.
-في من أخرجها من شعير أو غيره.
-في من تجب عليه زكاة الفطر.
-في من لا تجب عليه زكاة الفطر.
-وقت إخراج زكاة الفطر.
-في الأمر بصلة الرحم.

وعلى الورقة المقابلة 53 (وجه) نقرأ عنوانا واحدا هو «المواساة» وقد لا يكتب تحت العنوان سوى نصف سطر، مثل ما نقرأ في باب «ما يعطى للعامل على الصدقات» فهو يقول فيه: «قال مالك ليس للعامل على الصدقات فريضة مسماة إلا على قدر ما يرى الإمام».

والنسخة الموجودة بالمكتبة الوطنية ليس فيها مقدمة أو ديباجة كما هو معروف في التصانيف القديمة، ولكنها تبدأ هكذا: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما»، وبعده مباشرة عنوان في الأوقات.

العناوين:

جميع العناوين مكتوبة بالخط الثلث الكبير المذهب، مشكولة باللون الأزرق الغامق، كما أن الخطاط استعمل اللون الأزرق وبخط مغربي متميز في الكلمات التي يبدأها، مثل: عن، وعنه، وقال، وكتب، وكان، وفي حديث، ومالك، ولا يجعل لها ألفا فهو يكتبها «ملك» كما يكتب رمضان بدون ألف أيضا (رمضن)... وإذا اجتمعت قال مع مالك كتبهما معا باللون الأزرق المميز (قال ملك).. وفي نهاية كل حديث يرسم ثلاث نقط كبيرة الحجم مذهبة على شكل إجاصة «كُمّثرى» يحيط بها إطار أسود دقيق جدا.

والخط مغربي أندلسي بلون أسود فاخ، يكاد يكون بنيا غامقا، دقيق جدا، يحتاج في أغلب الأحيان إلى عدسة مكبرة لقراءته مع ضيق شديد في الأسطر، وقد يكون ذلك بسبب أنه مكتوب على الرَّق الجيد الصنعة مما يُهدى للملوك، وهي بالفعل هدية لملك كما سنرى بعد قليل.

وأول المخطوطة باب «في الأوقات» وآخرها.. «آخر صفات رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في حبه للمساكين، وزهده في الدنيا، وفي سكناه في بيت مظلم، وفي أكله الشعير وغيره، وفي لباسه صلى الله عليه وسلم، وفي ركوبه، ومشيه: عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي قُباء ماشيا وراكبا».

وجاء في الورقة الثانية (وجه) وفي إطار مزخرف بديع، وبالخط الثلث الكبير المذهب ما يلي: النَّسْخُ للحضرة العليّة السامية السنية، القدسية، الإمام الأوحد، الأنجد، الأجود، الأزهد أمير المؤمنين أبو يوسف بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين خلد الله ملكهم، وأنمى ملكهم، وهدانا بنور سليله الأطهر الأزكى الأمير الأجل أبو عبد الله أعلى الله أمره بعزه آمين.

وفي بداية السفر الثاني (وجه) نجد إطارا آخر مزخرفا مكتوب بداخله: السفر الثاني من موطأ الإمام المهدي رضي الله عنه، وفيه من الكتب: الضحايا- العقيقة- الذبائح- الصيد، وعلى الإطار الخارجي لهذا المستطيل المزخرف كُتب بخط دائري: النكاح، الطلاق، الرضاع، البيوع، الشفعة، الرهون، الإجارة، المساقاة، القِراض، الهبة، الفرائض، المكاتبة، التداين، العقود، الأشربة، الحدود.

وفي آخر المخطوطة نقرأ: تم السفر الثاني من موطأ الإمام المهدي رضي الله عنه، وبتمامه تَمَّ جميع الديوان والحمد لله حَقَّ حمده والصلاة على محمد رسوله وعبده، والرضى عن الإمام المهدي والخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين من بعده بعزته آمين، وفي عام تسعين وخمسمائة، وكُتب للخليفة الإمام العدل أمير المؤمنين أبو يوسف بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين، خلد الله ملكهم وأنمى ملكهم بسليله الأطهر الأزكى الأمير الأجل الأوحد الأتقى أبو عبد الله أيده وأعلى يده، عبدهم المنقطع إلى أفضالهم وأجمالهم سعد بن يوسف بن سرليس..

تلك كانت نظرة سريعة على رائعة من روائع المكتبة الوطنية، مضى على نسخها حوالي ثمانية قرون ونصف القرن، وما تزال بحالة جيدة لم يلحقها التّلف، ولا نالت منها الحشرات الضارة التي عادة ما تفتك بالمخطوطات، وتأتي على رصيد هائل منها، إذا لم تكن هناك عناية، وبذلك تتسبب في إتلاف الكثير منها وخاصة المنسوخة على الرقوق، وذلك ما شاهدناه في زوايا جنوبنا الكبير الذي يحتفظ بالعديد من المخطوطات.

رحم الله أوائلنا فقد أعطوا العلمَ حقَّه، واهتموا بصناعة الكتاب، فاهتدوا إلى مادة يكتبون عليها تقاوم عوامل الطبيعة قرونا طويلة حتى وصلتنا سليمة، تحمل في ثناياها ثقافة حضارة امتدت قرونا وأضاءت ظلمات الكثير من بقاع العالم.

ولنا عودة -إن وجدنا فرصة مناسبة- للحديث عن رائعة أخرى من روائع المكتبة الوطنية.

*مكلف بإحياء تراث الجمعية

قضايا فقهية معاصرة

حكم الإجهاض بسبب الاغتصاب

د. حنان مسلم فتال يبرودي

يكون الحمل دائماً ثمرة لقاء بين رجل وامرأة، إما بطريق مشروع عن طريق عقد نكاح صحيح شرعي، وإما عن طريق غير صحيح لا يقرّه الشرع يأخذ صوراً عدّة، منها: عدم وجود عقد نكاح شرعي صحيح، أو الزنى والسفاح، أو الإكراه على الزنى، وكل هذه الحالات قد تتبّعها الفقهاء، وبيّنوا حكم الله عز وجل فيها، كما بيّنوا احترام الإسلام للروح الإنسانية الناجمة عن مثل هذا اللقاء.

وأما عن حكم إسقاط الحمل نتيجة الاغتصاب: فلم يرد في كلام الفقهاء عنه عبارات واضحة، ولعلّ السبب في ذلك كونه مدرجاً أو تابعاً للحكم العام للإسقاط، ولذلك فالحكم فيه لا يخرج عن دائرة ما تمّ التوصل إليه من ترجيح في حكم الإجهاض عموماً عند الفقهاء، مع توضيح النقاط التالية:

1. إن كان الحمل قد تجاوز فترة نفخ الروح فيه، وهي أربعة أشهر، أي مائة وعشرون يوماً: فلا يجوز إسقاطه مطلقاً؛ لأنه قتل نفس، وإزهاق روح.

2. إن كان الحمل لا يزال فيما قبل الأربعين يوماً، فلا تردد أبداً في جواز إجهاضه حالة الاغتصاب؛ لأننا إذا قلنا بجواز ذلك للحاجة، فلا حاجة أشدّ من رفع الضيق والحرج الناجم عن هذا الاغتصاب.

كما يمكن الاستئناس بما ذكره بعض المالكية: من جواز إقامة الحد على الزانية إذا كان حملها قبل الأربعين، وقالوا: لا ينتظر وضع الحمل؛ لأنه قبل الأربعين لا حرمة له، ونص عبارتهم هو: «ومتى تقدم للمرأة أربعون يوماً من يوم زنت؛ انتظر حملها، وإلا حدّت؛ لأنه قبل الأربعين مضغة لا حرمة لها».

3. وإن كان مضى على الحمل أربعون يوماً، ولم يصل إلى نفخ الروح: فيباح إسقاطه؛ لما يلي:

- لأنه يندرج تحت القاعدة التي سبق ذكرها، وهي: «الحاجة تنزل منزلة الضرورة، عامة كانت أو خاصة». فيباح للمرأة التي حملت نتيجة الاغتصاب إجهاض حملها، ما دام لم تنفخ فيه الروح، بل لعلها أعظم حالات الحاجة التي تلحق بالضرورة؛ لما يمسُّ المرأة من طعن في شرفها وسمعتها، ولما تتعرض له من أذى شديد على المجتمع، إضافة إلى عدم الرغبة بهذا الحمل الناتج عن عدو حقيقي لها، فبأي نفس ستربي هذا الطفل، وبأيّ وجه ستستقبله عائلتها ومجتمعها؟!.

بل ومراعاة لحال هذا الطفل - الذي لن يجد له مكاناً في نفوس من حوله، ولن يحظى بقلب رؤوم يلوذ به - يباح الإجهاض هنا.

ولكن حتى لا يكون الحكم عامّاً، فلابدّ من وضع ضوابط وشروط لهذا الحكم، وتشمل ما يلي:

-1 أن تتحقق حالة الاغتصاب بشروطها الواردة في باب الإكراه التام، أو الملجئ، والذي سبق تعريفه، بحيث لا يبقى للمرء معه قدرة على الاختيار، وتحقق شروط الإكراه الملجئ، وهي:

أن يكون المكرِه قادراً على إيقاع ما هدد به، والمكرَه عاجزاً عن دفع هذا الإكراه، ولو بالفرار.

أن يغلب على ظن المكرَه أنه إذا امتنع عن فعل ما أكره عليه، أوقع به المكره ما هدده به.

أن لا يظهر من المكرَه ما يدلّ على اختياره ورضاه.

أن يكون ما هُدِد به فوريّاً.

-2 أن يتمّ الإجهاض فور معرفة حصول الحمل، وزوال سبب الإكراه، دون تأخر غير مبرر، وإلا كان التأخر دليل رضا من المرأة بهذا الحمل.

-3 أن تتمّ عملية الإجهاض بإشراف طبي مأمون، وبإذن من جهة المرأة، وكذلك أولياؤها، أو من قبل جهة رسمية تحققت من حالة الاغتصاب.

أن لا يكون قد مرّ على الحمل أربعة أشهر؛ لأن ذلك إزهاق للروح.

الحكمة الطبية في تأخير السحور

هناك حكم شرعية وصحية لتأخير السحور، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تسحروا فإن في السحور بركة» وكان صلى الله عليه وسلم أعجل الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً.

ووجبة السحور هي الوجبة الرئيسية مقارنة بالإفطار فإذا كان الإفطار يمد الجسم بالطاقة خلال فترة الليل التي يتخللها سكن ونوم فالسحور هو الذي يمد الجسم بالطاقة المحتاجة لوقت أطول وفترة فيها عمل وإجهاد عضلي وفكري، لذلك فإن الأمر بوجوب السحور وتأخيره إلى ما قبل طلوع الفجر له فوائد صحية لا يمكن تجاهلها أو التهاون بها. والإنسان العادي بإمكانه الصبر عن الطعام والشراب لمدة من 15-18 ساعة مع قدرته على مواصلة نشاطه اليومي دون عناء ودون أن يتأثر جسمه سلبياً وإذا استمر الصيام لأكثر من 20-24 ساعة تبدأ الوظائف العضوية للجسم بالتأثر السلبي من الصوم فيظهر الإعياء والخمول وقلة التركيز والآلام في المعدة.

وهناك حالات صيام طويلة سجلت في أبحاث طبية أثبتت أن بالإمكان الصوم عن الماء لعدة أيام وعن الطعام لعدة أسابيع ولكن هذا يصاحب في الغالب بمشاكل صحية وتلف لبعض الخلايا ويعتبر الإنسان في هذه الحالة مريضاً ويحتاج إلى عناية مركزة لاستعادة حيوية الخلايا.

د.عبدالرحمن الجمعة

مفاهيم ومصطلحات

مفهوم الدولة في الإسلام وإشكاليات المفاهيم الغربية

حاتم الحاجري

احتدم النقاش حول الدولة الدينية والدولة المدنية، وفي بداية الأمر تم تقديم الدولة المدنية على أنها المقابلة للدولة العسكرية، ثم تغيَّر الطرح فأصبحت الدولة المدنية هي المقابلة للدولة الدينية، حيث أعرب الكثير من المنتمين للتيارات الليبرالية والعَلمانية عن دعوتهم إلى أنْ تكون الدولة مدنية لا مرجعية للدين فيها، فلا دخل للدين في السياسة بزعمهم.

وتم الترويج للدولة المدنية على أنها رمز للتحرر والتقدم والحداثة، أما الدولة الدينية فهي رمز للتسلط والطغيان والجمود، وكأنَّ البشرية لم تعرف في تاريخها إلا هذين النموذجين، وغاب نموذج الدولة الإسلامية عن أي طرح، وفات أولئك أنْ يفتشوا في تاريخهم، وأنْ يرجعوا إلى أصولهم وهُويتهم، ونسوا أو تناسوا أنه لا سبيل للنجاة إلا بالاعتصام بكتاب الله وبسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اختلاط المفاهيم:

بدا من الواضح أنه هناك خلطٌ بين بعض المفاهيم المتعلقة بالدولة لدى كثير من المسلمين، وذلك بسبب وقوعهم ((في تأثير بعض النظريات الغربية التي تُخالف نصوص كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلَّم، أو تُخالف أصلاً من أصول الدين أو على الأقل، متابعتها قَبْل التثبُت ومراجعة أصول الإسلام ومقرراته وأحكامه، فنجد أنَّ بعض الكُتَّاب يُسَوِّق الرأي الغربي، أو النظرية وكأنها هي الأصل)) [الاتجاهات العَقلانية الحديثة - أ.د. ناصر العقل (ص435)].

فَعَلَت الأصوات المنَفِّرة من الدولة الدينية، المطالبة بدولة مدنية وديموقراطية، دون الإلمام الكامل بمعاني هذه المصطلحات أو نشأتها، وتعددت التفسيرات والتأويلات لمصطلحات الدولة المدنية والديموقراطية والدولة الدينية، مما استلزم الرجوع لأصول تلك المفاهيم والمصطلحات لمعرفة المقصود الحقيقي منها، وماذا أراد بها مَن أطلقها، ثم الحكم بعد ذلك بمدى موافقتها للشريعة الإسلامية، وبمدى حاجتنا إلى استخدامها، وهل لدينا ما يغنينا عنها أم لا.

جولة مع المصطلحات:

الدولة المدنية: وهي التي يكون القائمين على الحُكم فيها لا يمثلون رجال الجيش ولا رجال الدين، فالحكومة المدنية هي ((المقابلة لِلحكومة الدينية، أو حكومة الإله... وهي وسيلة الأمة -بخلاف العسكر- لفرض القانون والنظام، وتُستخدَم للتفريق بين السلطة الدينية والسلطة اللادينية، أو السلطة العَلمانية)) [الحكومة المدنية: نشأتها، ومهمتها، ومصيرها - دافيد ليبسكوم].

الدولة الديموقراطية: حيث تكون ((السلطة العليا في الدولة، تحت سيطرة، ومِلكاً للشعب، حيث يمارس الشعب تلك السلطة بطريق مباشر، أو بطريق غير مباشر عبر نظام تمثيلي عادةً ما يتضمن انتخابات حرة)) [الموسوعة البريطانية (Democracy)].

الدولة الدينية: أما الدولة الدينية، فلا تجد مَن يتكلم عنها الآن إلا ويذكر نموذجين فقط:

النموذج الأول: دولة الثيوقراط.

والنموذج الثاني: دولة ولاية الفقيه.

- أولاً: الدولة الثيوقراطية:

وهي الدولة التي ((يُعتبَر فيها الإله هو الحاكم المدني الأعلى وتُحكَم فيها السلطات الدينية ممثلةً له)) [قاموس الورلد بوك].

وكان هذا النموذج من الحُكم هو السائد في أوروبا في القرون الوسطى، حيث كانت ((الكنيسة ماردا جباراً وطاغوتاً جائراً يملك كل مقومات البقاء ولوازم الاستبداد، ويُريد أنْ يُسيطر على كل شيء ويُسَيِّر كل شيء وفق إرادته وهواه.

ولم تدع الكنيسة جانباً من جوانب الحياة دون أنْ تمسكه بيدٍ من حديد وتغله بقيودها العاتية، فهيمنت على المجتمع من كل نواحيه الدينية والسياسية والاقتصادية والعلمية، وفرضت على عقول الناس وأقوالهم وتصرفاتهم وصاية لا نظير لها البتة.

وإنَّ التاريخ ليفيض في الحديث عن طغيان الكنيسة ويُقَدِّم نماذج حية له في كل شأنٍ من الشؤون)) [العَلمانية سفر الحوالي (ص127)]، هذا في الوقت الذي كانت فيه الدولة الإسلامية حاملةً لشُعلة الحضارة والتقدم في العالم.

فـ ((الأقطار التي لم يشملها نور الإسلام - لا سيما في أوروبا الهمجية - ظلت ترزخ تحت نير الطغاة، وظل الفرد الأوروبي عدة قرون يعبد الهين من البشر: الامبراطور والبابا.

الأول يدَّعي أنَّ له الحق في حُكم الناس وفق مشيئته ويخضعهم لهواه، والثاني يُبارك خطواته ويُلزم الشعب بطاعته لأنَّ ذلك يأمر به الله وتمليه السماء)) [العَلمانية سفر الحوالي (ص216)].

- ثانياً: ولاية الفقيه.

كما هو الحال في الدولة الصفوية بإيران، حيث ((يرى الشيعة الإثني عشرية وجوب عصمة الإمام، بحيث يحصُل للمكَلَّفين القطع بأنه حُجَّة الله، وأنَّ قَوْلُه قَوْلُ الله تعالى وقَوْلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحُكمُه وجوب طاعته والتسليم له)) [مع الإثنى عشرية في الأصول والفروع - أ.د. علي السالوس (ج1/ص284)].

وفي زمن الغيبة، يكون رجال الدين هم وكلاء الإمام الغائب إلى أنْ يخرج من السرداب.

وكِلا النموذجين يخالف ويغاير مفهوم الدولة الإسلامية عند أهل السُّنَّة والجماعة.

مفهوم الدولة في الإسلام:

الدولة الإسلامية تختلف في الهدف، والوظيفة، ومصدرية التشريع، والشمولية، عن غيرها من النماذج البشرية الوضعية التي شهدها التاريخ الإنساني.

وظيفة الدولة الإسلامية:

الوظيفة الرئيسية للدولة الإسلامية هي إقامة الدين وسياسة الدنيا بالدين، ففي الإسلام ((وظيفة الدولة القيام على الدعوة الإسلامية، وإقامة الشريعة الإسلامية، وقيادة الأمَّة وفق هذه الشريعة)) [نحو ثقافة إسلامية أصيلة - أ.د. عمر سليمان الأشقر (ص349)].

مصدرية التشريع في الدولة الإسلامية:

تقوم الدولة في الإسلام على تشريع رباني المصدر، وبالتالي فهو تشريع معصوم لأنه من لدن العليم الخبير. فـ ((إنَّ الدَّوْلة الإسلامية جَعل دستورها مُسْتَمَدًّا من كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتستمد منهما أمهات الأخلاق وأساسيات العقائد، فهو قانونهم الأكبر الذي ترجع إليه كل القوانين الفرعية.

إنَّ من أهداف مرحلة التمكين وضع نظام نابع من الإسلام ومصادر الشريعة، يتناول كل مناشط حياة الناس الفردية والعامة)) [فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم - د. علي الصلابي (ص440)].

والحُكم في الدولة الإسلامية نابع من شرع الله، فـ ((إنَّ المُسْتَنَد القانوني للحُكم في الدولة الإسلامية هو الإسلام، فالقوانين التي تحكم في الدولة الإسلامية هي من عند الله، وإطاعتها على ذلك واجبٌ لا بُدَّ منه، والإنسان تطمئن نفسه إلى طاعة ربه وخالقه، بقدر ما تنفر من طاعة قوانين بشر مثله)) [نحو ثقافة إسلامية أصيلة - أ.د. عمر سليمان الأشقر (ص347)].

الدولة الإسلامية لا تفصل بين الدين والسياسة:

وهذا يختلف عما يدعو إليه العَلمانيون من الفصل بين الدين والدولة، وبخلاف الدولة المدنية التي لا دخل لحكم الدين في شؤونها، ((فالله شَرع الأحكام التي تُنظم المجتمع الإسلامي، وطالَب المسلمين بتنفيذ هذه الأحكام، ومعاقبة المتمردين على تلك الأحكام، بإقامة الحُدود والقَصاص من المعتدين، وكل ذلك يحتاج إلى سلطة سياسية)) [نحو ثقافة إسلامية أصيلة - أ.د. عمر سليمان الأشقر (ص343)]، وتلك السلطة السياسية هي الدولة الإسلامية.

والشريعة الإسلامية حددت ملامح الحُكم في الدولة، فـ((إنَّ الدستور الإسلامي للدولة الصالحة يشتمل على قواعد ونُظم تقوم بتوضيح نظام الحُكم، وتنظيم السلطات العامة وارتباط بعضها ببعض، وتحديد كل سُلطة من السلطات الثلاث، التشريعية والقضائية والتنفيذية، بكل دقة ووضوح، وتوضيح حقوق الأفراد على الدولة وواجباتهم نحوها، والحقوق بكل تفصيلاتها معنوية ومادية، وكذلك الواجبات والالتزامات، ووضع القوانين المفَصِّلة للدستور)) [فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم - د. علي الصلابي (ص443)].

والدولة في الإسلام مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة، فـ((إنَّ أجيال المسلمين في الماضي البعيد والحاضر القريب، توقن إيقاناً راسخاً بأنَّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين دولة الإسلام وعقيدة الإسلام، فقُوَّة الدولة رفعة للعقيدة وحماية للعقيدة، ومما يدُل على عُمق الشعور بالارتباط بين الدولة والعقيدة لدى جماهير المسلمين خلال التاريخ الإسلامي أنه - وكما هو موجود بكثرة في كُتُب الحديث والسِيَر والتاريخ - كان علماء المسلمين وقُوَّاد جيوشهم وأفاضل كل عصر، إذا بايعوا الخليفة (منذ عهد أبي بكر فمَن بعده) يبايعونه على كتاب الله وسُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فربطوا البيعة بالكتاب والسنة لتظل الدولة قائمةً عليهما، ولتستمد بقاءها ومبرر وجودها من الحفاظ عليهما)) [فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم - د. علي الصلابي (ص436)].

هل هناك فَرْق بين الدولة الإسلامية والدولة الدينية الثيوقراطية؟

يختلف مفهوم الدولة في الإسلام عن مفهوم الدولة الدينية الثيوقراطية التي عرفها الغرب في عصور الظلام، وأوجه الخلاف نذكر منها:

نظام الحكم:

في الدولة الدينية الثيوقراطية، نظام الحُكم ديكتاتوري، ((والحُكم الإسلامي بريء من الديكتاتورية التي تجعل الحاكِم إلهاً لا يُسأل عما يفعل وتجعل قولَه القَوْل وحُكمَه الحكم، الحاكم في الإسلام مُقَيَّد بالشرع محاسَب على أفعاله عند المسلمين)) [نحو ثقافة إسلامية أصيلة - أ.د. عمر سليمان الأشقر (ص345)].

الحاكم:

الحاكم في الدولة الإسلامية مثله مثل المحكومين في الخضوع لحُكم الشرع، والمحكومون لهم الحق في محاسبة الحاكم إنْ خالف الشرع أو إنْ قَصَّر في أداء الدَّوْر المنوط به، أما في الغرب، ((كان الملوك يستعبدون الناس لأنفسهم زاعمين أنَّ لهم سلالة عرقية خاصة أسمى من العنصر البشري المشترك، وغلا بعض الطواغيت وادعى أنه إله أو من نسل الآلهة كما فعل أباطرة الروم، ولم يكن ليدور في خلد أي منهم أنَّ للأمَّة عليه واجبات وحقوقاً، وأنَّ الكرسي والمنصب تكليفٌ لا تشريف، بل كانوا يرَوْن أنَّ ما تقدمه لهم الأمَّم من مراسم الخدمة والولاء والخضوع المذِل والتضحية بالنفس والنفيس لأجلهم ليس إلا واجباً مقدساً يقومون به تجاه العرش المحروس، جاء الإسلام فنسف هذه الفكرة من أساسها وردَّ العبودية كلها لله وحده، وفرض على الحُكَّام تبعات ومسؤوليات تُناسب مركزهم في الأمَّة، فرأى الناس في معظم أنحاء المعمورة الولاة المسلمين يرعون مصالحهم وينهضون بأعباء المسؤولية كاملةً في الوقت الذي لا يتميزون فيه عن الأمَّة بفارق كبير)) [العلمانية: نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصِرة - د. سفر الحوالي (ص216)].

مصدرية التشريع:

سبق أنْ بيَّنا أنَّ مصدرية التشريع في الدولة الإسلامية هي شرع الله، أما ((الدول الأخرى في القديم والحديث تقوم على تأليه غير الله، أو على الكفر بالله، والذين يحكمون في هذه الدول على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم هم الذين يضعون القوانين التي تحكم البشر، لا فرق في ذلك بين الدّوَل الديموقراطية أو الشيوعية أو الديكتاتورية، وهذا في اصطلاح القرآن شِرك، لأنَّ الله وحده هو الذي من حقه أنْ يُشَرِّع لعباده، وقد ذمَّ الله اليهودَ والنصارى باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} [سورة التَّوْبة - الآية 31]، واتخاذهم إياهم كذلك سببه متابعتهم في التشريع المخالف لشرع الله، الحكام في الدولة الإسلامية كالأفراد، كلهم يطيعون أمر الله ويُنَفِّذون حُكمه، ولا يجوز لهم الخروج عن شرع الله)) [نحو ثقافة إسلامية أصيلة - أ.د. عمر سليمان الأشقر (ص348-347)].

وختاماً: يتبين مما تقدم أنه لا حاجة للمسلمين إلى تبني مصطلحات الدولة المدنية والدولة الدينية والدولة الديموقراطية، وأنَّ في الدولة الإسلامية كل ما تصبو إليه وتبحث عنه البشرية التائهة.

a.talbi@albassair.org – الدكتور: عمار الطالبي*

مختصر تفسير ابن عاشور (132)

اقتضت رحمة الله بالناس في حملهم على مصالحهم أن يتدرج بهم في تحريم الخمر، كما قلنا، بوصفها في آية البقرة هذه أنها فيها إثم ومنافع، تنبيها إلى ما فيها من ضرر، وقد كانوا يعتقدون أنها كلها محاسن ومنافع، فيكون هذا تهيئة لنفوسهم لتحريمها وتمهيدا لمنعها منعا باتا، بالنص على أن فيها إثما كبيرا.

والخمر اسم مشتق من مصدر خَمَر الشيء يخمره إذا ستره، وسمي به عصير العنب إذا غلا، واشتد غليانه، فصار مسكرا، يسكر العقل أي يصبح لا يتصرف صاحبه تصرف من يملك عقله، فهو أيضا يطلق على كل مشروب مسكر سواء كان عصير عنب، أو ماء نبذ فيه زبيب، أو تمر أو غيرهما من الأنبذة، وترك حتى تختمر والحقيقة أنه يطلق على كل شراب مسكر، وإن كان غلب على عصير العنب المسكر، ومعظم شراب العرب يوم تحريم الخمر كان من فضيخ التمر، وكان شراب أهل المدينة خمسة أنواع من الأشربة وهي من التمر، والزبيب، والعسل والذرة والشعير، بالإضافة إلى عصير العنب، ويسمى بعضها: الفضيخ، والنقيع، والبتع، وذلك لقلة توفر عصير العنب في المدينة، وكان الخمر يجلب من اليمن والشام، ومن الطائف أيضا.

أجمع العلماء على تحريم خمر العنب، ويحد شاربها، وكل شراب أسكر كثيره فقليله محرم، وعلة التحريم هي الإسكار، وهو ثابت في جميع هذه الأشربة. وللحنفية في هذا تفصيل يرجع فيه إلى كتبهم الفقهية، فكيف يحرم الخمر وحده دون الأنبذة الأخرى التي تساويه في علة الإسكار؟ حتى إذا ذهبنا إلى أن الخمر تطلق لغة على عصير العنب وحده إذا اختمر وأصبح مسكرا، فالشرع لا يفرق في الأحكام بين أشياء متماثلة في صفاتها، وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الخمر من العصير والزبيب والتمر والحنطة والشعير والذرة» رواه النعمان بن البشير في سنن أبي داود، وروى ابن عمر رضي الله عنهما في سنن الترمذي أنه قال: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام». وصف الله الخمر في هذه الآية بأن فيها إثما كبيرا ولها منافع، والإثم هو الفعل المذموم في اصطلاح الشرع، فالخمر والميسر يؤديان إلى ارتكاب الإثم، في حال العربدة التي تؤدي إلى البغضاء والصد عن سبيل الله وعن الصلاة وما يؤدي إليه الربح والخسارة من النزاع والشجار، ووصف الإثم بأنه كبير أي شد يد في نوعه، ويدل الظرف «فيهما» على شدة تعلق الإثم والمنفعة بهما، والظرفية من أشد أنواع التعلق، كما تدل على المبالغة، لتعلق الظرفية المجازية هنا بذات الخمر والميسر، والتعبير بالإثم يدل على أن شاربها يعاقب في الدنيا والآخرة.

أما المنافع فهي جمع منفعة، مصدر ميمي يدل على قوة النفع، فإن المصدر الميمي أبلغ، ومن أضرار الخمر ما قرره الأطباء مما ينتج عنها وعن إدمانها من أمراض الكبد، والرئتين، والقلب، وضعف في التناسل وترجع منافع الخمر إلى ما فيها من ربح تجاري، ومن اللذة والطرب فيما يقولون، وربما تصلح أحيانا لبعض الأمراض أو لتقوية البدن.

والميسر قرين الخمر في تمكنه من نفوس العرب في ذلك العصر، ومن أكبر الملاهي عندهم، وكثيرا ما يلهون به أثناء الشراب، إذا لم يجدوا لحما للشواء عند شرب الخمر.

والميسر مشتق من اليُسر، ضد العسر والشدة، من فعل يسر ييسر صاغه العرب على زنة اسم المكان، فجعلوا التقامر بمنزلة المكان الذي فيه اليسر واليسار، لما يفضي إليه في زعمهم من رفاهية العيش، وهو من القمار القديم في عهد عاد، وينسب إلى لقمان بن عاد، ويزعم الناس أنه كان أكثر الناس لعبا بالميسر، أما صفة الميسر فإنهم يجعلون عشرة قداح، والقِدح هو عبارة عن سهم أصغر من النبل والسهم، أي سهم صغير مثل السهام التي يلعب بها الصبيان من قصب النبع، وأسماؤها: الفذ، التوأم، الرقيب، والحِلسُ، والنّافس، والمُسبل، والمُعلّى، والسفيح والمنيح، والوغْد، والسبعة الأولى لها خطوط على حسب ترتيبها، والثلاثة الأخيرة ليس لها خط، وتسمى أغفالا، ومن خرجت له القداح الأغفال دفع ثمن الجزور الذي يأكلون لحمه مشويا، مع تفصيل في إجراء هذه اللعبة، ويقصد بها اللهو والربح شأن لعبة القمار، وقد يعطى الربح للفقراء.

{وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} البقرة219

هذا سؤال آخر عن الإنفاق والمناسبة أن النهي عن الخمر والميسر قد يتوهم منه تعطيل الإنفاق الذي ينتفع به الفقراء، والجواب أن العفو هو مجال الإنفاق ومحله، والعفو من فعل يعفوا إذا زاد ونما، ويقصد به ما زاد على حاجة الإنسان من المال بعد الإنفاق عليه وعلى عياله، ومعنى هذا أن الإنسان ليس مطالبا بارتكاب المآثم لينفق على الفقراء، وإنما ينفق عليهم بما زاد على حاجته مما لا يشق عليه ولا يعسر، وهو أفضل الإنفاق لأن مقصد الشريعة من الإنفاق إقامة مصالح ضعفاء المسلمين مما زاد على الحاجة حتى يدوم ذلك، لأنه لا يشق على المنفق فلا يتركه ولا يتخلى عنه، وهذه حكمة بالغة، وأصل اقتصادي عمراني، وفي الحديث: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول»، وهذا لا يتنافى مع إنفاق بعض الناس مما يحتاجونه، ويقصد بهذا الإنفاق تطوعا.

{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ} إنه بيان للحكم مع بيان علته، لتتلقاه الأمة بطيب نفس، ويقصد بالكاف في «كذلك» البعد الاعتباري للتعظيم، وهي للتشبيه، أي كذلك البيان، يبينه الله لكم الآيات؛ وحرف اللام في «لكم» مقصود به التعليل، أي لأجلكم، وهو تشريف، ولتلقى التكاليف على بصيرة، ليتلقى هذا الحكم كامل العقل مع توضيح عواقبه، وحكمته، لأن الله أراد أن يكون علماء هذه الأمة مشرعين عالمين بحكمة الأحكام وعللها، {لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} أي ليحصل لكم تفكير وعلم بأمور الدنيا وأمور الآخرة، وهذا تذكير بالعناية بمصالح الدنيا والآخرة، والذي يصلح للتفكير هو الحكم مع ما يناط به من حكمة وعلة، وهو حكم الخمر والميسر، وحكم الإنفاق.

{لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} هذا غاية البيان الذي أشارت إليه الآية والحكمة منه، أي ليحصل لكم فكر وعلم في شؤون الدنيا والآخرة وهذا أمر مهم فإن التفكير أساس إدراك حقائق الأشياء وأحكامها والحكمة منها سواء في الأحكام التشريعية أو الكائنات والظواهر الطبيعية.

زمن الانحراف والاستقامة

بقلم: حياة شريـــــــــط

كيف يمكن لنا أن نستقيم في زمن الانحراف هذا؟

السؤال بحد ذاته دليل الوعي للمشكلة والإحساس بها أو بوطأتها..

فيما نلخّصه من الجواب:

القرآن ضرب مثلين: أحدهما للشاب أو للرجل، والثاني للفتاة أو للمرأة.

يوسف عليه السلام عاش في بيئة أو جو منحرف (بيت العزيز المترف).. لكنّه استقام واستعصم..

وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون.. عاشت أيضاً في بيئة منحرفة (قصر فرعون).. لكنها استقامت.

أتذكر إنّني شبهت الأجواء في المغتربات بقصر العزيز وقصر فرعون، تحديات ضاغطة وكبيرة.. ولكن المؤمن هناك والمؤمنة هنا لم يستسلموا..

اللجوء إلى الله هو الحل:

يوسف توجه إلى الله للخلاص من المأزق بقلبه كلّه..

وآسية اتجهت إلى الله للخلاص من محنتها بكيانها كلّه..

الاستقامة زرع يغرس في تربة النفس كأيّة شتلة تنمو بعد حين.. قد لا تزهر؛ لكنّها تفوح بالعطر، إنّها بنفسجة الروح..

هي وازع أو ضابط أو رقيب داخلي.. يصطلح عليه الآخرون بـ(الضمير) ونصطلح عليه إسلامياً بـ(التقوى).. وفي الحالين المراد بناء سياج واق من الانحراف.

الاستقامة ليست مجرد تربية أخلاقية.. هي سلوك ناتج عن بناء إيماني صحيح.. حينما تقول في صلاتك (اهدنا الصراط المستقيم) فإنّك تطلب الاستقامة من الله لأنّها حاجة أساسية بالنسبة لك.. لكن المطلوب منك أن تستحضر الاستقامة كلما داهمك الانحراف.. أن تستنفر القوة الإيمانية المزروعة في داخلك كما تفعل الكريات البيضاء إذا داهم الجسم ميكروب..

العمل وفق أحكام الشريعة - القانون الإلهي - (أي الحلال والحرام).. استقامة.

(الوقاية) وهي بالطبع خير من العلاج.. استقامة.. لأنّه «لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه» كالأنعام التي ترعى على أطراف أرض غير أرضها فهي ستدخل فيها حتماً.

لذلك نهى الإسلام عن مجالسة الخمّارين حتى ولو لم يشرب الجالس معهم خمراً أو مسكراً.. ليجنبنا الوقوع في الانحراف.

وكذلك نهاناً عن مشاهدة الأفلام الإباحية لأنّها تغري بالانحراف.

وعن مصاحبة المنحرفين ومجاراتهم لأنّهم سيجرّون إلى الانحراف، وقديماً قال الشاعر:

لا تربط الجرباء حول صحيحة
خوفاً على تلك الصحيحة تجرب!

الاستقامة حوار داخلي دائم بين (منطق الخير) وبين (منطق الشر) في داخلنا.. احسمه لصالح الخير.. تكن مستقيماً!

النقد الذاتي.. طريق للاستقامة.. أطرحُ على نفسي أسئلة حادة، وأحاول أن أجيب إجابات صريحة..

لماذا أفعل هذا؟ ما هي نتائج عملي؟ هل هذا يُرضي الله الذي يراقبني؟ ماذا لو تركت هذا الأمر؟ لماذا أقلد غيري في ذلك؟ لأجرب ضبطي النفسي إزاء هذا الإغراء بالانحراف؟ هل أنا قوي أو ضعيف؟ لماذا لا أكون كذاك المستقيم؟ هو استطاع إذاً أنا بإمكاني أن أكون مثله باستطاعتي... إلخ.

الأسئلة الداخلية مهمة في تطويق حالة الانحراف.

التغذية المستمرة مهمّة كذلك.. هذه هي فائدة حفظك لشيء من القرآن، وبعضاً من الأحاديث الشريفة، أو الأبيات الحكميّة، أو الأمثال الشعبية.. أو المواعظ والنصائح الثمينة (أحي قلبك بالموعظة) ربَّ قول يخطر على بالك وأنت تقترب من بؤرة الانحراف، يردعك ويثنيك فتحجم، بل وقد يغيِّر مجرى حياتك بالكامل.

الصحبة الصالحة.. شرط أساس من شروط الاستقامة..

المؤمن + المؤمن = جو إيماني

ا لمستقيم + ا لمستقيم = استقامة دائمة

الصالح + الصالح = صلاح قوي وسلامة وطيدة

الاستقامة (إرادة) و(تعبير عن الإرادة)..

أريد أن أكون مستقيماً.. هذا يستدعي ترك الرذائل أوّلاً.

يقول (جورج برناردشو):

«ليست الفضيلة في أن تتجنّب الرذيلة فحسب، بل في ألا تشتهيها أيضاً».

لا تفكّر بالثانية الآن.. ابدأ بالأولى.. وركّز عليها.

الثانية تأتي تباعاً.

بقلم: أمال السائحي. ح

إنما الديـــــن المعاملـــــة

بدردشة أخوية بيني وبين صديقة عزيزة ، طلبت مني أن أكتب مقالا ، أختاره حسب ذوقي وقناعاتي، فلكل منا مبادئه وثوابته التي تعبر عن صلب شخصيته...

ففكرت مليا في الأمر ووجدتني أكتب في موضوع التعامل بين الناس في ما قرره الشرع الإسلامي بيننا، ومن ثم مكارم الأخلاق الحميدة التي أدرجها لنا ديننا الحنيف في منظومة سلوكنا وجاء بها نبي الرحمة محمد صلوات ربي وسلامه عليه، وكيف تكون كل هذه الأخلاق الحميدة جسرا بيننا وبين هؤلاء الأشخاص الذين نتعامل معهم ولو لمرة واحدة في العمر ...

ففي نظري ليس المهم أن نتعامل مرة واحدة أو عدة مرات مع شخص ما، ولكن المهم أن لا تُنسى تلك المعاملة التي تجسد في مضمونها التعامل مع الله قبل التعامل مع خلقه، ولذا يجدر بك أن يبقى ذلك التعامل منقوشا في ذاكرتك ما حييت... وليس هذا فحسب، ولكن كل هذه الأعمال محسوبة عليك، وعليك وحدك.

وأريد الآن أن أمثل لكل ما قلته بـظاهرة من الواقع، عشتها وأعيشها مع أخت في الله، تعرفت عليها في بادئ الأمر في مقر عملي، كنت حقيقة أندهش لما تحمله من مصداقية وأخلاق حميدة، وأسلوبها الرفيع المميز، ولكن ما ميزها هو التعامل الذي كان بيننا أو بالأحرى تلكم القيم الأخلاقية التي اكتسبتها من أعظم دين على وجه الأرض، ديننا الإسلامي الذي علمنا حتى إماطة الأذى عن الطريق، حتى لا يتأذى غيرنا، قلت تمتلك هاته الأخت عدة أخلاق حميدة أذكر منها الوفاء، الصدق، عدم الغيبة والنميمة، عدم سوء الظن، إعانة المحتاج بقدر المستطاع، الالتزام بالموعد الذي تحدده، الانضباط في العمل، عدم إهدار الوقت في ما لا يفيد، وما أركز عليه هنا، أنها حتى عندما لا تستطيع أن توفي بوعدها تتصل وتعتذر قبل فوات الأوان.

إذا فتشنا في أرض الواقع التي نعيش عليها، لا نجد شخصا واحدا يتمتع بهذه الأخلاق اللهم إلا بنسبة 5 بالمائة من هؤلاء الخلق كلهم، ونرمي بهذه الأفعال إلى الظروف التي تتحكم فينا، وهذا لعمري خطأ شنيع، نرتكبه يوميا ونحن في طريقنا إلى أين؟ إلى ملاقاة الله عز وجل.

أنا لا أنفي عن أي مخلوق، بأن لا أخطاء له، ولو كنا ملائكة لصافحتنا ملائكة الرحمن في الطرقات، كما جاء على لسان الحبيب المصطفى، صلى الله عليه وسلم، ولكن هذا غير مبرر، بمجرد التطلع إلى حياتنا اليومية وما نكابده فيها من نفاق، وكذب، وعدم انضباط، وهدرا للوقت، وتسمية الأمور بغير اسمها الحقيقي، وإذا وعدنا أخلفنا، ولسان حالنا يقول: الظروف قهرتنا، وما قهرتنا ظروفنا، ولكننا نختبئ وراء ستارتها...وهذا ما جعلنا نعيش في فوضى تامة في حياتنا كلها، وطبعا هذا يعود سلبا علينا وعلى مجتمعنا بكل شرائحه...

وأدرجت هذا المثال الحي، الموجود بيننا، حتى نعرف أنه يوجد من يعبد الله وكأنه يراه...كما جاء في الحديث القدسي: «يا ابن آدم اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فما الذي أوصلنا إلى هذا المأزق من التنكر لمكارم الأخلاق، الذي جاء لإتمامها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أ لأن الوازع الديني عندنا غير موجود تماما، وحتى إن وجد بنسبة ضئيلة، و للأسف نعتبره شيء هيّن، وما هو بهين... إذا فكر كل واحد منا في طريقة تعامله مع الآخر، فنحن في كل حال من الأحول، أننا نخدم أنفسنا، إذا صدقنا، وإذا وفينا بعهودنا، فإن هذا يعود علينا قبل غيرنا...

ولكن للأسف يوجد من يعتبر نفسه قد نجح عندما يغش في سلعة حتى يربح، أو في شهادة حتى يتغلب على خصمه ...ويعتبر نفسه ذكيا وقد نجح وخرج من ورطة...ولم يفكر قط أنه دخل في ورطة أكبر مع من لا يغفل ولا ينام...

أليس هذا كله يمثل قناعاتك وصلب شخصيتك في تعاملك مع خلق الله، فما بالك في تعاملك مع خالقك ورازقك...!! أو لا يكفينا ما قاله المصطفى عليه الصلاة والسلام تنويها بالأخلاق وتنويها بقيمتها: «إن أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا» أولا يكفي أنه عليه الصلاة والسلام قد حصر الدين كله في المعاملة فقال: «إنما الدين المعاملة» حتى ننضبط ونكون أكثر التزاما في تعاملنا مع الله وخلقه فنكون بذلك مسلمين حقا...

أبحاث خاصة بالأستاذ

خجل الأطفال 2/1

يعد الخجل عند الأطفال من أخطر الأمراض النفسية، لأن الطفل في صغره يمكن أن يصبح فاشلا في حياته الاجتماعية والمهنية، ولذلك يجب على الوالدين إنقاذ طفلهما الخجول وعلاجه من هذا المرض الذي قد يدمر مستقبله. يمكن للأم أن تعرف أن طفلها يعاني ظاهرة الخجل من خلال تصرفاته، وذلك يبدو واضحا عندما يرفض أن يختلط بالأطفال الذين هم في سنه، ويجب العزلة والانطواء على نفسه.

كما يمكن للأم أن تلاحظ ذلك عندما تذهب مع طفلها لزيارة أحد الأقارب أو عندما يأتون هم إلى زيارتها، وحين تحاول أن تقدم لهم طفلها تجده يتراجع للخلف ويقف إلى جانبها أو ورائها، وعندما تدفعه لكي يرحب بأحد نجده مصرا على الابتعاد، وقد يبدأ بالبكاء، كما يمكن معرفة أن الطفل خجول من خلال قضمه لأظفاره، فهو يحاول بذلك أن يعبر عما في داخله من خوف من الآخرين والخجل منهم، فليلجأ إلى قضم أظفاره حتى يكاد الدم ينزف منها.

تقول الدكتورة marry a ams التي أشرفت على دراسة حول خجل الأطفال من عمر4 - 8 سنوات، والتي نشرتها مجلة sciense، إن الطفل الخجول عندما يقوم بقضم أظافره يعاقب نفسه على هذا الخجل، فهو يحاول التخلص مما هو فيه ليكون عاديا مثل بقية الأطفال لكن إحساسا داخليا يمنعه من ذلك فيلجأ إلى معاقبة نفسه على هذا الإحساس. وتضيف إن الأمر قد يؤدي بالطفل إلى ارتكاب أعمل خطرة في حق نفسه لأنه يريد أن يعاقب نفسه بشتى الطرق، فهو في حقيقة الأمر يريد أن يلعب مع الأطفال، ويتصرف كطفل عادي، لكن شيئا ما في داخله يمنعه من ذلك، لذا فهو قد يلجأ إلى معاقبة هذا الشيء الذي هو في داخله، فيرتكب أخطاء قد تؤديه أو تؤدي بحياته، ومن الضروري معالجة هذا ظاهرة الخجل عند الأطفال من اللحظة الأولى التي تعرف فيها الأم أن طفلها يعاني هذا الأمر.

وليس كل الخجل سيئا، لأن الخجل أمر عند الإنسان بشكل عام، والطفل بشكل خاص، ولكن عندما يتحول الخجل إلى ظاهرة تعزل الطفل عن محيطه، يصبح أمرا خطرا يجب علاجه من قبل الوالدين والمحيطين بالطفل، أو من قبل طبيب متخصص في ذلك.

سبب الخجل

كما أسلفنا فإن الخجل ظاهرة طبيعية عند الإنسان، مثل الجوع والخوف والألم...الخ. ولكن الخجل المفرط هو الذي نتحدث عنه ويحتاج إلى تدخل خارجي لتخليص الطفل منه.

ويرجع الكثير من أطباء النفس الخجل المفرط إلى الخوف، ويؤكدون ذلك من خلال ملاحظاتهم للغة الجسد عند الصغار، فالطفل الذي يشعر بالخجل المفرط عادة ما يرتعش جسمه عندما يلتقي أي شخص غريب حتى ولو كان هذا الغريب يحاول الترحيب به.

أيضا يكون غير قادر على الكلام، أو التعبير عن رأيه، أو حتى رد التحية، ثم بعد ذلك تصبح لغة الجسد عنده أكثر وضوحا كأن يبدأ بالارتعاش بشكل واضح مع وجود عرق كثيف على باطن يديه، وعند محاولة لمس يديه من الداخل يكون العرق ساخنا وكثيفا، وكأنه يضع كفيه على بخار ماء، وفي حالة كهذه يجب إخراج الطفل من حالته النفسية إلى مكان بعيد نسبيا عن الناس، وإلا فإن دقات قلبه ستزيد ويزيد تعرقه وسيفقد الكثير من السوائل دون أن يشعر أحد به، وهذا سيسبب له زيادة في خفقان قلبه ما يشكل خطرا على حياته.

وإذا كان الطفل يعاني هذا النوع من الخجل فإنه يحتاج إلى معاملة خاصة في البيت والمدرسة لأن علاجه من ظاهرة الخجل سيحدد نجاحه في الحياة من فشله.

ويجمع 82% من الأطباء النفسانيين في مستشفى c.m.y على أن الخوف هو السبب الرئيس في ظاهرة الخجل المفرط عند الأطفال، سواء الخوف من المجتمع أو من الأهل أو من المشاعر الداخلية، أو من الظلام أو من الأطفال، أو من عوامل نفسية، كأن يكون الأب أو الأم أو أحد في الأسرة يعامله بقسوة، فالخجل المفرط لا يولد مع الطفل، وإنما يكتسبه من خلا المحيط الذي يعيش فيه.

يتبع .....

(*) الكاتب الصحفي عيسى فراق بئر الشهداء أم البواقي

أوراق رمضانية

سر القلـــــم الجمـــيل (*)

وكأن القلم كحل والورقة عين.. فارسم ثقافتك عليها بمهارة ودقة..

وادفع بعصارة علمك مع حبرك الأسود إلى أوراقك البيضاء، لتكحل عين القارئ بروعة كلماتك.

سيكون قلمك ريشة رسام تنساب منها ألوان الحكمة إذا اعتنيت بثقافتك قبل أن تعرضها..

فالإنسان يتأثر بما يقرأ ويشاهد ويتشبع به لاشعوريا فتبنى ثقافته ويفيض بها قلمه هنا يكمن السر في جمال ما تكتبه..لذا ضُنَّ بعينيك أن تنظرا إلى ما لا يزيدك شرفا وفضلا عند الله، ليفتح لك الفتاح أبواب الكتابة الموفقة تلج من أيّها تشاء.

(*)هناء بنت الصنيع

العالم الفقيه والفلكي النبيه: الشيخ عبد الرحمن الأخضري 920 هـ 983هـ بسكرة

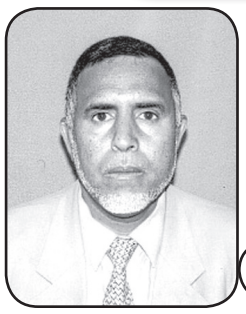

بقلم: الأستاذ إبراهيم بن ساسي

قال المؤرخ الحفناوي في كتاب اللامع «تعريف الخلف برجال السلف»: «الإمام الأخضري عالم صالح زاهد ذو فتح راسخ في المنقول والمعقول، له تآليف تلقاها المعلمون بالقبول والمتعلمون بالحفظ والاستفادة».

مولده ونسبـــــه

هو الشيخ الفقيه الأديب اللوذعي الإمام الصوفي المعلم الداعية المصلح الباحث المجتهد المتحري أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري يرفع نسبه إلي عباس بن مرداس رضي الله عنه. وفي كتاب أستاذنا الباحث الدراجي بوزيان عبد الرحمن الأخضري الذي تفضلت أختنا الكريمة ابنة أخته اعتدال دبابش بإهدائنا نسخة منه تعددت روايات في نسبه كما تباينت الروايات في تاريخ مولده ووفاته وفي هذا يقول الأستاذ الدراجي: ومجمل القول يمكننا مجاراة الرأي الأكثر شيوعا وهو الذي يفيد بأن مولد عبد الرحمن الأخضري حدث في قرية بنطيوس بالزاب الغربي وعاش بين سنتي 920هـ و953هـ ويزعم بعض الباحثين أنه توفي سنة 983 هـ. ويبدو أن دافعهم إلي ذلك هو ما ورد في بيت للأخضري حين نظم الدرة البهية الشبيهة بالأجرومية:

سميتها بالـــــدرة البهيـــة
فهي كما في أصلها محوية
وكان في محـــــرم الحـــرام
بدءا وختمنا لذا النظـــــام
وفي إحدى وثمانـــين سنـــة
من بعد تسعمئة مستحسنة

في حين يرى الباحث الدكتور سعد الله أن في ذلك البيت تصحيفا إذ يحتمل أن تكون كلمة ثمانين قد استبدلت بثلاثين وهو ما يؤكده الدراجي في كتابه السالف الذكر لاختلال الوزن.

مؤلفاتـــــه

لقد كانت حياة الأخضري عامرة بالعطاء والإنتاج مليئة بالابتكارات والآراء الناجحة والقواعد التأصيلية النافعة في علوم كثيرة شعرا ونثرا ونقدا وهو الذي انبري للتأليف وعمره لا يتعدي سبع عشرة سنة.

وفي هذا السن المبكر أنجز منظومة السراج في الفلك، وحين بلغ العشرين ألف منظومة أزهار المطالب في الاسطرلاب.

أما منظومته البديعة في علوم المنطق والحكمة المسماة «السلم المرونق» فقد أكملها وهو ابن الحادية والعشرين سنة.

كما أنجز المنظومة القدسية في التزكية والأخلاق بها 346 بيتا شرحها الأستاذ الدراجي شرحاً وافياً.

وفي منتصف القرن العاشر للهجرة أنجز منظومة الجوهر المكنون في ثلاثة فنون «البيان - المعاني- البديع» وتصل أبيات هذا النظم 291 بيتا حيث انبرى لتلخيص كتاب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المسمى التلخيص في علوم البلاغة.

كما أنجز الأخضري منظومة الدرة البيضاء في الحساب والفرائض والتركات في خمسمئة بيت تولى شرحها مجموعة من العلماء منهم عبد اللطيف المرداسي وعبد الكريم المكنون ومحمد الصادق الشطي.

ومن روائع إبداعات الشيخ الأخضري متنه في العبادات علي مذهب الإمام مالك طبع في الجزائر والقاهرة والسودان، وقد اهتم بهذا المتن عدد من العلماء والفقهاء أشهرهم محمد ابن أب المزمري التواتي 1116 -هـ 1160 حيث اختار منه أحكام السهو في الصلاة ونظمه في أرجوزة بديعة تعرف بالعبقري سماها بعض الفقهاء بقانون الصلاة. أما الشيخ محمد باي بالعالم القبلاوي -رحمه الله- 1929/ 2009 فقد نضم وشرح متن الشيخ الأخضري في كتابين بديعين سمى الأول الكوكب الزهري نظم على مختصر الشيخ الأخضري وعدد أبياته 384 بيتا ويشمل 20 باباً. وسمى الثاني الإشراق البدري شرح على الكوكب الزهري لمختصر الشيخ عبد الرحمن الأخضري وعدد صفحاته 122 صفحة.

وللشيخ الأخضري الرائية في مدح الرسول -صلي الله عليه وسلم- نظمها من البحر البسيط في المدح والوعظ بها 163 بيتا.

عبد الرحمن الأخضري وحديثه حول عصره:

رغم كل العطاءات التي وفق لها الأخضري في زمن وجيز ألا أنه لم يكن في هدوء وسكينة وسعة حال ذلك أن زمانه اتسم بالركود والجمود والجهالة وضعف الأخلاق مع تواجد علماء السوء كما يؤكد ذلك في عدة منـــاسبات هو القائل:

لاسيما في عاشر القرون
ذي الجهل والفساد والفتون

كما بكى الأخضري متأسفا لحال العلم والعلماء، استمع إليه وهو يقول:

هذا زمان كثرت فيه البـــدع
واضطربت عليه أمواج الخدع
والدين قد تهدمت أركانـــه
والزور طبـــق الهوى دخانه
وظلمـــات الزور والبهـــتان
تزخرفـت في جملة الأوطان
يا ويلتي هذا زمان البـــدع
مات به أهـــل التقى والورع
وا حسرتي على الكرام البررة
قد أخلفوا بالمدعين الفجرة

وقال محذرا من علماء الفتنة والسوء:

واحذر علماء السوء فقد
خصوا بالإفك وبالخطل
حفظوا الأقوال وما عملوا
بالعلم فساء القوم قل
أرباب قلوب قاسيـــــة
للطاعة أصلا لم تمـــل
لا نطق لذكر الله لهـم
إلا باللهـــو والهـــزل

وقد أنكر هذا الحال قبله الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وبعده طوال الفترة العثمانية الشيخ عبد الكريم بن الفكون، ومع هذا يجب أن نسجل أن الشيخ الأخضري لم ينشأ في أرض عقيمة بل ترعرع في بيت علم وقرآن فهو سليل أسرة علمية صوفية أنجبت العديد من العلماء كجده محمد بن عامر مؤلف كتاب في الفتاوى وأبيه محمد الصغير الذي ألف حاشية لكتاب خليل في الفقه المالكي كما ألف كتابا عالج فيه موضوع التصوف ونقد المنحرفين والخارجين عن النهج القويم.

لقد عاش الشيخ الأخضري حياة الإيمان والعقل معا فلم يدع أنه من المرابطين المنعوتين بالكرامات أصحاب الخوارق والمعجزات ولم يلج باب الدروشة المغالية في نشر الخرافات والبدع فعلي الرغم من أنه صوفي التوجه زاهد في دنياه واع صادق إلا أنه كان يعمل عقله في الأمور متمسكا بالكتاب والسنة لا يعطى بالا للغيبيات السرابية وهذا ما أكده في منظومة القدسية:

واعلم بأن الولي الرباني
لتابع السنة والقـــرآن
والفرق بين الإفك والصواب
يعرف بالسنة والكتـــاب
والشرع ميزان الأمور كلها
وشاهد لأصلها وفرعها

وفاتـــــه

بعد عمر قضاه في العلم والدعوة والتأليف والتأصيل توفي الشيخ عبد الرحمن الأخضري في منطقة كحال قرب سطيف بالشرق الجزائري أين كان يقضي بعض أوقات الصيف كعادة أهله وذلك سنة 983ه نقل جثمانه إلى بلدية بنطيوس في ولاية بسكرة وقبره معروف يزار، لم يخلف الأخضري زوجة ولا ولدا فاهتمامه كان منصبا حول العلم وتبليغه.

قراءة في شعر الأخضري وتراثه الأدبي:

لقد عاش رحمه الله رافعا راية العلم والإصلاح فكانت أشعاره إضافة لكونها حاوية لقواعد العلم والتأصيل فسحة له لإبداء آرائه النقدية وتوجيهاته التربوية والإصلاحية والاجتماعية وكان ينظم في المواد العلمية تلبية لرغبة مريديه من الطلبة والمستفتين وهو ما ذكره في بداية منظومة الجوهر المكنون:

وقد دعا بعض الطلاب
لرجز يهدي إلى الصواب
فجئته برجز مفيـــــد
مهذب منقح مفيـــــد
ملتقطا من درر التلخيص
جواهرا بديعة التلخيـــص

ففي رسالة علم الحساب التي اعتمدها وسيلة لفهم وتطبيق مادة الفرائض وقسمة التركات معلقا على الغباري محددا مراتب الأعداد قال:.

حروفه معلومة مشهـــورة
من واحد لتسعة مذكـــورة
وجعلوا صفرا علامة الخـــلا
وهو مدور كحلقـــة جـــلا

وهنا يتبين لنا أن الأرقام المعمول بها أيام الأخضري في الجزائر هي الأرقام العربية المعمول بها الآن وليست الأرقام الهندية.

وفي جمع الأعداد يقول:

وجمع ضم عدد لعدد
لكي تعده بلفظ مفرد
فتجمع الآحاد للآحاد
وهكذا الباقي على التمادي

وفي الضرب يقول :

وإن ضربت واحدا في واحـــد
فواحد يكون دون زائـــــد
فاقنع بصفر إن ضربت الصفر في
نظيره أو عدد فلتقتـــف

أما في الدرة البيضاء في الحساب والفرائض فقد سجل روائع ولوامع يهتدي بها الحيارى في هذه العلوم وهذا مثال فيمن يرث من الرجال:

والوارثون في الرجال عشـرة
من جهة الشرع أتت مقرره
أب وجد لأب إن انفصـــل
بذكر وابن ومن منه انسفـل
زوج أخ وابن أخ إن لم يكـــن
للأم مولى نعمة أيضا قمـــن
والـــعم للأم وابنـــه كذا
وغير من ذكرته قد نبـــذا

وفي قصيدته القدسية أودع مجموعة من الحكم والمواعظ والقواعد والأقوال التي يرتقي بها صاحبها إلى سلم ومقامات المهتدين وفيها حث على تزكية الروح وصفاء السريرة والطهارة وكل ما تحمله كلمة القدسية حيث قال:

يقول راجي رحمة المقتدر
المذنب العبد الذليل الأخضري
بحمد رب العالميـــن ابتدي
ثم صـلاتـه عـلـي مـحـمد

أما رسالة الأخضري في علم المنطق والحكمة والمسماة المرونق فقد سجل فيها إبداعاته الأدبية مخالفا علماء كثيرين يرون الحديث في المنطق زندقة مؤيدا كثيرا من العلماء الذين رأوا عكس ذلك وهو القائل:

الحمد لله الـــذي أخرجـــا
نتائج الفكر لأربـــاب الحجا
وحط عنهم من سماء العقل
كل حجاب من سحاب الجهل
حتى بدت لهم شموس المعرفة
رأوا مخدراتها منكشفـــــة

إلى أن يقول مقررا:

وبعد فالمنطق للجنـــــان
نسبته كالنجوم للســـــان
فيعصم الأفكار عن نحي الخطا
وعن دقيق الفهم يكشف الغطا
سميته بالسلـــم المرونـــــق
يرقى به سمـــاء علم المنطق

والجميل أن الله سخر الأستاذ القدير الباحث الجدير الدراجي بوزيان فقام باحثاً وشارحاً لهذه الأراجيز العلمية القيمة وأودعها في كتابه حول شخصية الأخضري جزاه الله خيرا، وهو من أبناء طولقة في ولاية بسكرة له مؤلفات وبحوث كبيرة أهمها:

- القبائل الأمازيغية في المغرب العربي في جزئين.
- ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية.
- نفاثة صدري في السياسة والتاريخ والثقافة.
- نظم الحكم في دولة بني عبد الواد.

الخاتمة:

ذلك هو الشيخ سيدي محمد عبد الرحمان الأخضري الذي تعجز السطور عن الإلمام بحياته الزاخرة علماً و أدباً و نقداً شاملاً إذ قل أن تجتمع مثل هذه المعارف لواحد. لذلك ندعو المحققين والدارسين للاهتمام بتراث الأخضري و توجيه الطلبة لسبر أغوار هذه العلوم لتعم فائدتها. فرحم الله الشيخ الأخضري وأسكنه واسع الجنان.

زاوية سيدي محمد بن قري المشهورة باسم (الجامع أوقري)

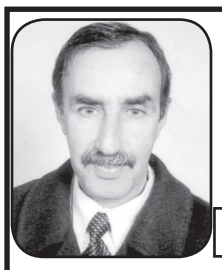

بقلم: الأستاذ عبد الكريم بوعمامة

أردت في مقالي هذا أن أتطرق إلى عائلة كبيرة، ذات علم وكرم وفضيلة، ولها فضل كبير في منطقة بني يعلى، ومن هذه العائلة - آ ث قري - أئمة فضلاء صلحا، وأدباء خطباء، حيث ترك جدهم معلما كبيرا وهي زاوية "سيدي محمد أقري" المشهورة باسم (الجامع أوقري).

سأحاول بما عندي من معلومات شحيحة، أن أسلط وميضا خفيفا عن شخصية الولي الصالح العلامة الشيخ محمد بن قري، وزاويته التي كانت ولازالت منهلا ومنبعا للعديد من طلبة العلم، هذا الشيخ الذي كان قطباً من أقطاب المنطقة ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهو من سلالة الأشراف، كما جاء في مطوية الأستاذ عبد الحميد زهير أحد أحفاد الشيخ، والذي يملك في حوزته عدداً من الوثائق والمخطوطات.

الموقـــــع

تقع زاوية "سيدي محمد بن قري" المشهورة باسم "الجامع أو قري"- الذي بني بعد الاستقلال على أنقاضه زاوية على الطراز الحديث - غرب بلدية قنزات دائرة قنزات على بعد حوالي ست كلم عن مقر البلدية والدائرة، في مكان آمن يدعى "إش القلعة" (اسم على مسمى) - وهي فعلا قلعة لا يسكنها إلا الكواسر- في أعالي جبال الناحية وبين أحضان قمم جبال شامخة، تحيط بها أشجار الصنوبر والبلوط الطويلة العريضة نسجت حولها الجمال والحسن والإشراق، فالمكان سياحي من الدرجة الأولى منعزلا عن العمران، وهو أحسن مكان لتهيئة المواهب للتفاعل مع الدراسة والعبادة والتأمل في الطبيعة العذراء والخضراء، ومن هذا المكان يستطيع الزائر أن يرى قمم جبال جرجرة، وسلسلة أكفادو، وعرش بني ورثيلان، "وأزرو يفلان" وإلماين ولجعافرة وبني عيدل، وتبعد عن أقرب قرية لها وهي (أث قري) أحفاد "الشيخ محمد بن قري" بحوالي ثلاث كلم، ويصل إليها قاصدوها عن طريق معبَّد بمنعرجات خطيرة فتح في عام 1969. رمت هذه الزاوية بعد الاستقلال بمبادرة من الشيخ الفاضل "حمودة محمد أكلي" رحمه الله وهو من أحفاد الولي الصالح "الشيخ محند أو قري" وكان المؤسس الأول للزاوية على أنقاض الجامع أوقري سابقا حسب ما ورد في مطية الأستاذ الشيخ العربي أحمين أستاذ التعليم بالزاوية.

شرعت الزاوية في وظيفتها التعليمية في 3 مارس سنة 1987 وفق برامج ومناهج وأهداف محددة ومرخص بها قانونيا، وبدأت تستقطب إليها كل راغب في تحصيل حفظ القرآن والفقه والسنة النبوية، والتاريخ والجغرافية وعلوم الطبيعة الخ... وقد أقبل عليها أبناء المنطقة وخارج المنطقة.

تتولى الزاوية الإنفاق على الطلبة تموينا وإقامة، رغم محدودية مواردها المتمثلة في تبرعات المحسنين، وإعانات رمزية من وزارة الشؤون الدينية،كما أنها تتوفر على كل المرافق الضرورية من إيواء، وإطعام، ومخازن للمؤونة، ومساكن للمعلمين والقائمين على شؤونها.

ويعود الفضل لبعثها من جديد، والسهر عليها والقيام على شؤونها إلى وكيلها الأستاذ الفاضل السيد عبد الوهاب حمودة، حفظه الله ورعاه، أحد أحفاد الولي الصالح الشيخ سيدي محمد بن قري، المؤسس الأول لهذه الزاوية بين القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي كما أسلفنا. ونظرا لموقعها الجغرافي الاستراتيجي، فقد لعبت دورا مشرفا في حماية المجاهدين، أثناء الثورة التحريرية، وعانت القرى المجاورة لها من القصف العشوائي كما عانت الزاوية من ذلك بشكل خاص.

ينسب الشيخ الرباني الصالح سيدي محمد بن قري إلى عائلة الأشراف، لم يكن الشيخ في حياته منكبا على العبادة فقط كما يقول الشيخ الحسين الورثلاني الذي خصه بهذ العبارة "أن الشيخ تحمل المشاق العظيمة في مجاهدة نفسه وأهله وأولاده وأصحابه" وبما أنه اختار المقام في قمة الجبل وأ وعاره بعيدا عن العمران، فإن الشيخ لا شك بأنه يكون قد أعطى المرحلة الأولى للانشغال بالأولاد، وأعطى المرحلة الثانية للحياة العلمية، وأعطى المرحلة الثالثة للعبادة.

"الشيخ محند أو قري"له عظيم الأثر بما منحه الله من علم ومن تأثير على مواطني المنطقة المحاطة به، نشر الهدوء والسكينة والمحبة بين الناس، كما زرع العلم والمعرفة في ربوع المنطقة، بفضل مثل هؤلاء الأقطاب كان القرآن في هذه المنطقة محفوظا في الصدور ومحفوظا أيضا في السطور بما يكتبه الكتاب، وقد سار الخلف على درب السلف، فكان القرآن والعلوم الشرعية في قرى بني يعلى وبالخصوص قرى (آث قري) في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وإلى يومنا هذا، ينبع من صدور أبنائها كينابيع جبالها، وقد تخرج من مساجد بني يعلى جيلا قويا من حيث اللغة والعلوم الشرعية والأدبية والأخلاق الفاضلة.

يقول الشيخ الحسين الورثيلاني في كتابه ((نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" المشهور بالرحلة"))

»ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى الزاهد في الدنيا رأساً، المتخلي عنها نفساً، سيدي محمد بن قري، وقد اعتزل بأهله في القلعة في غيضة عظيمة، لا يسكنها إلا الوحوش لعدم الماء فيها، ومع ذلك فانه بنى دُوره في الأوعار من الجبل، مع بعدها من الوادي إلى رأس الجبل، وبنى فيها مساجد بفضل الله سيما الجامع الكبير؛ فقد بناه بناء معتبرا، إلا إذا كان مثله في تونس، وأشار رحمه الله إلى أنها تصير مدينة قاهرة آخر الزمان «.

ولهذه الزاوية روابط أدبية وثقافية ومادية بينها وبين أحفاد الشيخ، وبالخصوص فضيلة "الشيخ محمد أكلي" رحمه الله، والد الأستاذ الشيخ عبد الوهاب حمودة حفظه الله ورعاه، الذي دأب على تنظيم وإحياء ندوات فكرية ثقافية وأدبية ببلدية "قنزات" وفي الزاوية نفسها، يستضيف إليها بعض المشايخ الفضلاء والأساتذة النجباء، لإلقاء بعض المحاضرات على الحضور، إذ تبعث إشراقة الأمل في نفوس السكان وتوحي بالأجواء العيدية في المنطقة،كما أن فضيلة الشيخ عبد الوهاب حمودة، له قوة العزيمة وروح المبادرة في إعادة بعث النهضة الفكرية في (آث يعلى) ثقافيا وحضريا، أدبيا وخلقيا، وهذا العمل الذي يقوم به شيخنا، يحتاج إلى كثير من الجهد والصبر وطول النفس والتفكير وهو أمر شاق ومضن لكن نتائجه إيجابية إن شاء الله.

نتمنى لشيخنا الفاضل الصحة والعافية وطول العمر والرفعة في الدارين. ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ "المجادلة آية 11"﴾.

مصدر المعلومات:

- مطوية الأستاذ عبد الحميد زهير، من أحفاد الشيخ.
- مطوية الشيخ العربي أحمين المدعو محمد أكلي أستاذ التعليم بالزاوية.

موقف عمر راسم من الحركة الصهيونية

لقد حاولت الحركة الصهيونية منذ البداية السعي لاحتواء نشاط يهود الجزائر، وتولي الإشراف على شؤونهم تحت غطاء العمل المشترك والأمل المرتقب لإقامة الوطن المنشود؛ غير أن عوائق كثيرة حالت دون التسريع بحدوث ذلك.

بقلم: د. نفيسة دويدة*

ورغم أن التعايش بين الجزائريين المسلمين واليهود كان ممتدًا من حيث الزمان إلى قرون بعيدة قد يؤسسها دخول الإسلام للمنطقة قبل 14 قرنًا، إلا أن هذا التعايش كثيرا ما شابه الحذر من كلا الطرفين، والخبث والخداع من جهة اليهود بمنطق خوف الأقلية الوافدة من الأغلبية الأصيلة، ولهذا نشهد نجد في عدة مناسبات سياسية أو اجتماعية وثقافية بالجزائر نشوب أزمات حادة؛ بسبب صعوبة تحقيق وفاق وانسجام دائم وأبدي، وشمل الأمر أيضا ظهور أزمات أوروبية مسيحية - يهودية.

وفي ظل هذه المعطيات وما قابلها من تحولات عميقة على مستوى الأفكار والنهج لدى الطبقة الرقيقة من المثقفين والمتعلمين الجزائريين المسلمين بمختلف مشاربهم ومدارسهم، ومرجعياتهم الفكرية والثقافية والاجتماعية، ولم تسمح - إلى حد ما- تغيرات العقد الأول من القرن 20م بفتح نقاش جاد بخصوص موضوع الصهيونية واليهود بالجزائر، ومتابعة دورهم ضمن الأطراف الفاعلة في السياسة الاستعمارية، ولهذا يمكننا اعتبار انفراد عمر راسم بمعالجة الموضوع يعد مبادرة رائدة وغير مسبوقة على الأقل بين معاصريه.

لقد افتتح راسم كتاباته في الموضوع بإعطاء الإطار العام لواقع الأمة الإسلامية، وذلك في مقال من جزأين نشره في جريدته «الجزائر» حمل عنوان: «المسألة الشرقية»، حلل فيه راسم أبعاد تقهقر الوضع بالولايات والأقاليم العثمانية، ومختلف الفتن التي نشبت على أراضيها، وحاول من خلال ذلك تصور مآل الخلافة والبلاد العربية والإسلامية في ظل الأحداث المتسارعة المنبئة بوقوع انفجار محتمل، وكأن راسم أراد في افتتاحيته تحديد الداء المستشري في الجسد الإسلامي؛ ألا وهو الخطر اليهودي - الصهيوني، وعلاقته بالاستعمار الأوروبي.

وكانت بداية راسم في فك خيوط المسألة اليهودية بسلسلة من المقالات نشرتها جريدة «مرشد الأمة» التونسية؛ تضمن أولها ردا على خطاب يهودي تداولته بعض الصحف العربية، وعقب عليه راسم بكثير من الاستنكار، ومما ورد في كلمة اليهودي ما يلي: «... بات استعمار فلسطين أمرا واجبا على اليهود لكي يلموا شتاتهم، ويوثقوا عرى ارتباطهم فيها؛ لاسيما وان حبهم لها غريزي فيهم، لا يفترون عن ذكرها ليلا ولا نهارا، فهي بيت قصيدهم وقبلة صلاتهم، .... وبلغ حبها منهم.. أن يقضي فيها الواحد بقية عمره». وواصل صاحب الكلمة شرح قصده «.. فالحال الآن تستوجب حزمًا وعزمًا لا تراخيًا وإهمالاً، فعلى قادة الأفكار وكبار رجال الطائفة الإسرائيلية أن لا يعتريهم فتور ولا كلل.. فالمسألة اليوم باتت قريبة الحل، ولكن حلها يتوقف على مال ومداخلة، وكلاهما ميسور إذا طلبناه بالتعقل والحكمة، وما على الإسرائيليين (ملوك العالم بلا نزاع) والحالة هذه إلا بسط كف السخاء... وقد قررت [الجمعيات الإسرائيلية] أن يدفع كل إسرائيلي خمس قروش كل شهر، ثم يرسل المبلغ إلى البنك الموحد. فالرجاء على كل إسرائيلي مهما كانت جهته ان يمد يد المساعدة لهذا العمل العظيم الشريف، فالفرصة سانحة، والأحوال مساعدة، والأنصار أقوياء..».

ولاشك أن هذه الكلمة المقتضبة في سطورها؛ الخبيثة في نواياها قد استفزت حمية عمر راسم لذلك هب لإعادة بعض فقراتها يحذوه الأمل أن تكون الأكثرية قد انتبهت لخطورتها، وتساءل راسم باستغراب عن صمت المسلمين تجاه ذلك: «أرَضوا باستقلال فلسطين؟؟، أم خافوا من سطوة اليهود؟؟، أم طمعوا في بعض مالهم من المال الذي سلب إليهم ولأجدادهم غدرًا ومكرًا؟؟».

وأكد راسم على أصحاب الجريدة (مرشد الأمة) أن يحيطوا مقاله بالعناية، وأن ينشروا ما سيأتيهم بعده من ردود فعل توقعها، كما أمل في أن لا يُنسى الأمر، وبأن تحظى أسئلته بإجابة وافية من بني دينه وجلدته، أو أن يبرروا موقف الصمت ذاك، وربما هو في ذلك حريص على إتاحة الوقت الكافي لاستبيان الآراء بخصوص دعوته تلك، ومعرفة سبب الشجاعة التي أبداها اليهودي الإسرائيلي في كلمته، والتي نشرتها الصحف دون التدقيق فيها، أو حتى مجرد النظر في مضمونها.

ومن جهة أخرى يبدو أن عمر راسم لم يستوضح موقفه النهائي، أو بالأحرى لم يصرح به في حينه؛ على غير عادته المندفعة والمتحمسة، وربما يعود تبرير ذلك التريث إلى أن المعركة الكلامية المتوقعة ستكون على ارض غير بلده (بتونس)، والعواقب قد تنحو باتجاهات عدة.

واستكمل عمر راسم نقده لمنظومة بني صهيون فنشر مقالاً ثانيًا استوحى موضوعه بعد حادث اعتداء مجموعة من اليهود، وتحاملهم على احد الجزائريين المسلمين بالجزائر العاصمة، حيث جردوه من ماله؛ ما جعل راسم يسمي ما حدث بـ «صناعة السلب»، ومما جاء في المقال: «كان من عادة اليهود ان يسلبوا وينهبوا، ويأكلوا أموال الناس بالذل والمسكنة، والربا والخديعة حسب ما احل لهم تلمودهم ... واليوم صاروا لصوص الشوارع والأزقة، كما أنهم لصوص الحيلة والغدر والذل والضحك». وفي هذا بالتأكيد إدراك لصفات اليهود التي لا تخفى على عاقل، لكن راسم أشار أيضًا إلى تغير الطبع اليهودي، وبعدما كان يعتمد على الخداع والتآمر؛ تقلب سلوكه، وانتهى إلى ممارساته المذلة في العلن ودونما خشية.

وأضاف راسم في نقطة أخرى: «إن اليهود لم يكفهم أن اخذوا الممالك من أصحابها، وباعوا منها ما شاءوا، وأوعزوا فيها من شاءوا، وذلوا ما شاءوا، بل قام منهم الآن من يقطع الطريق، ويقتل الحر والرقيق»، وواضح أن راسم بات ناقمًا على ضعف وتخلف المسلمين، واستسلامهم لسلطة اليهود؛ فتحولت النقمة عنده من الطرف اليهودي المعتدي إلى الطرف المسلم الخاضع والصامت.

وتواصلت مقالات راسم في الموضوع في الأعداد الموالية من الجريدة، وفي مقال مطول آخر تناول «استعمار اليهود لفلسطين» عاد في بدايته إلى تساؤلاته السابقة والمستنكرة لردود فعل المثقفين العرب والمسلمين بشأن ما تداولته الصحف من الاستفزاز الصهيوني الذي تناوله سابقا، وعبر عن ذلك في: «أننا ألقينا سؤالاً في هذه الجريدة عن تقاعد المسلمين وصمتهم؛ لعل بعض الغيورين يعملون بغيرتهم، وينجزوا ما عاهدوا الله عليه؛ ألقينا لهم سؤالاً فلم يجيبوا، ودعوناهم فلم يسمعوا كأن في آذانهم وقر، وعلى قلوبهم أكنة وغشاوة.. دعوناهم لمسألة مهمة ليداركوها، وسألناهم عن تقاعدهم ليهتموا بها؛ فما زادهم إلا غباوة وتكاسلاً».

وأشار أيضًا لأهمية استعمار اليهود لفلسطين، والتي تبدو واضحة الهدف، وهو تأسيس دولة صهيونية قائمة بذاتها، واستدل على ذلك بعقدهم للمؤتمرات والندوات، وإنشائهم الجمعيات والروابط في كل أصقاع العالم، في مسعى حثيث، وبجد متواصل: «ولاشك إذا دام الحال على ما هو عليه أنهم سيفوزون، وينالون ما يشتهون».

وعرج راسم قليلا إلى استحضار التاريخ ليعبر عن حسرة اليهود بشتاتهم، وعن حنين نفوسهم إلى فترات أنبيائهم، قد أورد راسم تفصيلا عن وسائل اليهود في استمالة الرأي العام، وتجنيد إمكانياتهم للظفر بالمساعدة المالية وغيرها.

وأعطى فكرة عن سياسة الهجرة اليهودية المنظمة، وأثرها في تعمير أرض فلسطين، وفي لم شمل أولئك المضطهدين الذين ينتظرهم مستقبل مجيد فيها.

وانتقل نقد راسم في موضع آخر لاحتضان الصحف العربية مساعي اليهود، وغفلتها عن تغير أحوالهم، ولفت انتباه هؤلاء لدور الصحف في التعليم والتربية والتقدم: «الصحف ليست لتعليم الشعب، وبث روح الفضيلة بين أفراده؛ بل هي لأن تخدم أشخاصًا مبتاعين لتقرير أناس غافلين بأحوالهم، جاهلين بمصالحهم، تدب عن الأباطيل، وتستر بأسوار شهامة عنكبوتية توهم الحق، والحق برئ منهن، وماله منهن من نصير».

وصنف راسم خماسية: الدولة، الشعب، الصحف، الكتاب والشعراء ضمن «من نهتدي بهديهم، وهم بخلوا فيما يهمنا ويهمهم بفضلهم، واظهروا جبنًا حط بشرف آبائهم»، وهو بذلك حملهم إلى حد ما مسؤولية تخلف المجتمع، وخلص بأسى إلى وضع المسلمين، وبالأخص عندما كتب: «هل يوجد من بين هؤلاء من قال كلمة في استعمار فلسطين العائدة على المسلمين بالخسران المبين، أماتوا؟، أم تبرموا من كل شرف؟، إن هذا لشيء عجاب!!».

ولا يخفى تشاؤم راسم إزاء فقدان ارض فلسطين، ووعيه بخطورة الأمر على كامل البلاد الإسلامية، وذلك حتى قبل توقيع اتفاقيات سايكس - بيكو (1916م)، وصدور وعد بلفور (1917م)، وما تلاهما من اتفاقات دولية تقر بوجود وشرعية الوطن القومي اليهودي.

وفي المقال الموالي عاد راسم إلى وصف أخلاق اليهود وسلوكاتهم، وحلل نفسياتهم، واهتم بإماطة اللثام عن مدى تغلغل نفوذهم وسط الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد أشار في البداية إلى ما وقع بتونس في الأيام الماضية (بعد نشر مقاله الأول)، انتقل راسم ثانية لتشريح وضع اليهود في أوروبا، وبالأخص في فرنسا، وفسر قبولهم بالجنسية الفرنسية «لا حبًا في فرنسا، ولا شكرًا لما عملته معهم من الإحسان والعناية، وإنما اتكاءً على قوتها، وتمسكًا بسطوتها لينالوا بذلك مبتغاهم، ويبلغوا مناهم حسب ما هو جار في كثير من الأقطار؛ مما لا يخفى على المطالعين»، وذكر القرَاء بأزمات اليهود داخل الدولة الفرنسية، وعلى رأسها قضية دريفوس.

ونبه راسم إلى خطر الغفلة في ظل الأوضاع الحالية - لاسيما بتونس -، وببعد نظر وحكمة متناهية أشار إلى نتائج مقاطعة اليهود، وذلك في قوله: «من الواجب على التونسيين أن لا يغفلوا عن مقاطعة التعامل مع اليهود؛ خصوصًا في البيع والشراء لأن عمر اليهود في قبضة التجارة، فإن قاطعوهم فقد باتوا عبرةً لليهود الذين لا يزالوا إلى الآن يهلكون المسلمين في غير تونس؛ لعلهم يرجعون عبرة للمسلمين الغافلين الذين عاملوا اليهود بالإحسان إلى أن ماتوا عن آخرهم ولم يشعروا.. عبرة للذين يظنون أن المسلمين أمواتًا غير أحياء، لا يحسون، ولا يعملون، ولا يظلمون، ولا ينتصرون».

وختم راسم الجزء الأخير من مقاله بتوجيه رد لأحد اليهود (بتوقيع نعمان) عن مقال نشرته جريدة «بريد المساء» مضمونه تمحور حول «الدعوة إلى مساعدة اليهود في طلبهم الإلحاق بالمحاكم الفرنسية.. وهي الوسيلة الوحيدة التي توصل المسلمين إلى القوة، والحصول على الغاية المقصودة التي أقلها تجديد نظام العدلية الفرنسية..»، واستنكر جرأتهم في طلب «مزيف» للمساعدة؛ بل إنه وصف الأمر بالمكيدة التي يجب التفطن لها، والحذر منها، وبأن أعمالهم «جناية نحو الإنسانية، وخيانة للوطنية».

وهكذا أبان راسم عن عمق تحليله لسياسة اليهود تجاه العديد من المسائل؛ بكثير من التركيز وبعد النظر.

واستمرت كتابات راسم عن المسألة اليهودية، ولم يفته ذلك حتى وهو قابع في السجن؛ إذ أفادنا الأستاذ محمد ناصر عن مخطوط استلمه من قبل أحد أقارب راسم (جمال الدين سفينجة)، تضمن شرحًا وتحليلاً عميقًا وتفصيلاً عن دهاء ومكر اليهود، وبالأخص عن أثرهم في الخلافة العثمانية موضوع الساعة حينها (1916م).

وأفاض راسم في وصف طبيعة اليهود وأهدافهم، فهم «يعملون إلى ما يقوي شوكتهم، ويعظم سلطتهم، وينقذ مظلومهم، ويخلص ضعيفهم، ويغني فقيرهم، ويؤيد كلمتهم، ويصحح رابطتهم، ولهذا فمع كونهم يظهرون التجنس والوطنية الحادة في الممالك المختلفة التي يسكنونها؛ فإنهم يهود قبل كل شيء.. كأنهم سلك تلغرافي مشبك في العالم يهزه حيث شاء وكيف شاء»، وهذا الوصف ينم عن عميق إدراكه لهذا الصنف من البشر.

وبعد سرد بعض الأمثلة الواقعية عن تعامل اليهود في مدينة الجزائر، وعن بعض الفتن التي ثارت بسببهم في المغرب الأقصى؛ استخلص أن الصهاينة يشكلون أمة قاسية القلب، لا يلذ لها عيش، ولا تطيب لها الحياة إلا بإيذائها لغيرها فعلاً؛ فإن لم تستطع فلسانًا، وبثقافة تاريخية متأملة تعرض راسم لأمثلة تثبت صدق أحكامه؛ منها علاقة اليهود بالحرب الروسية - اليابانية في بداية القرن 20م، وعن دورهم في إثارة الوضع بروسيا (قبيل الثورة البلشفية 1917م)، وقبل ذلك ما أحدثوه من قلاقل في فرنسا، وفي تحديدهم وتوجيههم لسياسة أمريكا، بالإضافة لتشجيعهم للثورات الانفصالية بالبلقان، وغيرها من الأحداث التي أثبتها التاريخ، والتي أبدى فيها الكاتب تحليلاً سياسيًا موضوعيًا رائدًا.

إن يقظة راسم بخصوص المخطط الصهيوني لم تكن مجرد نزعة آنية مبعثها الانتماء العربي الإسلامي؛ إنما هو إلمام بمحتوى وأهداف الوجود اليهودي الذي أعلن جهرًا بوجوده، ونادى بقبول العالم له؛ بعدما كان متخفيًا يصعب تلمس خيوطه، وتبرز في الوقت نفسه وطنية راسم، وإحساسه العميق بجزائريته، وتنم عن استشرافه للمستقبل.

*المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة

التخمـــــة عـــادة سيئـــة

من الظواهر السيئة والعادات الخاطئة التي ظهرت في مجتمعاتنا، والتي أدخلت على الناس ضررا كبيرا في دينهم ودنياهم، ظاهرة الأكل إلى حد التخمة والشبع، بل الأكل المستمر في كل الأوقات، والإنسان المؤمن أحوج ما يحتاج إلى الحكمة أن يستعملها في أكله، فلا يأكل كل شيء، ولا يأكل ما يضره إذا علم ذلك، والله في مجال ما أحل من الطيبات بين لنا أن لا نعتدي بل نأخذ بالقدر الذي ينفعنا، فقال تعالى في سورة المائدة :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[المَائدة: 87].

وأخرج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر وحسنه في صحيحه الجامع الصغير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا، مَا لَمْ يُخَالِطُهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ». ولهذا وضع النبي صلى الله عليه وسلم قانونا للمعدة، قانونا للوقاية من الأمراض والأضرار فقال: «ما ملأ آدميٌّ وِعاءً شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدمَ أكلاتٌ يُقِمْنَ صُلبَه، فإن كان لا محالةَ، فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وَثُلثٌ لنفَسِه» . فالحديث رسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم الطريقة الصحيحة التي ينبغي أن يسير عليها الإنسان في طعامه وشرابه، حتى يكون في مأمن من الأضرار، وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء» . والمراد أن المؤمن يأكل بأدب الشرع، فيأكل في معي واحد والكافر يأكل بمقتضى الشهوة والشره والنهم، فيأكل في سبعة أمعاء، وندب النبي صلى الله عليه وسلم إلى التقليل من الطعام والاكتفاء ببعضه إلى الإيثار بالباقي منه فقال: (طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الثلاثة وطعام الثلاثة يكفي الأربعة) رواه البخاري ومسلم.

قال الحسن: لقد أدركت رجالا كان الرجل يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله كله فيقول والله لا أجعل هذا كله في بطني حتى أجعل بعضه لله.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الطب النبوي: (الأمراض نوعان: أمراض مادية تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن، حتى أضرت بأفعاله الطبيعية، وهي أكثر الأمراض، وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناول الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة، فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية واعتاد ذلك أورثته أمراضاً متنوعة، منها بطيء الزوال أو سريعه، فإذا توسط في الغذاء، وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير فامتلاء البطن بالطعام مضر للقلب والبدن، هذا إذا كان دائمًا أو أكثريّا لأن البدن يقوى بحسب ما يقبل من الغذاء لا بحسب كثرته)، ولهذا قال عمر -رضي الله عنه-: «إياكم والبطنة، فإنها مفسدة للجسم، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فإنه أصلح للجسد، وأبعد عن الإسراف، وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين» رواه أبو نعيم في الحلية.

وأثبت الباحثون في الإعجاز العلمي للكتاب، والسنة، الحقائق المطابقة لهذه التوجيهات النبوية، فقال محمد جمال الزكي في كتابه (طب العبادات): «إن أقصى درجات الشبع عند المسلم الملتزم بتعاليم الإسلام بناء على الحديث، هو امتلاء ثلث المعدة بالطعام، والثلث الآخر للشراب، فإن هذا الحجم عبارة عن لتر كامل من الغذاء المطحون مع الشراب، وهو ما يعادل أربع كاسات ماء من الحجم الكبير، وهذا أقصى ما يدخله المسلم في معدته، والتي ثبت أنه يمكن أن تستوعب عند الامتلاء التام -الضار- حوالي لتر ونصف اللتر، ولذلك كانت الحكمة النبوية في ترك نصف اللتر للتنفس، والذي ثبت علميا أن كمية الهواء الداخلة إلى الرئتين يبلغ في العادة حوالي 500غ ملليمتر، أي ما يوازي نصف اللتر المتبقي في المعدة، وهو إعجاز لم يصل إليه العلم إلا في العصر الحديث.

ولهذا ظل السلف الصالح في توجيهاتهم التربوية، يوضحون الرابط القائم بين قلة الطعام، وصفاء الروح، قال لقمان لابنه وهو يوصيه: «يا بني! لا تأكل شيئاً على شبع، فإنك إن تركته للكلب خير لك من أن تأكله».

وقال محمد بن واسع: «مَنْ قَلَّ طعامُهُ فَهِمَ وَأَفْهَمَ، وَصَفَا وَرَقَّ، وَإِنَّ كَثْرَةَ الطَّعَامِ لَيُثْقِلُ صَاحِبَهُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يُرِيدُ» وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «ما شبعت منذ عشرين سنة، لأن الشبع يثقل البدن، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة».

وجماع ذلك ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى: «ومراتب الغذاء ثلاثة: أحدها: مرتبة الحاجة، والثانية: مرتبة الكفاية، والثالثة: مرتبة الفضلة، فأخبر صلى الله عليه وسلم: أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه، فلا تسقط قوته ولا تضعف معها، فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر للماء، والثالث للنفس وهذا من أنفع ما للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس وعرض له الكرب والتعب بحمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم من فساد القلب وكسل الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع».

الأستاذ بوبكر بوحنيك/ تبسة

ثقافة الخير

أتذكر، وقد كنت طفلا في المدرسة، أني قرأت في أحد كتب المُطالعة آنذاك قصّة لا تزال تعلقُ بذاكرتي، لعُمق معناها، وخطر فحواها، وأهميتها في تقويم سلوكنا، وحثنا على الخير والحديث به حيثما كنا.

فقد حُكي أنه كان في أحد الأزمنة رجلٌ قد مَلك فرسا تناقلت العربُ عن جمالها وسرعتها ورشاقتها الكثير، حتى صار حلمُ كل فارس الحصولُ عليها مهما غلا ثمنها، لكنّ صاحبها، ومن شدة حبه لها، امتنع عن بيعها وزاد حبُّه لها بتزايد تهافتِ الناس عليها.

فاتفق في أحد الأيام، أن أحد هؤلاء المُولعين بها قرر الاحتيال للحصول عليها، فتنكر في ثياب شيخ هرم فقير ووقف لصاحب الفرس في الطريق، وكان يركبها، وما أن اقترب منه، حتى استوقفه وسأله أن يوصله إلى حيِّه، لعدم قدرته - بزعمه - على المشي، فرق صاحبُنا لحاله ومد يده ليُركبه خلفه، فتظاهر المحتالُ بعدم قدرته على الركوب، وطلب منه أن ينزل ليساعده على ذلك، وما كاد صاحبنا يفعل، حتى امتطى المحتالُ ظهر الفرس وأطلق لها العنان تاركا صاحبها وراءه.

لم يصدق صاحبُ الفرس الذي حدث له، وما كاد يفيق من ذهوله، حتى بادر اللصَّ مناديا عليه يستوقفه، متوسِّلا إليه أن يرجع للحظة ليقول له شيئا، توقف المحتالُ بعيدا يُنصت لما عسى أن يقول، فقال له صاحب الفرس: هذه الفرس لك، وهي حلال عليك، خذها إن شئت لكن لا تحدث أحدا عمّا فعلت معي للحصول عليها.

تعجّب اللصُّ لقوله، وقال له: ما يهمّك ممّا سأحدِّث به الناس ما دمت قد فقدت فرسك؟ أتخشى أن يُقال عنك ما لا ترضى سماعَه؟

ردّ صاحبُ الفرس قائلا: كلا ليس الأمر هكذا، إنّما خشيتُ إن أنت حدثت بذلك، أن يقف بالطرقات شيوخٌ عجزة أو مرضى ضعافٌ حقا، فلا يجدون من يَحملَهُم خشية أن يحدث لهم ما حدث معي.

تلقى المحتال هذه الكلمات كسهام أصابت فؤادَه، فاندفقت دموعُه من عينيه ونزل عن الفرس وعانق الرّجل قائلا: ما علمت أن في الناس من يحرص على الضِّعافِ كحرصك أنت عليهم، ثم رد إليه فرسه واستغفر منه لذنبه.

كلما تذكرت هذه القصة، تذكرت معها ما يُحكى على أيّامنا ممّا يحدث للناس من احتيال، غالبا ما ينتهي بقتلهم أو سرقة أموالهم أو العبث بشرفهم، فتُقتَل بذلك كل طبيعةٍ خيِّرة في شِعبنا، طالما ساهمت في صُنع الخير في المجتمع وحافظت على تماسكه وتكافله في المِحن والشدائد.

إنَّ من يحتال على الناس، يُساهم في منع الخير وفي نشر سوء الظن والضغينة بينهم، فهو يتحمل بذلك وزر ما يزرع في المجتمع لإفساده.

لقد صرنا نسمع عن أغنياء يتسوّلون، فامتنعنا عن البذل والعطاء، ونساء يتحججن بالمَرض، فيدخلن بيوتا يسرقنها أو يقتلن ساكنيها، ما جَعَلنا نقتل شيمة الكرم فينا ونُغلق أبوابنا في وجه المحتاجين حقا، والأمثلة لمثل هذا كثير ساهم في انتعاش سوء الظن بيننا وقتل مكارم الأخلاق فينا.

ألا يمكننا الحديث عن الخير وأهله، وإمتاع الأسماع بقصص وأخبار هؤلاء المُسارعين إلى فعله – و هم كُثر– لكي نُحيي في الناس فطرتهم لفعله؟

قال النبي عليه الصلاة والسّلام: «الخير في أمتي إلى يوم القيامة» وقال أيضا: «الدال على الخير كفاعله». أليس من الأولى إذا، الحديث عن هؤلاء المُتسابقين إلى الخير، المُتنافسين في ريِّ شجرته، المُهدّدة باليبس في مُجتمعنا كي تنمو وتزدهر؟ فطوبى لمن سقاها وداوم على العناية بها وتحمّل ما يصيبُه من الأذى نتيجة لذلك، كي تبقى خضراء يانعة، فيَشكُرُ الله له يوم القيامة.

تَروي إحدى قصص الهُنود الحُمر أنّ أحد الصِّبية سأل جدّه الحكيم: «جدّي ما هو الشر والخير؟» فردّ عليه الجدُّ: «إنهما ذئبان يعيشان في كل واحد منا»، «وأيّهما يغلب؟» سأل الصبيّ، فردّ الجدُّ: «الذي نُغذيه أكثر».

هذه هي فِطرة الإنسان الداعية للخير منذ الأزل، فلندل على الخير ولنحدث به ولنسعى إلى نشر ثقافته كي نقوم بالمُساهمة في إبقائه وتنميته، فينالنا نتيجة ذلك، نصيبُنا منه في الدُّنيا وآخرٌ في الآخرة.

ج.جبور

المنهـــج الوسطي هو منهـــج الإســـلام

يتميز المنهج الإسلامي ويمتاز عن سائر المناهج الأخرى بأنه منهج رباني وسطي معتدل لا يقبل الإفراط كما لا يقبل التفريط، خالٍ من الغلو والتقصير، متوازن في عقيدته وشريعته وأخلاقه وعبادته، فكانت أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- أمة الوسطية التي هدتها إلى الاستقامة فنالت الخيرية، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (سورة البقرة الآية:143)، وقال عز وجل: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} (سورة الفاتحة: 6-7)، وقال أيضا: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} (سورة آل عمران الآية: 110).

لقد ابتلي الإسلام في عصرنا هذا بفئتين من الدعاة أساؤوا إلى الدين الإسلامي من حيث لا يعلمون، فزادوه رهقا، وحملوه من أثقال الهموم ما هو في غنى عنها بالأخص وأن قذائف خصومه الأذكياء تُرمى نحوه من كل جانب لعلهم يصيبونه في مقتل، ولكن الله، عز وجل، دائما يجعل كيدهم في نحرهم، ويحفظ دينه وشريعته!.

أما الفئة الأولى من هؤلاء الدعاة فهم الذين اتخذوا من التنطع مذهبا، ومن التشدد طريقة يعرضون بها الإسلام حتى شوهوا وجهه الحسن وشكله الجميل، والغلو دائما لا يأتي بخير، ولهذا حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من انتهاج طريق الغلو والتنطع الذي سار فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقال: «إياكم والغلوَ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» أخرجه أحمد وابن ماجه. وأرشد أتباعه إلى ترك التشدد، ودعا إلى التيسير فقال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» متفق عليه.

قال الإمام ابن حجر-رحمه الله-: قوله: («فسددوا» أي ألزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط)، وقال في قوله: «ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»(أي: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلَب..).كما أنه- صلى الله عليه وسلم- توعد الغلاة المتنطعين بالهلاك، فقال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا. أخرجه مسلم. قال الإمام النووي -رحمه الله-: («المتنطعون»: المتعمقون المشدِّدون في غير موضع التشديد). وقال أيضا: («هلك المتنطعون» أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم).

ولما علم الصادق المصدوق -عليه الصلاة والسلام- بأن أناسا من أصحابه عزموا على هجر النساء وعدم الزواج، وترك النوم وقيامه كله بالصلاة، ومواصلة الصوم، غضب وتبرأ من هذا الغلو والتشدد الذي ما أنزل الله به من سلطان، فقال: «والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني: أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» متفق عليه.

والفئة الثانية هم الدعاة المتسيبون باسم التيسير والعصرنة الذين يحاولون عرض الإسلام كما يريده الآخرون وترتضيه شهواتهم، والأصل أن ينقاد الناس لما تدعو إليه الشريعة لا أن تنقاد هي لهم اتباعا لأهوائهم حتى يرضوا: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} سورة الفرقان الآية:43 .

والحق أن الإسلام دين تيسير كما قال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} سورة الحج الآية:78، وأحكامه في الأصول الثابتة محكمة البناء، صالحة لكل زمان ومكان، لأن الذي وضعها رب الأرض والسموات وخالق الإنسان، وهو أعلم بما يصلح له ويصلحه، يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله- في (الموافقات): «إن الشريعة جارية في التكليف لمقتضاها على الطريق الوسط العدل الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، فإذا نظرت إلى كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط والاعتدال ورأيت التوسط فيها لائحا، ومسلك الاعتدال واضحا، وهو الأصل الذي يرجع إليه، والمعقل الذي يلجأ إليه»، أما مساحة الأحكام الفرعية أو الجزئية فهي أوسع بحيث يستطيع المسلم أن يختار منها القوي الصالح لعصره ومصره.

إن الإعراض عن هذه الوسطية -كما يقول الشيخ يوسف القرضاوي- هو الهلاك بعينه، والضياع في الدين والدنيا معا، إذا كان هذا الإعراض جنوحا إلى جانب التسيب والانفلات، وهو جانب التفريط والتقصير، بإضاعة الصلوات، واتباع الشهوات، والسير في ركاب شياطين الإنس والجن، وباعة الفجور، ومروجي الإلحاد والانحلال، ودعاة المادية المجحفة، والإباحية المسرفة: فهلاك هؤلاء محتم وفق سنن الله تعالى: {كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} سورة التوبة الآية: 69.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في (مدارج السالكين) (2/496): «وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد...».

فما أحوجنا إلى اتباع الصراط المستقيم، صراط أهل الوسطية والاعتدال الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

بقلم: ابن أحمد الجزائري
/العاصمة

دراسات نقدية

عبـــاس العقـــاد ولغتنـــا الشـــاعـــرة

بقلم رجائى عطية

تتجه الدراسات الحديثة للتفرقة والمضاهاة بين مزايا كل لغة من اللغات .. يتشيع البعض للعصبية القومية، وينحو البعض إلى الدراسات الموضوعية التي تبحث فقط عن المزايا العلمية التي تستند إلى خصائص النطق والتعبير المتفق عليها في العلوم اللسانية . فما هي المزايا الحقيقية التي تثبتها الدراسة الموضوعية للغتنا العربية ؟ .

عن هذه المزايا الموضوعية العلمية .. وخصوصا مزية التعبير الشعري ومزايا التعبير بعامة ـ وضح مفكرنا الكبير عباس العقاد كتابه الضافي: «اللغة الشاعرة».. فلماذا وصفت اللغة العربية، قديماً وحديثاً، بأنها لغة شعرية ؟! . هل يرجع ذلك لكونها يكثر فيها الشعر الشعراء .. ولانفرادها بالعروض ؟. أم لأنها لغة مقبولة في السمع يستريح إليها السامع كما يستريح إلى النظم المرتل والكلم الموزون؟. أم لأنها لغة يتلاقى فيها تعبير الحقيقة وتعبير المجاز على نحو لا يُعْهد له نظير في سائر اللغات؟

هذه مزايا لا ينكرها دارس موضوعي للّغة العربية، ولكن العقاد توقف عند حقيقة جعل يثبتها في فصول كتابه الشيق .. هذه الحقيقة أكبر من كل ذلك وأشمل .. فاللغة العربية لغة شاعرة.

لا يكفى أن يقال عنها إنها لغة شعر أو لغة شعرية... وجملة الفرق بين الوصفين .. بين اللغة الشاعرة واللغة الشعرية .. أن تعبير اللغة الشاعرة أشمل وأعمق من تعبير اللغة الشعرية الذي قد يطلق على لغة لمجرد كثرة الشعر أو الشعراء فيها .. فاللغة الشاعرة تماثل في ذاتها وخصائصها الشعرَ نَفْسَه في قوامه وبنيانه .. قوامها الوزن والحركة . وليس لفن العروض ولا لفن الموسيقى كله قوام غيرها .

ينتقل العقاد بعد ذلك من مزايا اللغة في التعبير الشعري إلى مزاياها في التعبير على إطلاقه خارج الشعر وموازينه وقوافيه .. دفعه إلى تقديم هذه الدراسة ، أنها أتت في زمان تعرض فيه العرب، وتعرضت لغتهم، لدسائس الراصدين، ومعاول هدمهم .. ليس لأنها لغة كلام وكفى، وإنما لكونها قوام فكرٍ وثقافة وعلاقة تاريخية .

في اعتداد بلغته، لا يخفيه العقاد ـ يورد أن من واجب القارىء العربى ـ إلى جانب غيرته على لغته ـ أن يذكر أنه لا يطالب فقط بحماية لسانه، ولكنه مطالب بحماية العالم من خسارة فادحة تصيبه بما يصيب هذه اللغة العالمية بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال، وأن بيت القصيد هنا أعظم من القصيد كله .. لأن السهم في هذه الرمية يسدد إلى القلب، ولا يقف عند الفم واللسان وما ينطق به في كلام منظوم أو منثور .. فكيف أثبت العقاد للغتنا العربية مزاياها العلمية التى تفوق بها غيرها من اللغات، ورد عنها هجوم الدعاة .

قدم العقاد عصارة فكره ودراسته عن الحروف، والمفردات، والإعراب، والعروض، وأوزان الشعر، ثم المجاز والشعر، فالفصاحة العلمية، فلغة التعبير، فالزمن في اللغة العربية، ثم الشعر ديوان العرب، فنقد الشعر العربي، فالنقد العلمي .. وأخيراً الشعر العربي .. وفى كل فصل من فصول هذه المباحث، يثبت العقاد بالبرهان العلمي كيف أن اللغة العربية هي بالفعل لغة شاعرة بحروفها ومفرداتها وإعرابها، وعروضها، وأوزان شعرها وقوافيه، وبتعبيراتها المجازية، وبغالب صفاتها التي ثبتت لها بعيداً عن العصبية التشيع .

إن حروف الهجاء العربية ليست أوفر عددا من أبجديات غيرها من اللغات .. ومع ذلك فلا تظهر شاعرية اللغة العربية في شيء كما تظهر في تراكيب حروفها .. فاللغات الأخرى على زيادة أعداد حروفها، لا تبلغ مبلغ اللغة العربية في الوفاء بالمخارج الصوتية على تقسيماتها الموسيقية، لأن كثيرا من هذه الحروف الزائدة في هذه اللغات الأخرى، إنما هي حركات مختلفة لحرف واحد حسب تغير قوة وأسلوب الضغط عليه .. كأن تنطق الياء : « يا « أو « يو « إلى غير ذلك. أما اللغة العربية فإنها أوفر عدداً في أصوات مخارج حروفها رغم قلتها النسبية الظاهرة، فليس هناك مخرج صوتي واحد ناقص فيها، بل وتبز غيرها من اللغات بحروف خاصة لا توجد إلاّ فيها .. كالضاد، والظاء، والعين، والقاف، والحاء، والطاء.. فضلاً عن موسيقية ترتيب حروفها .. دليل ذلك هذا التزاوج الإيقاعي الملموس بين الباء والتاء والثاء، وبين الحاء والخاء، والدال والذال.. وهلم جرّا .

فهل استطاعت اللغة العربية أن تنقل هذه الموسيقية الراقية في حروفها إلى تراكيب مفرداتها؟

. يكفى أن نلاحظ تراكيب بعض المفردات .. فالفرق مثلا بين : ينظر وناظر، ومنظور، ونظير، ونظائر، ونظارة، ومناظرة، ومنظار، ومنظر، ومنتظر، وما يتفرع عليها .. هو فرق بين أفعال وأسماء وصفات وأفراد وجموع، وهو كله قائم على الفرق بين وزن ووزن، أو قياس صوتي وقياس مثله، يتوقف على اختلاف الحركات والنبرات، أي على اختلاف النغمة الموسيقية في الأداء .

على غير هذا النسق تجرى أوزان كثير من الكلمات في اللغات الأخرى .. فقد ترى فيها كلمات على وزن واحد دون أن يدل هذا الوزن على اتفاق في المعنى مثلا أو على اشتقاق الأسماء والأفعال من كلمة أو غيرها .. بحيث يمكن أن يقال إنه لولا هذا التشابه العرضي في أوزان بعض كلمات هذه اللغات لوجدنا فيها أوزانا عديدة بقدر ما فيها من كلمات .. في اللغة الإنجليزية كلمات آن ، بان، تان، جان، دان، مان .. وغيرها .. فإنها رغم اتفاقها في الوزن، لا يوجد أي ارتباط بينها في المعنى أو غيره على عكس هذا الارتباط الذي نراه في مفردات اللغة العربية ذات الوزن الواحد ..

إن موسيقية حروف اللغة العربية ومفرداتها قد لازَمَتْهَا أيضا ـ بالإعراب ـ في تراكيبها المقيدة .. ذلك أن حركات الإعراب وعلاماته ـ وهو خاصية تفردت بها اللغة العربية بين لغات العالم ـ تجرى مجرى الأصوات الموسيقية وتستقر في مواضعها المقدورة على حسب الحركة والسكون في مقاييس النغم والإيقاع .. ومع أن الشعر وجد في كل لغة من لغات القبائل البدائية والأمم المتحضرة .. إلاّ أنه لم يوجد فنّا كاملاً مستقلاً عن الفنون الأخرى في غير اللغة العربية .. فالفن الكامل في لغة الشعر، هو الشعر الذي توافرت له شروط الوزن والقافية وتقسيمات البحور والأعاريض .. فالشعر في كثير من اللغات قد يلاحظ فيه الإيقاع دون القافية والأوزان المقررة.. وربما لوحظت فيها القافية على غير وزن مطرد.. أما الشعر الذي تُلاحَظ القافية والوزن وأقسام التفاعيل ـ في جميع بحوره وأبياته.. فهو خاصية من خواص اللغة العربية دون غيرها من لغات العالم أجمع ..

هي إذن لغة شاعرة .. شاعرة في تعبيرها الشعري وتعبيرها العام .. يستشعر القارئ شاعريتها بالبرهان والدليل، العلمي والشيق، وهو يجرى مع العقاد على سطور الكتاب الذي يثبت جدارة اللغة العربية الشاعرة بأن تكون واجهة لحضارة عظيمة تباهى بها أمم الأرض جميعا.. فهل استطعنا أن نرتفع بفهمنا وعملنا إلى مقام هذه اللغة التي حملت القرآن المجيد إلى العالمين ؟!

ما الاستفهامية ودخول حروف الجر عليها

إذا دخلت (في ، الباء ، اللام ، عن ، من) على (ما) الاستفهامية فإنها توصل بها وتحذف الألف .

مثال تطبيقي : (في ، ما) توصل (فيما) ثم تحذف الألف فتكون (فيم)
ومثلها (بـ ، ما) توصل وتحذف الألف فتكون (بم)
ومثلها (لـ ، ما) توصل وتحذف الألف (لِم)
ومثلها (عن ، من) فهي توصل بـ (ما) وتحذف ألفها مثل ما سبق ، لكن مع إدغام النون وتشديد الميم : هكذا :
(عن ما) تكتب (عمَّ)
(من ما) تكتب (ممَّ)

دخول حرفي الجر (من ، عن) على (مَن)

تحذف النون ، وتشدد الميم هكذا (مِن مَن) لكتب (مِّن)
(عن مِن) تكتب (عمّن)

من طريف المراثي / رثاء قلم !

للشعراء وقفات طريفة مع المراثي فمنهم من رثى قطة ومنهم من رثى حمارا ومنهم من رثى كلبا ، حتى أتوا على جميع المخلوقات، وصاحبنا هنا له رثاء طريف حيث يقول عمر بن إبراهيم بن حبيب العدوي يرثي قلماً له سرق :

يا عين جودي بواكف سجم
جودي بدمع مشبع بدم
لا تطعمني عقدة وكيف وقد
أسيت حرى لفجعة القلم
جودي على الناطق البليغ إذا اسـ
تنطق من غير منطق وفم
لا حصر القول عند خطبته
وليس في حكمه بمتهم
حلت عرى الحزم منه جانحة
ضمت بها عربها إلى العجم
أصفر في حمرة كأن على
جلدته بردة كلون دم
إذ أنها والقرطاس لاح له
مج عليه حنادس الظلم
ما عيب طولاً ولم يعب قصراً
عري من دقة ومن عظم
إن قدح العائبون فيه بأن
صم فأكرم به أخا صمم
كان إذا ما تضايقت سبل الـ
لفظ كفاني مخارج الكلم
حسبك منه لسان مطلع آل
ناظر في ظاهر ومكتتم
ينبيك إن لجلج الغبي بما
أضمر من خبر عالم فهم
فاذهب حميداً كما قد فقدت وما
فقدت منا مناعت الكرم

مدعي النبوة

ادعى أحدهم النبوة في البصرة فأتي به سليمان بن علي مقيّداً فقال له : أنت نبي مرسل ؟
قال : أما الساعة فإني نبي مقيّد .
قال : ويلك ، ومن بعثك ؟
قال : ما هذه مخاطبة الأنبياء يا ضعيف العقل، والله لولا أني مقيّد لأمرتُ جبريل يدمدمها عليكم.
قال سليمان: والمقيّد لا تُجابُ دعوته؟
قال : نعم ، الأنبياء خاصة إذا قيدوا لا يرتفع دعاؤهم.
فضحك سليمان وقال: إني أطلقك الآن فأمُر جبريل فإن أطاعك آمنا بك وصدقناك.
قال: صدق الله حيث يقول: فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.
فضحك سليمان، وسأل عنه فشُهد عليه أنه مجنون فخلى سبيله.

المقامة التّوديعيّة

بقلم: البشير بوكثير

إهداء: إلى أصدقائي وأحبابي في «الفيسبوك»، أقول لكم الوداع، وأنا جدّ مُلْتاع، لمفارقة مَجالسِ المؤانسة والإمتاع.

بكتِ العيون، وتقرّحتِ الجُفون، وتيتّمت الحواشي والمُتون، لفراق الأحباب، ووداع الأصحاب.

ها قد أزِفَ الرّحيل، يا رَبْعي الأصيل، ويا فضائي الجميل، ويا نسيمي العليل، ودنتْ ساعةُ الفراق، فبكت الأحداق، وانتحرت الأشواق على المآق...

الآنَ سأغادر العُشّ الذي منه خرجْت، وأفارق الأيكَ الذي فوقه حبَوْتُ ودَرجْت ...عرفتُ فيه شُموسًا وأقمارا، وملائكةً أطهارا، وأبناء أبرارا.

يا مَن كنتم التّاجَ والإكليل، والسّراجَ والقنديل، في ليلي البهيم الطويل، فأصبْتُ للحادي والدّليل، وهو يعلن موعد الرّحيل، بكلام جميل: «كنْ يا ولدي في الحياة كعابر سبيل، واترك وراءك كلّ أثر جميل، فما نحن في الدّنيا إلاّ ضيوف وما على الضّيوف إلاّ الرّحيل».

لبّيتُ نداء المقابر، ونثرتُ كنانة الأقلام والمساطر، وناجيْتُ عبَقَ القماطر، وبكيتُ الطُروس والدّفاتر، فتعاطفتْ معي المحابر، وهي تشكو للسائل وللعابر، آهات تهزّ المشاعر:

انهمرتْ لفراقك يا «بشير» المدامع، وتحرّكتْ في أحشائي المواجع، ياصاحبَ المقامات الرّوائع، واللطائف البدائع، التي كانت مثل السّحُب الهوامع، والشّهُب اللوامع، تقود كتيبةَ الطّلائع، فتثير النّقْعَ والزّوابع، في أشرفِ المعامع.

أجبْتُ وأنا حزين: وهل تنفع البعْبعَة، في زمن المَعْمعَة، لمّا صارَ قومي إمّعة، يُضرَبون علَى القَفا بالمِقْرَعة، ويُهيّءُ الأخُ لأخيه رَمْسَه ومَصْرعَه...!

أيّها «الفذلوك»، لقد تركتُ في «الفيسبوك» إخوانا أحبابا، وخِلاّنا أصحابا، أندادا وأترابا، حثوْتُ على رأسي تُرَابا، بعدما صارت أطلالَ أمّتي خَرابا، ومستقبلها سَرابا، ولم أجدْ لعلاجها ترياقا ولا جَوابا.

سألْتُني الدّمعةُ المُهراقة، وهي كئيبةٌ مُشتاقة، وللأوْبَةِ توّاقة:

هل تتركنا يا مَنْ دبّجْتَ رسائلَ الوفاء، ورَوّجْتَ لشمائل أهل الصّفاء... إنّي أعيذُكَ من «الألف والفاء»، فاخلَعْ عنكَ ثوبَ التّأفّف والتّكلّف، والبسْ سرابيلَ الزّهد والتّعفّف، واستعدّ للرّحيل، أيّها الهزيل.

قلتُ: لقد هجرْتُ الزّمْزمَة والهمْهَمَة، وآثرْتُ- من اليوم- صوتَ التّمْتمَة ...

كم يُحزنني مفارقة الجِنان، ومغادرة الدّوْحِ والأفنان، وهِجْران أزهارِ البستان، ووداع السّوْسن والرّيحان، بعدما تكلّسَ ذوقُ الإنسان، في هذا الزّمان، فانتحرَ «سحْبان»، وكُسِرَ نايُ الشّاعر الفنّان، وكَفَرَ الرّعاعُ بدولةِ البيان، وهدّدوا بتصفيةِ البَنان، الذي نافحَ عنْ عقيدةِ الإيمان، دونَ لفّ ولا هفّ ولا دوَران...!

يا دمْعةَ الأمل... حياةُ المرْءِ بين الجدّ والهَزل، وبين فتنةِ القبض والبسْدل، وبين الإسفاف واللفظِ الجزْل، ضاعَ العَنْقلُ والعقل!

بكتِ الدّمعة، على ضوءِ شمعة، كلاماً كلّه روعة:

قد ألِفْتُكَ بالخير نضّاحا، وبشذى الحُبّ فوّاحا، وبعذْب الكلام فُراتًا ضَحْضاحا... وها أنتَ اليومَ تغرزُ في كبدي -ياولدي- عَضْبا ورماحا، فكيفَ تريدُني مُتهلّلةً مُرْتاحه ؟!

مسحتُ دموعَ الدّمعة، وأطْفأتُ ضوءَ الشّمعة، ثمّ سكبتُ آخرَ دمعة:

الآنَ أقول لكم الوداع...يا مَنْ كنتم في حياتي السّنا والشّعاع، على مرافئ الإبداع... أنتم حُشاشةُ الرّوح وبشاشةُ الإمتاع، في عالَم الضّياع والضّباع...

الوداع ...الوداع ...الوداع ...

رأس الوادي في: 3 رمضان 1434هـ/ 12 جويليّة 2013م.

إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات***

عالم الكتب

(ناصر الدين دينيه وحياته وأفكاره)

الفن في خدمة العقيدة.

تقديم: إسلام ساحلي

عن دار الخليل للنشر والتوزيع صدرت الطبعة الثانية من كتاب» ناصر الدين دينيه حياته وأفكاره» من إعداد الأستاذ ناصر لمجد وذلك بمناسبة الذكرى الخمسين لعيد الاستقلال وبدعم من وزارة الثقافة.

يقع الكتاب في 224 صفحة من القطع المتوسط وتزين غلافه الأنيق لوحة فنية من أعمال ناصر الدين دينيه الرسام المبدع.

يتناول الكتاب مجموعة من الموضوعات تتعلق بحياة ورحلات وأفكار ومواقف الفنان ناصر الدين دينيه ويضم كذلك مجموعة من الرسائل المتبادلة بينه وبين شخصيات عصره ووثيقة مترجمة لشهادة اعتناق ناصر دينيه للإسلام.

الفنان ناصر الدين دينيه هو رسام فرنسي مبدع اعتنق الإسلام ودفن في مدينة بوسعادة بالجنوب الجزائري في 25 ديسمبر 1929، وقد أبنه عدد من رجال الحركة الإصلاحية وشيوخ المسلمين منهم شيخ زاوية الهامل، الشيخ مصطفى القاسمي الحسني، كما ألقى الشيخ الطيب العقبي كلمة بليغة مؤثرة في هذا التأبين، كما نعاه في مجلة الشهاب الأستاذ أحمد توفيق المدني وما جاء في هذا النعي: «بعين دامعة وقلب خاشعة أنعي إلى المسلمين الصادقين رجلا عصاميا وعبقريا نابغا اعتنق دينهم أيام زهد فيه الناس واعتز بملتهم حين كاد يهجرها أبناؤها وذاد عن دين الله وشرف رسوله في وقت تقاعس فيه المسلمون عن القيام بذلك الواجب المفروض...

فلقد مات ذلك العصامي الجسور ليلة 25 ديسمبر، وقد كان من عادته أن يبرح فرنسا ليلة الميلاد من كل سنة لئلا يسمع أصوات الأجراس في الكنائس وكان مزمعا كذلك للرجوع إلى بوسعادة تلك الليلة نفسها فنفذ الله رغبته إن كان سفره إلى الرفيق الأعلى ولبت روحه النقية الطاهرة داعي ربها آمنة مطمئنة».

ولد ناصر الدين دينيه تحت اسم إيتيان دينيه بتاريخ 28مارس1861 في قصر هيرسي المطل على ضفة نهر السين بفرنسا في عائلة تنتمي إلى طبقة النبلاء وكان والده حقوقيا مشهورا ويشغل منصب رئيس غرفة المحامين بمحكمة السين وكان الوالدان يعدانه ليكون أهلا لخلافتهما في المقام والمكانة الاجتماعية ولكن الطفل إيتيان دينيه ما أن بلغ الثامنة من العمر حتى بدأ يقضي أغلب أوقاته في الرسم بقلم الرصاص. هذه الموهبة المبكرة قادته إلى الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة سنة 1880 ثم انتقل إلى أكاديمية جوليان حيث تتلمذ على يد أكبر الرسامين الفرنسيين هناك.

زار الجزائر أول مرة سنة 1884 ورغم عودته إلى فرنسا ظل قلبه وعقله مشدودان إلى الجزائر بأهلها وأرضها.وفي سنة1904 أشترى دينيه منزل ببوسعادة في الحي العربي وقرر الإقامة الدائمة بجنوب الجزائر.

ومن الأسباب التي دفعت المؤلف ناصر لمجد لإعداد هذا الكتاب حول هذه الشخصية الفذة والعبقرية هي أسباب يلخصها فيما يلي:

السبب الأول هو روح العداء التي يضمرها الغرب لناصر الدين دينيه بسبب اعتناقه الإسلام وهذا العداء كان علنيا منذ 1913 وهو التاريخ الذي أعلن فيه إسلامه، حيث أغلقت الصالونات في وجهه وحجبت الشهادات والأوسمة عنه وتهاطلت عليه سهام المتعصبين من المستشرقين الغربيين ومن مظاهر العداء كذلك تجاهل اسمه كفنان عالمي في العشرات من المعاجم والموسوعات.

السبب الثاني عدم اهتمام الباحثين والكتاب الجزائريين خاصة منهم المعربون بشخصية هذا الرجل الذي لم يكن رساما فقط بل كان كاتبا مسلما جهر بعقيدته في وقت كانت فيه كل الأصوات خافتة وصال وجال دفاعا عن الإسلام والمسلمين ونقل معركته إلى قلب فرنسا وألف كتبا للرد على الافتراءات التي طالت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام عامة، وانتقد المظاهر الاستعمارية ودعا إلى إنصاف الجزائريين بمنحهم حقوقهم المدنية.

السبب الثالث انسياق بعض المثقفين الجزائريين للعداء الغربي لدينيه، فهناك من المثقفين من يتهم دينيه بالجوسسة وهناك من يحاول تسويق صورته كفنان مسيء للذوق العام وهذا ما جعل المفكر مالك بن نبي يقول عن هذه المواقف: «يبدو وكأنها استمرار لموقف الاستعمار من دينيه»

أما مفهوم الفن التشكيلي عند دينيه فهو يعتبر فن الرسم الحقيقي هو بمثابة ترجمة صادقة للواقع بكل ما يحيط به.

أما بالنسبة لموقفه من اللغة العربية فقد انبرى للدفاع عنها في مواجهة المستشرقين المساندين للمنهج الاستعماري الفرنسي في محاربة اللغة العربية وكان يرى أن السر في ديمومة اللغة العربية يكمن في نزول القرآن الكريم بها.

كتاب ناصر الدين دينيه الجميل بشكله الغني بمضمونه يقدم لوحة متكاملة عن شخصية مؤثرة ومفكرة تركت بصماتها الواضحة في تاريخ الرسم الحديث والثقافة العالمية.

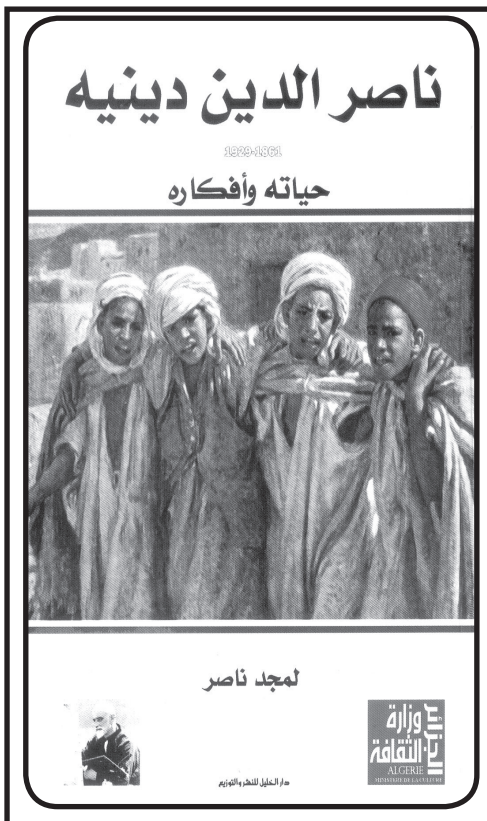

بين الشريعة والسياسة.. أسئلة لمرحلة ما بعد الثورات

يري الكاتب أنه لا تعارض بين الهوية والشريعة، لأن الشريعة الإسلامية ذاتها جزء من الهوية الثقافية المصرية وأحد أهم مكوناتها. فلا يوجد مجال للتعارض أو حتى المعارضة بين المصطلحين، لأن كلاً منهما جزء أصيل من الآخر. ويستدل الكاتب في حديثه عن عدم التعارض بين الشريعة والهوية بمطالبة البعض بحذف الإشارة إلى الإسلام من الدساتير عقب ثورات الربيع العربي مؤكدًا أن الشعوب سوف ترفض ذلك وبشدة نظرًا لأن هذا مساس واضح وفعلي بهويتهم الإسلامية، التي لا تتناقض مع هويتهم المحلية أو العربية أو القبلية.

بين أحكام الشريعة ومبادئها

ويفرق الكاتب بين مصطلحين من المصطلحات التي أثارت جدلاً كبيرًا، في الحالة المصرية على وجه الخصوص، إبان المناقشات المجتمعية بشأن الدستور الجديد، هما: «مبادئ الشريعة»، و«أحكام الشريعة»، حيث يعرف الأولى على أنها «الغايات والمصالح والمعاني والأهداف التي أتت الشريعة لتحقيقها»، وهي ما يعرف فقهيًا بـ«مقاصد الشريعة»، وهي مقسمة، وفقًا للفقهاء، إلى عدة تقسيمات أساسية، يعتبرها الكاتب بمثابة المكونات الرئيسة لمبادئ الشريعة الإسلامية، وهي:

الضرورات: ويعرفها الكاتب بمسائل الحياة والموت .

الحاجيات: وهي كل ما يحتاجه الناس من حاجات استهلاكية مطلوبة ومهمة.

التحسينيات: وهي المسائل الاستهلاكية غير الضرورية.

وقد جاءت الشريعة بكل هذه التقسيمات، من وجهة نظر الكاتب، لتحقيق مصالح الناس وملائمة معيشتهم، ومن ثم فهو يرى أنه لا يجوز فرض الشريعة بشكل قسري على البشر وعلى المجتمعات دون أن تكون ملائمة لظروف حياتهم أو تقاليد مجتمعاتهم، لأن الشريعة ذاتها تعتبر أن مراعاة الفطرة التي فطر الله عليها الناس من أهم مقاصد الشريعة، وكذلك فإن مراعاة النظم والقوانين الكونية من الشريعة، لأن الشريعة في مقصدها لا تصطدم مع النظم أو الثوابت فقد فرض الله الشريعة لحفظ نظام الأمة.

هنا تبرز هشاشة اللغط القائم الآن بين القوى الإسلامية والمدنية في مجتمعنا المصري، من خلال طرح الكاتب لبعض القيم التي قد يعتبرها البعض قيمًا «مدنية»، لكنها في الأساس قيم «إسلامية»، جاءت بها الشريعة وأعلت من شانها، كالسماحة، والعدل، والتعاون، والحكمة، والتكافل، والمصلحة العامة، وغيرها من معان رائعة، لفظتها السلطة والنظم في مجتمعاتنا، مما أدى إلى انهيار النظم وأخلاق المجتمعات.

ويرى الكاتب أن هذه المبادئ تعتبر مصالح وحقوقًا مطلقة، لا يمكن لأي عقل إنساني أن ينكرها أو يرفضها، مهما كانت ملته الدينية أو أيدلوجيته الفكرية، وقد تكون هذه المبادئ والأفكار هي السمة العامة الغالبة في برامج جميع الأحزاب والقوى السياسية المدنية قبل كل شيء، خاصة في مرحلة ما بعد الثورات نظرًا لعموميتها وعمقها وحرصها على الملائمة العامة للمجتمع.

أما أحكام الشريعة فهي تتجلى، وفقًا للباحث»، في الأحوال الشخصية التي لا يمكن لأي من المسلمين مهما كان تفكيره أو مرجعيته إلا أن يلتزم بها كامل الالتزام، ولا يجوز فيها الرجوع أو الأخذ بمبادئ الشريعة فقط، هكذا تكون أحكام الشريعة ملزمة في الأمور التي لا تحتمل إلا وجهًا واحدًا ملزمًا، وهكذا أيضًا تكون الموازنة بين الأحكام التي جاءت بها الشريعة وبين المقاصد الكلية العامة التي ترادف في معناها مبادئ الشريعة الإسلامية.

الأولويات الشرعية في مرحلة ما بعد الثورات

ثمة أولويات شرعية، يرى الكاتب، أنه يجب التفكير فيها والاهتمام بها في مجتمعاتنا العربية، ربما بشكل أكثر من الجدل حول تطبيق الشريعة من عدمه، فالمبادئ التي ذكرها الكاتب، والتي تعتبر مقاصد الشريعة قد تكون الأولوية الأولى في النهضة، وإعادة البناء بعد الثورة، فإذا كانت المسائل الشرعية تبنى بالأساس على الحكم والمعاني والمقاصد، فإنه لا بد، من وجهة نظر الكاتب، أن ترتب هذه المعاني ترتيبًا منطقيًا، فالضرورات أولى من الحاجيات، ومصالح الأمة أولى من مصالح الأفراد، والأولوية الحاكمة التي قد تكون تطبيقًا عمليًا للشريعة هي ما أطلق عليها الكاتب مصطلح الـ«محدودية»، محدودية الوقت، ومحدودية الجهد، ومحدودية المال.

محدودية الوقت عند الكاتب، إذن، هي مثال لإقامة محاكمة عاجلة وحاسمة لرموز أي نظام بائد في أي بلد من بلاد الثورة، فقد يكون ذلك أولى لملائمة معيشة الأفراد وعدم الإخلال بقيمة الإنسان وبنائه الذي هو الأولوية الأولى للشريعة الإسلامية ككل. في حين أن محدودية الجهد تتلخص في المطالبة أو الاهتمام والتركيز على قضية بعينها في مجتمعات ما بعد الثورة والعمل على تشكيل صورة ذهنية مختلفة عن تلك المجتمعات، بما يراه الكاتب أولوية كبرى في مجتمعات الربيع العربي، وهنا انتقد الكاتب مناداة بعض التيارات الإسلامية بمطالب إسلامية عقب الثورة رآها في معظمها شكلية لا تمثل أولوية عند عموم الناس ولا تمثل همومًا واقعية ولا أولويات شرعية، باعتبارها جاءت على حساب توحيد صف الأمة المصرية وحماية ثورتها.

تبقى محدودية المال، والذي طرحه الكاتب في شكل الإمكانيات الاقتصادية لبعض المشاريع القومية الكبرى في مجتمعنا، حيث رأى أنه يجب ترتيب أولويات الاقتصاد ترتيبًا سليمًا، وأن تبدأ المجتمعات بتنفيذ المشروعات التي تحافظ على حياة الإنسان وعقله وكرامته، قبل التفكير في الكماليات الترفيهية التي لا تخدم كافة البشر.

وقد يفسر أعضاء الأحزاب وكوادر العمل السياسي في مصر وغيرها هذه الأولويات تفسيرًا سياسيًا، لكنها في الأساس أولويات شرعية، جاءت بها الشريعة الإسلامية، حفاظًا على الإنسان والأمة ككل. وفي محاولة من لإزالة الالتباس بين الحرية والالتزام بالشريعة، يؤكد الكاتب أنه قبل أن نطبق الشريعة يجب أن نعلي من قيمة الحرية والاختيار، فلا يمكن، من وجهة نظر الكاتب، الحديث عن تطبيق الشريعة في مجتمع لا يؤمن بالحرية ولا يمارس أفراده هذه الحرية، لأن بناء الإنسان الحر هو الذي يأتي بالتحرير، على حد وصف الكاتب، وفاقد الشيء لا يعطيه.

الشريعة بين العلمانيين والإسلاميين

«الحوار هو الحل»، هكذا يلخص الكاتب حل الأزمة بين الإسلاميين والعلمانيين في مجتمعات ما بعد الثورات، باعتبار أن الحوار هو حلقة الوصل المفقودة بين التيارات المختلفة، خاصة مع انحسار الحوار بين أفراد التيار الواحد، لاسيما مع الاختلاف بين التيارات الإسلامية ذاتها حول مدى حرمانية الديمقراطية من عدمها، أو الدخول في أحزاب ومدى شرعية ذلك فقهيًا وغير ذلك من أمور.

إلا أن الكاتب يرى أن الحوار مع التيارات الأخرى قد يساهم بشكل كبير في «تمدين» الأفكار الإسلامية بشكل يسهل وصولها إلى قطاع كبير من الناس، ويعطي للهوية الإسلامية وضوحًا وتبلورًا من خلال أبعاد مدنية مهمة ومعاصرة، فالحوار بين التيارات السياسية، العلمانية منها والإسلامية، هو السبيل الوحيد، وفقًا للكاتب، لإنشاء نظام عصري مدني ذي مرجعية إسلامية، حيث إن ثمة تقاطعًا معتبرًا بين الديني والمدني وتحديد المساحات بينهما يحتاج إلى مزيد من التفصيل والحوار المجتمعي المستمر والمتواصل على كافة المستويات.

نقلاً عن موقع المصري للدراسات والمعلومات

عــرض: زبيــر طـوالبــي (الثعالبي)
zoubir.toualbi@gmail.com

صفحة هذا العدد من نشاطات الشعب نخصص غالبيتها لأنشطة الشعبة الولائية لتلمسان، التي بُرمجت وأنجزت في هذا الشهر الفضيل، والتي وافانا بها الأستاذ محمد بومشرة -عضو المكتب الولائي المكلف بالإعلام والثقافة- وهذه بعضها باختصار:

تلمسان

«القرآن في شهر القرآن» للشيخ طيّب إبراهيمي

في يوم الاثنين 06 رمضان المبارك 1434هـ. الموافق لـ: 15 جويلية 2013 برمج الشّيخ طيّب إبراهيمي لإلقاء محاضرة بعنوان: «القرآن في شهر القرآن» بقاعة المحاضرات التي نظّمها المكتب الولائي لجمعية العلماء المسلمين بالتّنسيق مع جمعية دار الحديث للتّربية والثّقافة والعلم.

تقدّم الأستاذ عبد القادر عمّاري بكلمات تمهيديّة للمحاضرة منوّها بأعضاء الجمعيتين اللّتين دأبتا على نشر الوعي عن طريق المحاضرات والدّروس الرّمضانية؛ معلّقا على تعامل الجيل مع القرآن العظيم في شهر رمضان فقط، بل علينا جميعا أن نجعل وردا من القرآن العظيم مدّة حياتنا.

ليتقدم الشّيخ طيّب إبراهيمي إمام مسجد دار الحديث مبيّنا أنّ الحديث عن القرآن العظيم ذو شجون، وهو أعظم حدث وقع في هذا الكون، وأثّر في الكون كلّه، فأثّر في الجماد في قوله تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللّهِ}(الحشر:21) فكيف يخشع الجبل ولا تخشع القلوب الغليظة؟

وأشار إلى تأثير القرآن في الدّابة التي إذا سمعت القرآن يُتلى يُسمع لها أطيط، وأثّر القرآن في الجن، قال الله تعالى:{إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}(الجن:2-1)، وأثّر في مشركي قريش إذ يأتون بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم متسلّلين ليلا ليسمعوا تلاوته وعند السّجدة يسجدون رغم أنوفهم، وحتّى لا يؤثّر فيهم وفي ضعافهم أمروهم بالتّشويش على قارئ القرآن بالتّصفيق والتّصفير، قال الله عزّ وجلّ: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}(فصلت:26) وأثّر في أهل الكتاب قديما وحديثا.

أمّا تأثير القرآن العظيم في الرّعيل الأوّل من الصّحابة الذين استجابوا له ليجعل منهم أناسا من طراز خاص لا مثيل لهم في التّاريخ كلّه، فجعلهم الله تعالى خير أمّة أخرجت للنّاس.

فكان القرآن العظيم سببا مباشرا في إخراجهم من الظّلمات إلى النّور حين فهموه وتعاملوا به فكوّنت فيهم إلى الأبد التّوحيد والوحدة والعزّة والرّقيّ. فأحدث هذا النّوع من الأجيال المتعاقبة ثورة في الاقتصاد والعلم والأخلاق، فصاروا روّادا في السّياسة وروّادا في الفتوحات، حتّى أن علماء الغرب المنصفين اعترفوا بتأثير القرآن في ذلك الجيل والأجيال المتتالية.

ثم واصل قائلا: علاقة شهر رمضان المبارك بالقرآن العظيم علاقة حميمية، فقد شرف شهر رمضان بنزول القرآن فيه، والقرآن والصّيام يشفعان يوم القيامة في الإنسان، فيقول الأوّل لله تعالى: حرمت عنه النّوم فشفّعني فيه، ويقول الثّاني: حرمته من الأكل والشّرب فشفّعني فيه، فيُشفّعان، وتلا قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}(البقرة:185).

وفي الختام دعا الشّيخ طيّب إبراهيمي الحاضرين إلى العمل على إحياء نهج السّلف الصّالح في العلاقة العملية والمعاملة الرّبّانية مع القرآن العظيم بالليل والنّهار.

ثم تناول الكلمة الشّيخ بن يونس ليثري المحاضرة بادئا بالدّعاء للشّيخ المحاضر بالشّفاء.

انطلق الشّيخ بن يونس من اعتراف بعض علماء الغرب العقلاء كالفيلسوفين موريس بوكاي صاحب كتاب: «الإنجيل والقرآن والعلم» وبارنارد شو الذي تأثّر بما جاء به محمّد صلّى الله عليه وسلّم فقال: لو أنّ محمّدا -عليه الصّلاة والسّلام- حيّ بيننا، لحلّ جميع مشاكل العالم قبل أن ينتهي من ارتشاف فنجان قهوة، فالأمم بلا قرآن كجسد بلا روح وخطّ بلا وضوح.

واستشهد الشّيخ بن يونس في مداخلته بأبيات شعرية لشاعر الشّباب محمّد العيد آل خليفة فقال:

كتاب الله كنـــز ليـس يفـنى
وشـمـس لا يغيـب لـها ضياء
هدى للمتّقيـــن فكـــن تقيـا
وسلـه مـن الهـدايـة ما تشاء
تداو بـه مـن الأسـقـام تـبـرأ
ففيـه لكـــلّ سقـم شـــفـاء

أمّا الأستاذ محمّد حمودي فذكر أنّ القرآن الذي هدى ذلك الجيل الذي كان يعيش في المنكرات والمحرّمات يصير جيلا من خيرة الأجيال عبر العصور بعدما كانوا في الحضيض وما إن تابوا وفقهوا ما جاء به صلّى الله عليه وسلّم حتّى أصلحوا أنفسهم ومن حولهم فارتقوا إلى العلا حين تمسّكوا بالقرآن العظيم الذي يرفع أقواما ويذلّ آخرين.

ومن خلال هذه التّدخّلات التي أنعشت الشّيخ طيّب واسترجع قواه ونسي علّته أضاف قائلا أنّ محمّدا صلّى الله عليه وسلّم أسّس دولة بالبرنامج الذي جاء به يوم طبع أجيالا من الصّحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم في جميع الميادين تمشي ولا تتوقّف، متمثّلة في أخلاقها ومعاملاتها مع غير المسلمين حتّى أسلم من أسلم بدون رفع السّلاح أو إراقة الدّماء يوم فتح مكّة أو إسلام أهل جنوب إفريقيا، ما عدا بعض الأماكن التي اغترّت بكثرتها وعدّتها وقلّلت من شأن الفاتحين فقاوموا وجاهدوا من أجل نشر العقيدة الصّحيحة والعدل بين النّاس.

كما وضّح للحاضرين أنّ من الأسباب التي أبعدت الأجيال عن فهم القرآن العظيم هو ابتعادهم عن فهم اللّغة العربية التي هي الجسر المقطوع بين القرآن وهذا الجيل.

وفي الأخير، ولإعطاء صورة واضحة عن الفكرة، أشار المنشط الأستاذ عبد القادر عماري إلى أن أعداء الإسلام عملوا على إبعاد الطلبة عن اللغة العربية مدعين أنها ليست لغة علم، وقرأ قصيدة شاعر النيل حافظ إبراهيم الطويلة:

رَجَعْتُ لنفسي فاتّهَمْتُ حَصَاتي
ونَاديتُ قَوْمي فاحْتَسَبْتُ حَيَاتي
رَمَوْني بعُقْمٍ في الشّبَاب وليتني
عَقِمْتُ فلم أَجْزَعْ لقَوْلِ عُدَاتي
وَلَدْتُ ولمّا لم أَجِدْ لعَرَائسي
رِجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتي
وَسِعْتُ كِتَابَ الله لَفْظاً وغَايَةً
وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فكيفَ أَضِيقُ اليومَ عَنْ وَصْفِ
آلَةٍ وتنسيقِ أَسْمَاءٍ لمُخْتَرَعَاتِ

«مفهوم العبادة في الإسلام»:

للشّيخ بن يونس آيت سالم نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين

في يوم الأربعاء 08 رمضان المبارك 1434هـ. الموافق لـ: 17 جويلية 2013 بقاعة المحاضرات بدار الحديث بتلمسان كانت المحاضرة للشّيخ بن يونس آيت سالم، بعنوان: «مفهوم العبادة في الإسلام».

بدأ سماحته بالتعريف لمفهوم العبادة قائلا: كلّ الطّقوس التّعبّدية من صلاة وحجّ وزكاة وصوم في شموليتها، تؤدّى كما أرادها الله تعالى: والعبودية هي الخضوع والتّذلّل، وكلّ خاضع ذليل يُسمّى عبدا لسيّده ومالكه.

قال الله تعالى على لسان سيّدنا موسى عليه وعلى نبيّنا السّلام مخاطبا فرعون: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ}(الشعراء:22) وقال الله عزّ وجلّ:{إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً}(مريم:93) وقال أيضا وهو أصدق القائلين: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}(الفاتحة:5) هذه الآية التي نقرؤها في كلّ صلاة بل في كلّ ركعة.

فالعبادة هي كلّ شيء أخضعت له نفسك، فأنت له عبد وإن كان لا يَعقل، فكفّار قريش أخضعت نفوسها للحجارة والأصنام فصاروا عبيدا لها.

وهناك من جعل نفسه عبدا للمادّة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «تعس عبد الدّينار والدّرهم والخميصة»

عبادة الله: هي الخضوع له سبحانه وتعالى خضوعا كاملا في جميع ما جاء به محمّد صلّى الله عليه وسلّم بالمحبّة مبلّغا عن ربّه مصحوبا بحبّ الله والخوف والرّجاء.

والخوف من الله تعالى يختلف تماما من الخوف من غيره، فالباعث عليه هو حبّ الله والحياء منه في السّرّ والعلن، فالخوف والرّجاء جناحان يطير بهما المؤمن.

فلا يجوز تبعيض الإسلام في العبادة والأخلاق، إذ كلّ ما أمر به الله عزّ وجلّ وما نهى عنه يُعتقد بالقلب ويمارس بالجوارح فهو عبادة لله، الكلمة الطّيّبة صدقة والابتسامة في وجه أخيك صدقة...

وتُطلق العبادة بالمعنى الخاص على الشّعائر، أمّا بالمفهوم العام فتُطلق على الخضوع لله تعالى في كلّ حركة وسكون طاعة لله.

الأعمال دلائل على الصّلاح:

للعبادة بعدان في فعل الأوامر وترك النّواهي، ومن وراء ممارستهما التّقرّب إلى الله فتلك عبادة لله عزّ وجلّ، وكلّ عمل يتّجه به العبد إلى ربّه فهو عبادة.

قال الله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}(البقرة:177)، نجد في هذه الآيات: العقائد والشّعائر التّعبّدية والمعاملات والأخلاق لا يمكن الفصل بينها فهي كلّ لا يتجزّأ.

فالعقيدة الحيّة أصحابها أحياء تُثمر أعمالا صادقة وأوصافا فاضلة، كالشّجرة الطيّبة تثمر كلّ حين، أمّا الشّجرة الذّابلة فلن تثمر، فالنّبي صلّى الله عليه وسلّم ينفي كمال إيمان الرّجل بسبب نقص في الأخلاق، إذ يقول عليه الصّلاة والسّلام: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، من بات شبعان وجاره جوعان، وهو يعلم».

إنّها الأخلاق الفاضلة التي جاء بها محمّد صلّى الله عليه وسلّم، إنّما هي أثر لازم للعقيدة الصّادقة والعبادة الحقّة، قال الله تعالى: {كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ}(النساء:135) وقال أيضا وهو أصدق القائلين:{إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}(العنكبوت:45).

ومثل هذا الحديث النّبوي الشّريف كثير، يقول عليه الصّلاة والسّلام: «لا يدخل الجنّة من لا يؤمن جاره بوائقه» وقال أيضا عليه السّلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

العبودية الحقّة كرامة:

قال الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً}(الإسراء:1)

من خلال هذه الآية نجد كلمة «بعبده» تعطينا البعد الحقيقي لعبودية الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وأكثر من هذا فالعبودية الحقّة للرّسول صلّى الله عليه وسلّم استحقّ أن يسخّر الله له الكون كلّه أرضه وسماءه.

وفي الحديث الشّريف بينما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعلّم أصحابه التّشهّد، وعند قوله أشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، نطق أحدهم وقال أشهد أنّ محمّدا رسول الله وعبده، فقال النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام لقد كنت عبدا قبل أن أكون رسولا.

دور النّفس في هذه العملية:

يكون صلاح النّفس بالعبادة الصّالحة، والعقيدة الحقّة والأخلاق الفاضلة، فصلاح النّفس يأتي بكلّ خير، قال الله تعالى: {وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً}(الإسراء:39) وقال كذلك: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً}(الإسراء:25).

النّقاش:

وحين انتهى الشّيخ بن يونس من إلقاء المحاضرة فُتح باب النّقاش والتّعليق للإثراء والاستفادة.

فمن خلال مداخلة الدّكتور عبد الحفيظ بورديم أراد أن يستفسر عن أمور تتمّة للمحاضرة، عن الملاحدة الذين ينكرون وجود الله هل هم عبيد لله، وذاك الإنسان الذي يزعم أنّه يجتهد ليتقرّب من الله أكثر فأكثر نجده يبدع في العبادات.

فكان جواب الشّيخ المحاضر كخلاصة أنّه لا يوجد في الكون إنس غير خاضع لله تعالى، لأنّ في الكون سننا يخضع لها رغم أنفه، فكلّ من ينسحب من عبودية الله تعالى ليتحرّر فإنّما هو خاضع لله سبحانه وتعالى في كونه، ولكنّه ليس عبدا لله اختيارا بل هو عبد لله بالإكراه.

أمّا بالنّسبة لمن يبدع في العبادات فلا يُعبد الله إلاّ بما شرع، ومن يبدُ له التّقرّب إلى الله بالزّيادة فهي البدعة التي حذّرنا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم منها كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النّار، أي صاحبها ومن عمل بها في النّار.

أمّا الحكيم نصر الدّين الواد مختصّ في الأمراض العقلية والنّفسية فقد أشار إلى مفهوم الاستخلاف عند المسلمين ومفهوم العبادة، كما عرّج على من فهموا فهما خاطئا لحقائق العبادة فنتج عنه مرض نفسي في إتّباع الهوى، إذ كان شرّ إله عُبد هو الهوى، وحبّ الدّنيا وإتّباع خطوات الشّيطان، مشيرا إلى أنّ عُبّاد الهوى أصبحوا كُثرا.

مع العلم أنّ حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة، فعلى الإنسان أن يجمع بين الدّين والدّنيا وأن يساوي بين الرّوح والمادة، لأنّه لا رهبانية في الإسلام، فالسّلف الصّالح كانوا فرسانا بالنّهار ورهبانا بالليل، سخّروا أموالهم وما يملكون لآخرتهم.

وعلى العبد أن لا ينام وينتظر الرّزق فالسّماء لا تمطر ذهبا ولا فضّة، وعليه أن يتحرّك ليتطوّر ويتقدّم، فمن دعاء الصّالحين اللّهم اجعل الدّنيا في أيدينا لا في قلوبنا، قال الله تعالى:{كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً}(المؤمنون:51).

وعلّق الشّيخ على تدخّل الحكيم نصر الدّين الواد عن الأستاذ في قسمه يتعبّد بالعمل والطّبيب في عيادته والأب في بيته مسؤول عن رعيته وطالب العلم في المؤسّسات التّعليمية هم لله عابدون، وقدّم الشّيخ للحاضرين قصّة ذات عبرة عن طبيب في مداومته وكان له ورد يقرأه يوميا، وحين شرع في الورد، دعي إلى قاعة الاستعجالات لحالة خطيرة تتطلّب عملية في الحين، غير أنّ صاحبنا واصل ورده، وما كاد يُنهيه حتّى مات المريض، فهل تشفع له عبادته هذه وأوراده؟ طبعا لا.

وأنهى الشّيخ بن يونس مداخلته بأبيات مستشهدا بها للأستاذ محمّد إقبال:

ما في مدارسك التي ترتادها
إلاّ بحـــــوث مغفّل وبليـــد
سرّ الدّراسة في فؤادك كامن
لو كنت تحسن صرخة التّوحيد

الختام:

وكما جرت العادة ختم الشّيخ بن يونس بالدّعاء الذي كان يدعو به الشّيخ العلاّمة البشير الإبراهيمي: اللّهم هب لنا توفيقا ينير الطّريق، وهداية تقي العثرات، وعناية تأخذ باليد إلى الحقّ، ويقينا يزيل اللّبس في مواطن الشّبهات، وتأييدا يثبّت الأقدام في مواقع الزّلل، وثباتا يعصم من الفرار في ميادين الصّراع بين الخير والشّرّ، وصبرا يزع عن النّكوص على الأعقاب، وشجاعة تفُلّ الحديد، وتنسخ آية هذا العصر الجديد.

★★★

ولاية خنشلة
الدورة الشرعية الخامسة

تنظم شعبة ولاية خنشلة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورة في الأحكام الشرعية للأبناء، تدور حول محاور الفقه والعقيدة والأخلاق، وقدم تم تقسيم الأطفال إلى ثلاث فئات، الأولى من 7 إلى 11 سنوات والثانية من 12 سنة فما فوق إناث والفئة الثالثة تخص الذكور أكثر من 12 سنة.

تتوزع الدورة على ثلاثة أيام في الأسبوع لكل فئة، وقد شهدت الدورة إقبالا حسنا من أبناء مدينة خنشلة الذين تجشموا عناء نقل أبناءهم من أحياء بعيدة لاغتنام هذه الفرصة الهادفة إلى غرس القيم الإسلامية الرفيعة في الجيل الصاعد.

وتعتزم الجمعية اختتام الدورة بحول الله وقدرته بحفل توزع فيه جوائز على التلاميذ المتفوقين في الدورة وأيضا تكريم الأساتذة الذين تطوعوا بجهدهم في أيام الحر والصيام لخدمة هذا الهدف النبيل. فتقبل الله من الجميع.

ولاية الجزائر:
شعبة بلدية الدويرة:

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك برمجت شعبة بلدية الدويرة مجموعة محاضرات وذلك كل يوم سبت بعد صلاة العصر بقاعة الحفلات «حوريــة» حسب الجدول التالي:

عنوان المحاضرة	اسم المحاضر	المكان	الزمان
خطط لرمضانك	أ. علي بوناب	قاعة الحفلات "حورية"	السبت 07 رمضان/ 13 جويلية
رمضان مدرسة تربوية	د. محمد اسطنبولي	//	السبت 11 رمضان/ 20 جويلية
الجزاء من جنس العمل	د. عبد المجيد بيرم	//	السبت 18 رمضان/ 27 جويلية
ماذا قدمت لنفسك في رمضان	أ. الهادي الحسني	//	السبت 25 رمضان/ 03 أوت

لجنة الإغاثة التابعة لجمعية العلماء تكرم الوفد الطبي العائد من غزة

نظمت لجنة الإغاثة، التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بعد صلاة التراويح سهرة الخميس 16 رمضان الموافق لـ25 إلى 26 جويلية 2013، بمقرها الكائن في القبة، حفلاً تكريمياً على شرف الوفد الطبي، الذي زار غزة أواخر شهر جوان 1913، في مهمة إنسانية ضمن نشاط اللجنة الإغاثي لحملة –غزة 2.

تغطية: تميم

وقد حضر هذا الحفل أعضاء من المكتب الوطني للجمعية رفقة رئيسها الدكتور عبد الرزاق قسوم ورئيس لجنة الإغاثة الدكتور عمار طالبي، وجمع من محبي الجمعية، وأعضاء الوفد الطبي. ونشط هذا الحفل الشيخ يحيى صاري نائب رئيس اللجنة.

وألقيت بهذه المناسبة كلمات خاصة بمهمة هذه اللجنة وما قامت به خلال السنوات الفائتة، حيث كان لها تحركات محسوسة منذ سنة 2010 ، حيث قامت الجمعية بقافلة غزة 1، وتوجيهات تحسيسية وترشيدية، من قبل الشيوخ عبد الرزاق قسوم وعمار طالبي ويحيى صاري، إضافة إلى كلمة للأستاذ التهامي مجوري أمين مال الجمعية وعضو اللجنة وأمين مالها أيضاً. أما السيدان محمد خرور رئيس الوفد، ولخضر عزيزي مسؤول الإعلام، فقد اقتصرت كلماتيهما على ما أحاط بالوفد الطبي من أمور إدارية وترتيبات تنظيمية، وصفا فيها مهمة الوفد وعلاقتها بالإدارة الرسمية في الداخل والخارج.

أما الكلام عن مهمة الوفد ومنجزاته، فقد وكل بالكلام عنها الدكتور رضوان توري وهو أحد أعضاء الوفد، فقد قدم عرضا للمهمة، وهي انتقال وفد طبي متخصص من ثمانية أطباء أسنان وثلاثة مركبين طواقم أسنان إضافة إلى رئيس الوفد ومسؤول الإعلام، للقيام بحملة طبية متخصصة في طب الأسنان خدمة لأهلنا غزة، فحمل الأطباء معهم أدواتهم تحسباً لأي نقص قد يتسبب لهم في تعطيلهم، مع شيء من الأدوية، وتوزعوا حسب توجيهات وزارة الصحة التابعة لحكومة غزة، على ثلاثة مستشفيات ومن بين هذه المستشفيات الثلاثة، مستشفى الجزائر التخصصي الذي أنشئ في سنة 2010 في قافلة غزة 1 التي نظمتها جمعية العلماء يومها.. وكانت حصيلة العمل الذي قامت به البعثة الطبية للجنة الإغاثة، خلال خمسة عشر يوماً قضاها الوفد هناك، معالجة 600 حالة ما بين فحص وعملية جراحية وتطبيب، كان مقرراً أن تكون المدة 10 أيام ولكن بعدما أنهى الوفد عمله وعزم على مغادرة غزة، فوجئوا بغلق معبر رفح إثر الانقلاب الذي وقع في مصر، فعاد الوفد إلى المستشفيات ثانية واستأنف العمل من جديد، وتفرغ الأستاذان محمد خرور رئيس الوفد، ولخضر عزيزي مسؤول الإعلام لمعالجة قضية الخروج بالاتصال برئاسة اللجنة بالجزائر وسفير الجزائر بالقاهرة الذي كان داعماً للوفد ورافداً رئيسيا له. وقد لقي الوفد الطبي -كما ذكر ذلك الدكتور رضوان- ترحيباً واستحساناً منقطع النظير في غزة، على أمل تكون العودة قريباً بمشيئة الله.

دام الحفل حوالي ثلاث ساعات، حيث استمر إلى ما بعد الساعة الثانية صباحاً، واختتم بتلاوة آيات من كتاب الله كما بدأ، بعد أن وزعت شهادات تكريمية للدكاترة الأطباء تلقيهم التهاني والتبريكات على ما قاموا به من عمل، يكون من الصدقة الجارية في أرض الرباط فلسطين بإذن الله.

تهنئة

بعد تربع التلميذة النجيبة «**هدّار وصال**» على عرش أفضل النتائج في شهادة التّعليم الابتدائي بدائرة نقاوس وبمعدل 09.40 تتقدّم لها والدتها السيّدة: هوّام حوريّة بأحر التهاني وأطيب الأماني متمنية لها تحقيق مزيد من النجاحات في المستقبل إن شاء الله.

ألف ألف مبروك

بـــلاغ عـــن زكـــاة الـفـطـــر
لعـــام 1434هـ الـمـوافـــق سنـــــة 2013م

امتثالا لقوله تعالى:{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}(المعارج: 25-24)، وتحقيقا للرعايةَ الاجتماعية التي أرشدَ إليها المصطفى، صلى الله عليه وسلم، بالدعوة إلى إغناء الفقراء عن السؤال يوم العيد، حيث قال: «أغنوهم في هذا اليوم».

فإن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تدعو إلى المبادرة بإخراج زكاة الفطر عن شهر رمضان الفضيل، وتذكر أنها قدّرت هذه السنة بمائة (100) دينار جزائري، وهي قيمة صاع (2كلغ) من غالب قوت بلدنا.

وإنها كلفت أئمة المساجد بالتعاون مع رؤساء اللجان الدينية المسجدية عبر الوطن الشروع في جمع زكاة الفطر ابتداء من منتصف شهر رمضان على أن لا توزع على مستحقيها الذين أحصتهم لجان صندوق الزكاة إلا يوما أو يومين قبل عيد الفطر المبارك فلا تشرق شمسُه حتى يصل للمستحقين حقهم، فيشعرون بفرحة العيد وبهجته كما يشعر سائر الناس.

وإنها تذكر أن زكاة الفطر تجب على كل مسلم ومسلمة، صغير أو كبير، غني أو فقير، إن كان يملك ما يزيد عن قوت يومه، يخرجه المكلف عن نفسه وعن كل من تجب عليه كفالته.

وذهب إلى جواز إخراجها نقدا عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما من الصحابة وعمر بن عبد العزيز وطاووس من التابعين، وهو مذهب أبي حنيفة وسفيان الثوري والبخاري، وقول أشهب وابن القاسم، واختيار اللخمي وابن تيمية، وبهذا أفتى علماء الجزائر.

ورأى هؤلاء وغيرهم أن إخراجها نقدا أنسب للفقراء، لأنها شرعت لإغنائهم عن السؤال يوم العيد، وذلك يتحقق بدفع القيمة.

التفقه في الديـــــن والغايـــــة منـــــه*

الحلقـــــــة الثانية

بقلم: الشيخ بن حنفية العابدين

الجماعة الظاهرة على الحق

ولزوم التعاون على الخير متى توقف القيام به على وجود الجماعة التي يقر وجودها أولو الأمر في الدول الحديثة ليس في حاجة إلى أن يستدل له، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والمسلمون يشكلون أمة واحدة يجمع بينهم عقد الإيمان الذي على أساسه يوالي بعضهم بعضا، وينصر بعضهم بعضا، وهم مطالبون بالتعاون على البر والتقوى، وترك التعاون على الإثم والعدوان، وهم جميعا معنيون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير كل حسب قدرته، وهم لهذا خير أمة أخرجت للناس لقيامهم بتلك الوظيفة بعد الإيمان بالله، وقد أخبر الله تعالى أنه لا ينجو من الخسران غير المؤمنين الذين يعملون الصالحات المتواصين بالحق المتواصين بالصبر، وشرع الله تعالى من العبادات ما يدعم وحدتهم ويحافظ على جماعتهم ويحفظ انضباطهم وطاعتهم في المعروف، وقد كان فيما مضى عقد الإيمان وحده كافيا في بعث هذا التعاون ثم ضعف هذا الداعي في نفوسهم وانضاف إلى ذلك ما طرأ من الأمور في الدول الحديثة مما لم يكن موجودا من قبل، إذ غدا النشاط الجماعي العام محظورا إلا في إطار الهيآت والجمعيات التي يسمح لها الحكام بالعمل، والمعتقد أن الخير باق فيهم إلى يوم الدين، وأن طائفة منهم لا تزال على الخير والحق ولا تفتأ ظاهرة حتى يأتي وعد الله كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، عن بعضكم لبعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»1، وقد تضمنت ألفاظ الأحاديث الواردة في الطائفة المنصورة وصفها «بالظهور على الحق، وبالقهر للعدو، وبالظهور على الناس، وبالظهور على من ناوأهم، وبأنها قوامة على أمر الله، وأنهم لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، وأنها باقية إلى أن تقوم الساعة، وإلى أن يأتي أمر الله»2، هذا ما أخبر به الصادق ونحن مؤمنون به ومصدقون، وغير خاف عنك أن هذه الجماعة كانت موجودة يوم كانت بيضة الإسلام محمية وأحكامه تسري في حياة الناس في الجملة، أما الآن فلا بد من اصطناع هذه الروابط التي فرضها القانون، وجعلها شرطا في الإقدام على بعض الأعمال التي لا غنى للمجتمع المسلم عنها، ولا تقوم الرابطة بين أفراده كما ينبغي إلا بها.

كثير من المطالب الشرعية التي تضمنتها نصوص الكتاب والسنة، ومثلها في ذلك الأخبار الواردة في صفات المؤمنين؛ كان الفرد المسلم يقوم بها وحده، ويدعو إليها غيره، ويتعاون مع إخوانه على تحقيقها، أما في هذا العصر فإن كل ما يفعله الفرد هو أن يقول بلسانه، ويحض بكلامه، أو يقدم جهدا بمفرده، وقد لا يقدر على القول بله الفعل، أما أن ينتقل إلى ما وراء ذلك من الفعل المؤثر الواسع فلا سبيل له إليه إلا في هيئة يعترف بها أولو الأمر، ويسمحون لها بالنشاط.

كلام ابن باديس عن جماعة المسلمين

وقد تنبه العلامة ابن باديس إلى هذا الأمر مبكرا، ونهض إليه مبادرا، كان ذلك يوم سقطت الخلافة الإسلامية، رغم أنه لم يكن يرى في سقوطها إلغاء للخلافة بمعناها الإسلامي، وإنما كان ذلك في نظره إلغاء لنظام حكومي خاص بالعثمانيين، فهو بفراسته رحمه الله رأى أن المسلمين قد أفلت منهم أن يقيموا نظامهم السياسي على هدي الإسلام، وفي ذلك النظام لم تكن الحاجة إلى هذه الجمعيات كما هي الآن، وقد كاتب شيخ الأزهر في هذا الشأن، ولما لم يتلق منه جوابا قال معلقا على موقفه: «وسيرى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر أن خيال الخلافة لن يتحقق، وأن المسلمين سينتهون يوما ما إلى هذا الرأي»3، لقد دعا ابن باديس إلى أن ينتظم أمر المسلمين في جماعة تشمل كل أقطارهم، ولعله كان وهو يدعو إلى ذلك قد قام في ذهنه خبر الطائفة المنصورة التي أخبر عنها رسول الله(، كان متشوفا إلى جماعة تنتظم فيها أقطار المسلمين قاطبة، والعجب أن ابن باديس لم يتردد في اعتماد الفصل القائم بالفعل بين «الناحية السياسية الدولية، والناحية الأدبية الاجتماعية»، في حياة المسلمين، وإن كان هذا الفصل مرفوضا، وقد رتب على هذا الواقع المرفوض الحاجةَ إلى إنشاء تلك الجماعة كي تحافظ على ما يمكن من أحكام الإسلام، وهذا بلغة المعاصرين يعني فصل الدين عن الدولة، وهذا الأمر وإن كنا نمقته ونعارضه مبدأ، فإن ذلك لا ينفي أنه موجود واقع، فمراعاته في العمل الدعوي مما لا مناص منه، فليفقه هذا الأمر من شاء أن يفقهه.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله4: «كان المسلمون في الصدر الأول جماعة واحدة يتعاونون على البر والتقوى من غير ارتباط بعهد ونظام بشري، كما هو شأن الجمعيات اليوم، فإن عهد الله وميثاقه كان مغنيا لهم عن غيره، وقد شهد الله لهم بقوله: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(آل عمران:11)، ولما انتثر بأيدي الخلف ذلك العقد، ونكث ذلك العهد، صرنا محتاجين إلى تأليف جمعيات خاصة، بنظام خاص لأجل جمع طوائف من المسلمين وحملهم على إقامة هذا الواجب (التعاون على البر والتقوى) في أي ركن من أركانه، أو عمل من أعماله، وقلما ترى أحدا في هذا العصر يعينك على عمل من البر ما لم يكن مرتبطا معك في جمعية، ألفت لعمل معين، بل لا يفي لك بهذا كل من يعاهدك على الوفاء، فهل ترجو أن يعينك على غير ما عاهدك عليه؟، فالذي يظهر أن تأليف الجمعيات في هذا العصر مما يتوقف عليه أمثال هذا الأمر وإقامة هذا الواجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما قال العلماء... إلى آخر كلامه رحمه الله.

الاستفادة في الدعوة من النظم الحديثة

لقد تمكن المسلمون حين نظموا أعمالهم في هيآت معتمدة أن يكون لهم محاكم شرعية في دول كافرة، فهذه مملكة بريطانيا تسمح للمسلمين بإقامة عشرات المحاكم الشرعية في ترابها، ويتعدى اختصاص تلك المحاكم الأحوال الشخصية إلى غيرها، فيتحاكم إليها من شاء من المسلمين في تلك البلاد، وإني أتوقع لهذه الجمعيات في أوطان المسلمين الخاصة، ووطنهم العام، متى كان لها ثقل علمي واجتماعي، وقادها أهل البصيرة الشرعية والاستقامة والأناة والتدرج أن يؤدي وجودها إن شاء الله إلى تحقيق شيء من هذا فتعود بعض أحكام الشرع للحياة العامة، وإلا فكيف يعجز المسلمون في ديار الإسلام عن تحقيق ما حققه إخوانهم في ديار الكفر؟.

إن من أحكام الله تعالى ما هو موجه إلى الأفراد يقوم به - ولا بد - كل من توفرت فيه شروط التكليف، وهذا القسم هو الأصل في الإصلاح، وهو معظم الدين، ومنها ما الأمر فيه موجه إلى الأمة قاطبة، فإذا قام به بعضها سقط عن الباقين، وهي فروض الكفاية، ونحن نرى أن كثيرا من النوع الأول يعسر على المرء التزامه لما له من علاقة بالنوع الثاني، وأحكام الشرع تتكامل وتتعاضد، بل إن الضغط مستمر على الفرائض العينية، وما فتئ قيام الفرد المسلم بها يتعرض للتضييق لتزايد ابتعاد الحياة العامة عن هدي الإسلام، وقد قال بعض أهل العلم إن الأجر على فرض الكفاية أعظم من الأجر على فرض العين، ولعل ذلك باعتبار عدم اهتمام الناس بالأول وتنبههم له، وتراميهم المسؤولية فيه، وهذا في الوقت الذي كانت فيه وسائل رعاية الحكم قائمة، فكيف يكون الحال بعد أن غاب عن حياة المسلمين الحاكم الذي يقيم شرع الله، ويصلح الدنيا بالدين، في هذه الحال يأتي عمل جماعة المسلمين كما كان العلماء يسمونها من قبل، ويعطونها الصلاحية التي للإمام في غيبته، أما اليوم فيجب أن تنشأ لتمارس بعض تلك الصلاحية مع وجوده لأنه تخلى عنها، فالسعي في تأسيسها واجب لتقيم من الإصلاح ما تيسر.

ويتضح لك الحكم الشرعي في القانون الأساس الذي يتم التعاقد عليه بين المنتمين للجمعية أو أية هيئة تؤسس لخدمة الدعوة إلى الله في شقيها العلمي أو العملي بقراءة كلام الإمام ابن تيمية إذ قال: «إن كل اجتماع في العالم لا بد فيه من التحالف، وهو الاتفاق والعاقد على ذلك من اثنين فصاعدا، فإن بني آدم لا يمكنهم العيش إلا بما يشتركون فيه من جلب منفعتهم ودفع مضرتهم، فاتفاقهم على ذلك هو التعاقد والتحالف»، انتهى.

وما أعظم انطباق ما ذكره هذا الإمام على حال المسلمين اليوم مع حكامهم حيث لا تجمعهم في الكثير من أمورهم طاعتهم، لأنهم لا يهتمون بالكثير من شؤون دينهم في حياتهم العامة، قال رحمه الله: «وكل قوم لا تجمعهم طاعة مطاع في جميع أمورهم، فلا بد لهم من التعاقد والتحالف فيما لم يأمرهم المطاع»5، انتهى.

واجب جماعة المسلمين في هذا العصر

إن القيام على أحكام الله تعالى والعمل بها ذو مستويات ثلاثة: مستوى الفرد وما ينضم إليه من أسرته ومن هو مسؤول عنه، ومستوى الأمة برمتها لو كانت الخلافة الإسلامية قائمة على أرض الإسلام كافة، وهكذا لو قامت إمارة إسلامية على جزء من أرض الإسلام فإن القيام على إصلاح الدنيا بالدين يتولاه الأمير بمعونة جماعة المؤمنين، والمستوى الثالث جماعة المؤمنين إن لم يكن حاكم لسبب ما، ويدخل فيه ما إذا لم يقم الحاكم بما عليه مما كلفه الله به، وهذه الحالة يتحدث عنها الفقهاء في طوايا كلامهم عمن يتولى إقامة أحكام الله في جزئيات المسائل كما في ولاية النكاح والطلاق بل وفي إقامة الحدود وغيرها، وهو أمر مجسد اليوم في بلاد الكفار، فإن الذي يتولى تزويج من أسلمت من الكفار هو جماعة المسلمين حيث لا سلطان هناك، وكذلك الحال في الطلاق، أما في بلدان المسلمين حيث الحاكم موجود فالأمر مختلف، إما لأن بعض الأحكام ما تزال مرعية في الجملة كأحكام الأسرة، أو لغير ذلك من الأسباب، وإذا تخلى الحكام عن واجباتهم فإن هذا لا يعفي الأمة أو من قدر منها من القيام بما عليها، والأنظمة الحديثة تمكن الأمة من القيام بكثير من الأعمال في شتى مجالات الحياة عن طريق الجمعيات وغيرها من الروابط، بحسب نظمها الأساسية التي تعدها تلك الجمعيات وتوافق عليها الجهات الإدارية في الدول، وإني أضرب هنا مثالا بإمكان إقامة الحدود لأن كثيرا من الناس يتكلمون عليها ويزهدون في إقامتها لأنها لا تتأتى، فإثبات إمكان إقامتها فعلا من غير الحاكم بعد بيان مشروعية ذلك يدل من باب أولى على إمكانية إقامة غير الحدود من الأمور الأخرى، وما أكثرها.

وأكتفي هنا بذكر كلام لابن تيمية رحمه الله بعد الإشارة إلى أن بعض الحدود قد قام الدليل على أن السيد يقيمها على مملوكه، قال ابن تيمية: «خاطب الله تعالى المؤمنين بالحدود والحقوق خطابا مطلقا كقوله: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(المائدة:38)، وقوله: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}(النور:2)، وقوله: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}(النور:4)، لكن قد علم أن المخاطب بالفعل لا بد أن يكون قادرا عليه والعاجزون لا يجب عليهم، وقد علم أن هذا فرض على الكفاية، وهو مثل الجهاد، بل هو نوع من الجهاد، فقوله: «كتب عليكم القتال»، وقوله: «وقاتلوا في سبيل الله»، وقوله: «إلا تنفروا يعذبكم»، ونحو ذلك هو فرض على الكفاية من القادرين، والقدرة هي السلطان، فلهذا وجب إقامة الحدود على ذي السلطان ونوابه، والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد، والباقون نوابه، فإذا فرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية من بعضها، وعجز من الباقين، أو غير ذلك فكان لها عدة أئمة، لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود، ويستوفي الحقوق، ولهذا قال العلماء إن أهل البغي ينفذ من أحكامهم ما ينفذ من أهل العدل وكذلك لو شاركوا الإمارة وصاروا أحزابا لوجب على كل حزب فعل ذلك في أهل طاعتهم، فهذا عند تفرق الأمراء وتعددهم، وكذلك لو لم يتفرقوا وطاعتهم للأمير الكبير ليست طاعة تامة، فإن ذلك أيضا إذا أسقط عنه إلزامهم بذلك لم يسقط عنهم القيام بذلك، بل عليهم أن يقيموا ذلك، وكذا لو فرض عجز بعض الأمراء عن إقامة الحدود والحقوق، أو إضاعته لذلك، لكان ذلك الفرض على القادر عليه، وقول من قال لا يقيم الحدود إلا السلطان ونوابه إذا كانوا قادرين فاعلين بالعدل، كما يقول الفقهاء: الأمر إلى الحاكم إنما هو العادل القادر، فإذا كان مضيعا لأموال اليتامى، أو عاجزا عنها، لم يجب تسليمها إليه مع إمكان حفظها بدونه، وكذلك الأمير إذا كان مضيعا للحدود، أو عاجزا عنها لم يجب تفويضها إليه، مع إمكان إقامتها بدونه، والأصل أن هذه الواجبات تقام على أحسن الوجوه فمتى أمكن إقامتها من أمير لم يحتج إلى اثنين، ومتى لم يقم إلا بعدد ومن غير سلطان أقيمت إذا لم يكن في إقامتها فساد يزيد على إضاعتها، فإنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن كان في ذلك من فساد ولاة الأمر أو الرعية ما يزيد على إضاعتها لم يدفع فساد بأفسد منه»6، انتهى، وكلامه رحمه الله واضح والشرط الذي اشترطه وجوده ممكن بل هو واقع.

قد ترى هذا بعيدا أن يقام في عالم اليوم، لكن ما المانع أن تتأسس جمعية لإقامة الحدود، ويوافق عليها أولو الأمر، ولا نقول إن الحدود تقام على كل من ثبتت عليه، بل على من أقر بها، ورغب أن تقام عليه ليتطهر من ذنبه كما كان الناس يفعلون، أليس من حق الناس ذلك؟، أليس هذا من الحرية التي يزعمون أن أنظمتهم توفرها للناس؟.

هذا تصوري لمآل تأسيس الجمعيات المحلية والوطنية والدولية والانخراط فيها، وهو تصور قد لا يدرك المرء زمان إثماره وقطف جناه، ولكن ينبغي أن نسعى له جهدنا، فنحقق أهدافا فورية من وراء هذا التأسيس أدنى من ذلك، حتى يقوم عليها ذلك البناء المرجى، وهو معيش في بعض بلدان العالم، والعاقل من اتعظ بغيره، والأغراض الكبرى تقام على ما دونها في الأهمية، ولا بأس في طريق الحق من السير البطيء فإنه خير من العجلة، وإنما يذم من تفرج على المخالفة من غير أن يفعل شيئا لوقفها أو علاجها، كذلك كان سلفنا: علموا مقاصد الشرع، وتفقهوا في أحكامه، وراعوا واقعهم في اصطناع الوسائل المشروعة لاستمرار الدعوة إلى الحق، والجمعيات من أعظم الوسائل إلى خدمة الحق في عصرنا7.

هوامش

1 - لفظ مسلم عن جابر، والحديث متواتر .

2 - المخرج من تحريف المنهج للمؤلف ص19 .

3 - آثار الإمام عبد الحميد بن باديس (5/384) .

4 - تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (6/131) .

5 - المختصر الحثيث في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث لعيسى مال الله فرج ص 552.

6 - مجموع الفتاوى 34/175و176

-7 رسالة المؤلف المسماة الجمعيات من وسائل الدعوة إلى الله.

يتبع

*رئيس شعبة ولاية معسكر

الاشهار

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م

الإسلام ديننا. والعربية لغتنا. والجزائر وطننا.

دعاء العدد

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت.

الاثنين 20 - 26 رمضان 1434 هـ /29 جويلية 04 أوت 2013 العدد: 663 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

انتكاسة الربيع العربي

بقلم: الأستاذ الدكتور محمد دراجي

ما يزال المشهد المصري بكل تفاصيله وتعقيداته يفرض نفسه كأبرز حدث، يستأثر بالاهتمام الدولي والإقليمي والوطني، وما تزال الصور والأخبار التي تنقلها كاميرات الفضائيات من الميادين والشوارع تحتاج منا إلى كثير من الوقفات المتأنية، والتحليلات الدقيقة، وإلى بذل مزيد من الجهد لمحاولة تفكيك هذه المعادلة الصعبة التي ستحدد مصير المنطقة، وتحدد طبيعة الصراع العربي الإسلامي الإسرائيلي.

إن الخلفية الحقيقية لهذا الصراع هي الصراع العلماني الإسلامي، لقد كبر على النّخب العلمانية، المفصولة على الجماهير، ومعاناة الشعوب، والغريبة عن ثقافة ودين الشعوب العربية والإسلامية، لأنها كانت ولا تزال تعيش في أبراجها العاجية، وصالوناتها الفاخرة، تُنّظر لمجتمع لا تعرف عمقه، ولا تقف على طموحاته، ولا تتحسس آماله وآلامه، حتى إذا خذلتها الجماهير في الانتخابات النزيهة، والتي شهد الداني والقاصي أنها كانت حرة وشفافة، قلبت ظهر المجن للمبادئ التي كانت تتغنى بها، وتملأ الدنيا صراخا وضجيجا في المناداة بالاحتكام إليها، وراحت تفكر في الوسائل غير الديمقراطية للانقضاض على نتائج الديمقراطية، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتمسح بأحذية العسكر، واستدعاء قبعات الجنرالات، وبزات اللواءات إلى المشهد السياسي، وهكذا تعود الشعوب التواقة إلى الحرية والديمقراطية إلى المربع الأول، وتخسر فرصة ثمينة للانطلاق الحضاري.

وواضح في النموذج المصري هذه المرة، أن هناك قراراً دوليا بالالتفاف عن ثورات الربيع العربي، وحرمان الشعب المصري من أن ينعم بمكاسب ثورة يناير، التي أطاحت بالكنز الاستراتيجي لإسرائيل وهو «حسني مبارك ونظامه الفاسد». وفي هذا الإطار نفهم التصريح المريب «لشمعون بيريز» رئيس الكيان الصهيوني الذي أكد بأن فشل الانقلاب الذي يقوده السيسي، هو كارثة بكل المقاييس على إسرائيل، ويؤكد هذا التحليل ويقويه هذا السكوت المريب، بل التواطؤ المفضوح من حكومات العالم الحر، وعواصم الديمقراطية، على انقلاب عسكري على الشرعية الدستورية، والزج برئيس منتخب وشرعي في غياهب المعتقلات، ثم تكتفي هذه الحكومات الغربية المتواطئة ببعض بياناتٍ التنديد الباهتة، تتوجه بها أساساً لشعوبها في الداخل حتى لا تثور عليها، بجريمة خيانة مبادئ الديمقراطية، وعدم مناصرة الشعوب ضد الاستبداد والفساد.

ويغلب على الظن أن الدافع الأساسي للالتفاف على ثورة الربيع العربي، هو وصول الإسلاميين السلطة، وتسلم مقاليد الأمور في مصر، هذا البلد المحوري في علاقة الشرق بالغرب، ومربط الفرس في القضية الفلسطينية، القضية المركزية للصراع العربي الإسلامي الإسرائيلي، ويظهر أنه رغم كل التطمينات فإن عواصم الغرب لا تزال لا تثق في الإسلاميين، لا لكون هؤلاء الأخيرين لم يحسنوا تسويق أنفسهم فقط، وإنما لأن الإسلاميين تحكمهم بعض المبادئ الأساسية، والتي لا يرضى عنها الغرب بحال من الأحوال، ولا الإسلاميون عندهم الاستعداد للتنازل عنها بحال من الأحوال كذلك.

وهنا أحسن فلول النظام القديم، وأشباه الديمقراطيين استغلال الفرصة، وراحوا يستثمرون في أخطاء الإخوان ويضخمونها، إن وجدت، ويختلقونها إن لم توجد، فالكل يعلم بأن أجهزة الدولة العميقة من قيادة جيش وشرطة، ونظام قضاء، وإدارة، دخلت كلها في حرب علنية مكشوفة ضد الرئيس المنتخب، وبذلت كل جهودها من أجل فرملته عن السعي في تتبع بؤر الفساد المعشعشة في تلك الأجهزة، وكبح جماحه حتى لا يخطو خطوة واحدة نحو الإصلاح، وتمترس هؤلاء المفسدون وراء إمبراطورية الفساد الكبرى، ألا وهو الإعلام الخاص، الذي ينفق عليه بسخاء رجال المال والأعمال الذين تربوا على عين -غير المبارك- واستطاع تضليل الجماهير المغلوبة على أمرها بل وشحنها ضد كل ما إخواني أو إسلامي، بالحق وبالباطل، بل وصل الأمر بهذا الإعلام الموجه والمغرض والدنيء إلى حد استحضار أجواء الحرب من خلال شحن النفوس وتجييش المواطنين في معركة «شيطنة الإخوان»، و«قلب الحقائق» و«تزييف الوقائع»، وتصوير الصراع السياسي وكأنه صراع بين الإخوان والشعب المصري.

وها نحن نرى بعد أن جُرّ الجيش إلى مستنقع السياسة الداخلية، وانحازٍ إلى طرفٍ ضد الآخر، انحيازاً سافراً مفضوحاً مكشوفاً، ففقد بذلك حياده كمؤسسة تحمي الجميع، ويفترض أن تقف على مسافة واحدة من الجميع، ها هو الإعلام يمارس دوراً آخر وهو السعي الحثيث لتحقيق التصفية الوجودية لكل ما هو إسلامي، والحرص على السير في طريق الاستئصال، وما تبرير هذا الإعلام للمجازر التي حصدت العشرات من الأرواح البريئة التي خرجت للتظاهر السلمي، ضد الانقلاب العسكري، إلا دليل إدانة له، ولعنة ستظل تطارده، وتفضح فقدانه للمهنية، بل والأخلاقية.

علمتني التجارب

لـــــوم الكســـــالى

الدكتور عبد الحليم قابة

يرى بعض الغيورين على أحوال الأمة في ظاهر أمرهم ممن نجح الشيطان معهم، فصدهم عن العمل، وشغلهم بإلقاء اللّائمة على غيرهم، يرون أن على الدعاة إلى الله القيام بكل الواجبات المنوطة برقاب الأمة بمجموعها، وعليهم أن يعالجوا كل الأوضاع الشاذة، وأن يصلحوا كل المفاسد، وأن يردوا على كل الشبهات المبثوثة في الكتب والقنوات، بل إن عليهم أن ينشئوا المدارس والجامعات، وأن يفتحوا دورا للنشر، وأن يؤسسوا للإعلام مؤسسات وغير ذلك من الواجبات والضروريات التي تلزم لنصرة الدعوات، فإن فعلوا ذلك فبها ونعمت، وإلا أثموا إثما عظيما وعُذّبوا عذابا أليما .

ويرى بعض من ابتلاه الله بحمل همّ هذه الدعوة، وخدمة هذا الدين، وعُرف بذلك حتى قصده الكبير والصغير، والأمير والحقير، والغني والفقير، يرون أن ذلك من التكليف بما لا يطاق، وأن ما ذكره أولئك الكسالى هو واجب أمة بمجموعها يتقاسم القادرون فيها أعباءه، ولا يُعقل أن يناط برقبة رجل واحد لم تبق له انشغالات هذا الميدان لحظة من وقته يرتاح فيها بدنه وعقله، ويُقبل فيها على نوم دون هموم أو سياحة دون مُنغّصات أو راحة دون أتعاب .

والمعقول الذي ينبغي أن لا يختلف عليه العقلاء، أن جميع أفراد الأمة مطالبون - واحدا واحدا - بخدمة هذا الدين كل حسب قدرته وبما أمكنه، من كلمة طيبة، أو نفقة هادفة، أو شفاعة حسنة، أو قرار حكيم، أو معونة عاضدة، أو مساهمة راشدة، وليس ذلك محصورا في شخص داعية أو خطيب أو عالم أو أستاذ، وجهود المسلمين تتكامل، وكل أحد سيحاسبه الله على ما مكنه الله منه وأعطاه، وكل نفس بما كسبت رهينة، والسالم من سلّمه الله، وقدره على أداء حقوق الله.

كلمة حق

بقلم: الأستاذ الدكتور عمار طالبي *

حمى الله مصر من حرب أهلية

إن دعوة الفريق عبد الفتاح سيسي إلى خروج الشعب المصري في مظاهرات حاشدة، وهو يعلم أن مؤيدي محمد مرسي دعوا قبله إلى التظاهر في اليوم نفسه، لتأييد الشرعية أمر مؤسف جدا، ويخلو من أية حكمة، ومن أية حنكة سياسية، لأن العاقبة المحققة لهذه الدعوة حرب أهلية، يسفك فيه بعض الشعب دم البعض الآخر، إن مظاهرات مؤيدي الشرعية، بقيت على مبدئها السلمي، والذين استشهدوا كانوا من هذا الفريق، سفك دماءهم البلطجية ورجال الأمن بلباس مدني، مع أن المتظاهرين سلميون، ولم يثبت أنهم حملوا السلاح، وكل قادتهم يدعونهم إلى ملازمة السلم، وعدم مخالفته، دعوة صريحة وحقيقية تشهد مخالفتها لحد اليوم، ومن يضمن سلمهم إن سفكت دماؤهم. ولعل هذه الدعوة التي نادى بها الفريق إنما هي لتتاح له الفرصة للانقضاض على معارضيه، للقضاء عليه، وقهرهم باسم الإرهاب، وهي دعوة ليست من شأن القائد الأعلى للقوات المسلحة، ولا من شأن وزير الدفاع، فكأن الفريق أصبح رئيسا للجمهورية، يطلب تأييد الشعب أو كأنه رئيس حزب أو رئيس مجموعة من الأحزاب يدعو الشعب لمناصرته، وهذا أمر غريب من عقلية عسكرية لا سند لها من الدستور الذي ألغي، واعتدي عليه بغير حق، ولا أي سند شرعي، وأهمل رئيس الجمهورية الذي وضعه، ونصبه، وكأنه أخذ هذه الأدوار كلها في شخصه.

وهذه الدعوة في واقع الأمر هي دعوة للحرب الأهلية وللفوضى، بعدما هدمت كل الأطر الدستورية، والقانونية، واعتُدي على الرئيس المنتخب نفسه، ولا يعرف له مصير، حتى من أفراد أسرته.

وهذه الأحزاب التي تجمعت في جبهة الإنقاذ أصبحت جبهة لإغراق الشعب في الدماء والفوضى من أجل الحكم وشهوته، ولجأت إلى استعمار الجيش والشرطة؛ وبالأمس كانت تنادي في ثورة 25 يناير بإبعاد العسكر عن الحكم، نداء قويا مع بقية الأحزاب، والشعب المصري كله ينادي بذلك.

إن قلب الحقائق، وتشويهها، أصبح عادة هذه الجبهة، ولما فقدت القاعدة الشعبية، لجأت إلى التآمر، وإلى منطق مقلوب، وتهم باطلة، تتهم بها خصومها بغير حق، ونحن نشاهد يوميا هذه المظاهرات، ولا نرى فيها من الشهداء إلا شهداء المظاهرات السليمة، ولا نرى عدوانا عليها إلا من البلطجية أو الأمن بلباس مدني أو هما معا.

سواء أمام الحرس الجمهوري أو في ميدان النهضة أو غيرها من الميادين في الإسكندرية وأسيوط والفيوم والإسماعيلية ودمياط والمنصورة، تسفك دماء الأطفال والنساء والرجال بالرصاص الحي، ويغيره، ولم نر أحدا من المتظاهرين اعتدى على غيره.

وعندما تستمع بانتباه شديد إلى المتحدثين من قادة جبهة الإنقاذ لا ترى لهم منطقا، ولا حقيقة واقعية، سوى الاستناد إلى تأييد العسكر الذي نبذوه وراء ظهورهم بالأمس، فأصبح هو النصير وهو الحبيب، لأنه جاء بهم إلى الحكم، ومنحهم ما لا يستحقونه، وما لا يستحقه العسكر نفسه، مصر اليوم لا دستور يحكمها ولا قانون ولا شرعية إلا الأهواء.

والمراقب المشاهد من بعيد وبنظرة حيادية لا يرى إلا أقلية من قادة الأحزاب لا قاعدة لها من الشعب تريد أن تركب أي مركب، يحملها إلى سدة الحكم، ما عدا الصندوق، لأنهم فشلوا فيه عدة مرات، فخافوا منه ودبروا بليل هذا التدبير الذي ورطوا فيه الشعب المصري، كما تورط بعض قادة الجيش معهم فانحاز إليهم كأنهم وحدهم الشعب المصري.

إن ما يسمى بالثورة الثانية (30جوان) إن هي إلا ثورة مضادة اتخذت شعار الثورة وعملت لتحويلها إلى فوضى، وثبت كذب عدد الجماهير التي حسبوها، ولا يصدق ذلك منطق ولا واقع، فإن ميدان التحرير بالأمتار لا يسع هذا العدد الكذوب، وصرح مصدر هذا العدد بأنه بريء من هذا الإحصاء الذي نسب إليه.

إن التاريخ لا يكتب بالأكاذيب وبالهوى وما تشتهيه النفس من حب للحكم، والسيطرة، ولعل الفريق لم يدرك خطورة ما دعا إليه، كما لم يدرك خطورة ما فعله من هدم للأطر الدستورية والقانونية للوطن، واعتمد على منصبه الذي أسنده إليه الرئيس محمد مرسي، فانقلب عليه، كما اعتمد على القوة العسكرية، وعلى المضادين للثورة.

ندعو الله عز وجل أن يحمي مصر مما يراد بها من كيد إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً، وَأَكِيدُ كَيْداً، فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً}، الطارق17-15، الكافرين بحق الانتخاب والشرعية.

وإني معجب أشد الإعجاب حقا بصلابة الشعب المصري في حقه وثباته وصبره وإصراره على حقه في الحرية؛ أما نساء مصر فإنهن أقوى من الرجال وأشجع.

وها نحن نشهد عاقبة خطاب الفريق يسقط (200) قتيل وأكثر من 4500 جريحا رحم الله الشهداء وشفى الجرحى، ألا ينتهي الفريق عند هذا الحد ويتراجع؟